

ISSN:2708-1796
ISSN: 2708-180X

مجلة البحث العلمي الإسلامي

مجلة إسلامية علمية محكَّمة تُعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

السنة الخامسة عشرة - العدد الثالث والثلاثون - ١٤٤١/١١/٩هـ. الموافق ٢٠٢٠/٦/٣٠ م. - تصدر كل ٦ أشهر مؤقتاً







مجلّة إسلاميّة علميّة محكّمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

(تصدر كل ستة أشهر مؤقتًا)

السنة الخامسة عشرة العدد الثالث الثلاثون

٩/١١/١٤٤١هـ.

٣٠/٦/٢٠٢٠ م.

المراسلات: لبنان - طرابلس ص.ب 208

تلفاكس: 009616471788

:بريد إلكتروني

albahs_alalmi@hotmail.com

الحوالات المصرفية باسم

مجلة البحث العلمي الإسلامي

بنك البركة - لبنان - طرابلس

حساب رقم: 13903

الموقع الالكتروني:

boukharysrc.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قواعد النشر في المجلة

إتاحة في الفرصة للإفادة من أبحاث العلماء والباحثين، فإن إدارة المجلة ترحب بنشر الأبحاث وفق الشروط التالية:

١ - أن يكون البحث متخصصاً في مسألة من المسائل العلمية، أو قضية من القضايا الإسلامية النازلة.

٢ - أن يتسم البحث بالأسلوب العلمي، وفق قواعد وأسس البحث العلمي، مع التوثيق وعزو المصادر، وتخريج الآيات والأحاديث.

٣ - أن يكون البحث جديداً غير منشور سابقاً، ولا مستلًا من رسالة الباحث العالمية - الماجستير -، أو العالمية العالية - الدكتوراه -.

٤ - أن لا تقل عدد صفحات البحث عن ١٦ صفحة، ولا تزيد عن ٤٨ من حجم الورق (A4) مقاس الكلمة (١٦).

٥ - إرسال البحث على عنوان المجلة في قرص مدمج على برنامج: (Microsoft-Word). وبخط: (Traditional Arabic).

٦ - إرفاق ملخص عن البحث باللغة الإنكليزية، ولا يزيد عن صفحتين.

٧ - إرفاق نسخة عن سيرة الباحث الذاتية، مع كتابة العنوان بالتفصيل.

٨ - يخضع البحث قبل نشره للتحكيم، ويتمّ إبلاغ الباحث بالنتيجة.

ملاحظات

١ - لا يلزم من تسليم البحث وإيصاله إلى إدارة المجلة اعتماده ونشره.

٢ - لا تلتزم إدارة المجلة بإعادة البحث الذي لم ينشر إلى كاتبه.

٣ - إن نشر البحث في مجلة البحث العلمي، لا يعني بالضرورة تبنِّيه، ويبقى تعبيراً عن رأي كاتبه.

مجلة البحث العلمي الإسلامي

العدد الثالث والثلاثون، السنة الخامسة عشرة ١٤٤١/١١/٩هـ. - الموافق ٢٠٢٠/٦/٣٠ م.

المحتويات

العدد الثالث والثلاثون، السنة الخامسة عشرة ١٤٤١/١١/٩هـ - الموافق ٢٠٢٠/٦/٣٠م

الافتتاحية

بقلم: رئيس التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله رب العالمين، والصـلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد...،

فـإنَّ مما يتميز به التشريع الإسلامي، أن أعمال المكلَّفين كلها تُبنى علـى العلم، سواء في العقائد، أو العبادات، أو المعاملات والعقود المالية، والأحـوال الشخصية، بل حتى على المستـوى الشخصي للإنسان في أكله ولبسه وعاداته، فإنها وإن كان الأصل فيها الإباحة والجواز، إلا أنها مقيدة بعدم الإضرار بالنفس أو بالآخرين.

ومـن هنا تظهر الحاجة إلى بحث كل مسألـة مستجدة، ومنها نازلة وبـاء كورونا الـذي أرخى بظلاله علـى العالم في العبـادات، والمعاملات والعقـود، والجسـم الطبي، وغير ذلك. الأمر الـذي أدّى إلى قيام الحاجة لبحث المستجدات المتعلقة بهذا الوباء.

وإسهاماً منا في التأصيل العلمي لمستجدات هذا الوباء، تمَّ الإعلان عـن المؤتمر الدولـي الالكتروني بعنوان: نـوازل وباء كورونـا، شارك فيه عـدد لابأس به من أساتذة الجامعات، وطلاب مرحلة الدكتوراه. وستنشر أبحـاث المؤتمر المحكَّمة في عدد خاص بالمجلة بتاريخ ٢٠٢٠/٨/٣٠ إن شاء الله.

وبالمناسبة، فإننا نبشر الباحثين بحصول المجلة على الرقم الدولي issn وذلك للنسختين الورقية والالكترونية، مما يتيح الفرصة أكثر، للباحثين، لاسيما في الجامعات الحكومية التي تشترط الرقم الدولي في المجلات المحكَّمة لنشر أبحاثهم.

سائلين الله أن يعيننا على خدمة الباحثين، والبحث العلمي، بغية إيجاد المزيد من الحلول والدراسات لواقعنا ومستجداتنا المعاصرة.



البحوث والدراسات

مجلة
البحث العلمي الإسلامي

مجلـة إسلاميَّـة علميَّـة مُحكَّمـة تعنـى بالبحـوث والدراسـات الإسلاميـة
تصدر كل ستة أشهر مؤقتاً - لبنان - طرابلس

الدكتور وسيم الخطيب
عضو هيئة التدريس في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
أكاديمية الإمام البخاري الدولية، وجامعة الاسطرلاب الدولية

ابن سيرين في كتب أصول الفقه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، فإن ابن سيرين رحمه الله تعالى من أئمة الإسلام ودواوين العلم. وقد انتشرت فتاويه في كتب الفقه والآثار، وقد استدل به الأصوليون في مؤلفاتهم مرارًا، فأحببت أن أجمع هذه الاستدلالات في بحث صغير سميته: «ابن سيرين في كتب أصول الفقه»، وقد جعلته مقسما على بابين: الأول في سيرته رحمه الله، والثاني في أثره في كتب الأصول.

المبحث الأول: ترجمة ابن سيرين

المطلب الأول: مولده

ولد محمد بن سيرين لسنتين بقيتا من خلافة عثمان[١]، وأمه صفية مولاة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، طيبها ثلاثة من أزواج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فدعوا لها، وحضر إملاكها[٢] ثمانية عشر بدريا فيهم أبي بن كعب[٣] يدعو وهم يؤَمِّنون.

وأما أبوه سيرين فكان من أهل جرجرايا[٤]، وكان يعمل قدور النحاس، فجاء إلى عين

(١) ابن سعد، محمد بن سعد أبو عبد الله البصري، الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، دارصادر: بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٩٦٨م، ج٧ ص١٩٣.

(٢) الإملاك: التزويج. (الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي ـ إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون ذكر تاريخ، باب الكاف واللام والميم، ج٥ ص٣٨٠)

(٣) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار. شهد أبي بن كعب العقبة الثانية، وبايع النبي صلى عليه وسلم فيها، ثم شهد بدرا. وكان أحد فقهاء الصحابة، وأقرأهم لكتاب الله عز وجل، وكان ممن كتب لرسول الله الوحي. مات سنة اثنتين وعشرين في خلافة عمر رحمهما الله تعالى. (ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل: بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٢م ج١ ص٦٥)

(٤) جرجايا بين واسط وبغداد، كانت مدينة ثم خربت. (ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم البلدان، دارالفكر: بيروت ـ لبنان، ج٢ ص١٢٣)

التمـر[1] يعمل بهـا، فسباه خالد بن الوليد[2]، إلى أن صار تحت يـد أنس بن مالك رضي لله عنه، وفي الصحيح أن سيرين سأل أنسا المكاتبة، وكان كثير المال فأبى فانطلق إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال: (كاتبه) فأبى، فضربه بالدرة ويتلو عمر: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ﴾ (النور: ٣٣) فكاتبه[3].

المطلب الثاني: صفاته

كان ابـن سيرين جميل العشـرة لإخوانه، عن الأشعـث[4] قال: (كنا إذا جلسنـا إليه حدثنا وتحدثنـا وضحـك وسأل عن الأخبار، فإذا سئـل عن شيء من الفقه والحـلال والحرام تغير لونه وتبدل حتى كأنه ليس بالذي كان)[5].

ومن صفاته - رحمه الله - مجانبته للبدعة، عن ابن عون قال: جاء رجل إلى محمد، فذكر له شيئا من القدر، فقـال محمد: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل ٩٠) ووضع إصبعي يديه فـي أذنيـه، وقال: (إما أن تخرج عني، وإما أن أخرج عنـك) فخرج الرجل فقال محمد: (إن قلبي ليسـ بيـدي، وإني خفت أن ينفث في قلبي شيئا، فلا أقدر علـى أن أخرجه منه، فكان أحب إلي أن لا أسمع كلامه)[6].

وكان رحمه الله ورعا، عن أنس بن سيرين[7] قال: (لم يبلغ محمدا قط حديثان أحدهما أشد مـن الآخر إلا أخـذ بأشدهما)[8]. وعن هشام بن حسان[9] أن ابن سيرين اشترى طعاما، فأشرف

(١) عين التمر بلدة في العراق قريبة من الأنبار. (الحموي، معجم البلدان، ج٤ ص١٧٦)

(٢) ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، صفة الصفوة، تحقيق محمود فاخوري - محمد رواس قلعهجي، دار المعرفة: بيروت - لبنان، الطبعة الثانية: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج٣ ص٢٤١.

(٣) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المكاتب، باب المكاتب ونجومه في كل سنة نجم، ج٣ ص١٩٨.

(٤) هو أشعث بن عبد الملك الحمراني، من أهل البصرة، كنيته أبو هانئ، يروي عن الحسن وابن سيرين، وكان فقيها متقنا، روى عنه أهل البصرة، مات سنة ست وأربعين ومائة. وكان يحيى بن سعيد القطان يقول: (ما رأيت أحدا يحدث عن الحسن أثبت من أشعث الحمراني)، وإنما قيل له الحمراني لأنه كان مولى لحمران بن أبان. (ابن حبان، محمد بن حبان البستي، الثقات، تحقيق شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى: ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ج٦ ص٦٢ رقم ٦٧٣١)

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧ ص١٩٥.

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧ ص١٩٧.

(٧) هو أخ محمد بن سيرين.

(٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧ ص١٩٨.

(٩) هو هشام بن حسان القردوسي أبو عبد الله، روى عن الحسن البصري ومحمد بن سيرين وعطاء بن أبي رباح، روى عنه سفيان الثوري ويحيى ابن سعيد القطان ويزيد بن هارون، وروي أن محمد بن سيرين قال: (هشام منا اهل البيت). (ابن أبي حاتم، محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، الجرح والتعديل، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية: حيدر آباد الدكن: الهند، الطبعة الأولى: ١٢٧١هـ - ١٩٥٢م، ج٩ ص٥٤ رقم ٢٢٩)

فيه على ربح ثمانين ألفا، فعرض في قلبه منه شيء فتركه. قال هشام: (والله ما هو بربا)[1].

وكان بارا بأمه، عن حفصة بنت سيرين قالت: (كانت أم محمد امرأة حجازية، وكان يعجبها الصبغ، وكان محمد إذا اشترى لها ثوبا اشترى ألين ما يجد لا ينظر في بقائه، فإذا كان كل يوم عيد صبغ لها ثيابها، ومارأيته رافعا صوته عليها قط، وكان إذا كلمها كلمها كالمصغي إليها بالشيء)[2].

وكان كثير العبادة، عن خالد الحذاء[3] قال: (كان محمد بن سيرين يصوم يوما ويفطر يوما)[4]. وعن أنس بن سيرين قال: (كانت لمحمد سبعة أوراد، فكان إذا فاته شيء من الليل قرأه بالنهار)[5].

وكان يكره الغيبة ويذب عن إخوانه، عن ابن عون[6] قال: (كانوا إذا ذكروا عند محمد رجلا بسيئة ذكره محمد بأحسن ما يعلم)[7].

وكان مهتما بنظافة بدنه، كان يغتسل كل يوم[8].

واشتهر بتفسير الأحلام، وقد جاء عنه في التعبير عجائب، وكان له في ذلك تأييد إلهي[9]. وستأتي نماذج من تأويلاته خلال البحث.

المطلب الثالث: ثناء العلماء عليه

عن ابن عون قال: (كان بصر محمد بالعلم كبصر التاجر الأريب[10] بتجارته)[11]. وكان

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧ ص١٩٩.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧ ص٢٠٠.

(٣) هو خالد بن مهران من أهل البصرة، كنيته أبو المنازل، كان يجلس إلى الحذائيين فنسب إليهم ولم يكن بحذاء، يروي عن أبي قلابة والحسن وابن سيرين، روى عنه أهل العراق، مات سنة إحدى وأربعين ومائة. (ابن حبان، الثقات، ج٦، ص٢٥٣ رقم ٧٦٠٧)

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧ ص٢٠٠.

(٥) المرجع السابق.

(٦) هو عبد الله بن عون بن أرطبان من أهل البصرة، كنيته أبو عون، رأى أنسا ولم يسمع منه شيئا، يروي عن القاسم والحسن وابن سيرين، روى عنه ابن المبارك وأهل البصرة، وكان مولده سنة ست وستين، ومات سنة إحدى وخمسين ومائة وهو ابن خمس وثمانين سنة. (ابن حبان، الثقات، ج٧، ص٣ رقم ٨٧٥٤)

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧ ص٢٠٠.

(٨) المصدر السابق.

(٩) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٨ ص١٩٤.

(١٠) الأريب الماهر، يقال أربت بالشيء أي صرت به ماهرا. (أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، طبعة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م، مادة أرب، ج١ ص١٠٣)

(١١) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج٥ ص٥٨، رقم ٢٦٨ ج٧ ص٢٨٠.

الشعبي[١] يقول: (عليكم بذاك الأصم) يعني ابن سيرين[٢]. وقال الإمام أحمد بن حنبل: (محمد بن سيرين في أبي هريرة لا يتقدم عليه أحد)[٣]. عن عوف قال: (كان محمد حسن العلم بالتجارة، حسن العلم بالقضاء، حسن العلم بالفرائض)[٤]. وعن مورق العجلي[٥]: (ما رأيت رجلا أفقه في ورعه، ولا أورع في فقهه من محمد)[٦]. وقال أبو قلابة[٧]: (اصرفوه حيث شئتم، فلتجدنه أشدكم ورعا، وأملككم لنفسه)[٨]. عن عثمان البتي[٩] قال: (لم يكن بالبصرة أحد أعلم بالقضاء من ابن سيرين)[١٠]. وقال هشام: (حدثني أصدق من أدركت: محمد بن سيرين)[١١]. ووثقه يحيى بن معين وأبو زرعة الرازي[١٢].

المطلب الرابع: شيوخه وتلاميذه

رأى محمد بن سيرين ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم[١٣]، وروى عن أبي هريرة وأنس بن مالك، وتلاميذه كُثُر منهم هشام بن حسان وابن عون وأيوب السختياني.

المطلب الخامس: وفاته

بلغ محمد نيفا وثمانين سنة، ومات يوم الجمعة في البصرة سنة عشر ومائة، أي بعد وفاة الحسن البصري بمائة يوم رحمهما الله تعالى، وغسله أيوب وابن عون[١٤]، وقبره بإزاء قبر الحسن

---

(١) هو عامر بن شراحيل الشعبي، من أهل الكوفة، كنيته أبو عمرو، روى عنه الناس، وكان فقيها شاعرا، وكان ذا دعابة، مولده سنة عشرين ومات سنة تسع ومائة. روى عن خمسين ومائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. (ابن حبان، الثقات، ج٥ ص١٨٥ رقم ٤٤٨٧)

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧ ص٢٠٠.

(٣) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج٧ ص٢٨٠ رقم ١٥١٨.

(٤) المصدر السابق.

(٥) هو مورق بن المشمرج العجلي من أهل البصرة، كنيته أبو المعتمر، يروي عن أبي ذر، روى عنه أهل العراق، وكان من العباد الخُشّن، مات في ولاية ابن هبيرة في سنة خمس ومائة. (ابن حبان، الثقات، ج٥ ص٤٤٦ رقم ٥٦٤٥)

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧ ص١٩٦.

(٧) هو عبد الله بن زيد الجرمي البصري، روى عن سمرة بن جندب وثابت بن الضحاك وأنس بن مالك ... وأرسل عن حذيفة وعائشة ... حدث عنه أيوب وحميد ويحيى بن أبي كثير وخالد الحذاء وعاصم الأحول ... طُلب للقضاء فتغيب وتغرب عن وطنه، فقدم الشام ومات بها سنة أربع ومائة. (الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، تحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلمية: بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، ج١ ص٧٣)

(٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧ ص١٩٦.

(٩) هو عثمان بن أسلم بن جرموز البتي أبو عمر، كان يبيع البتوت ثيابا بالبصرة، روى عن الحسن والشعبي، روى عنه الثوري وحماد بن سلمة ... وثقه الإمام أحمد. (ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، رقم ٧٨٦ ج٦ ص١٤٥).

(١٠) المرجع السابق.

(١١) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة: بيروت ـ لبنان، ج٨ ص١٥٨.

(١٢) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، رقم ٢٦٨ ج٧ ص٢٨٠.

(١٣) ابن حبان، الثقات، ج٥ ص٣٤٩ رقم ٥١٦١.

(١٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧ ص٢٠٦.

بالبصرة[١]. وقد سأل رجل ابن سيرين يوما: رأيت كأن الجوزاء تقدمت الثريا، فقال: هذا الحسن يموت قبلي، ثم أتبعه، وهو أرفع مني[٢].

المبحث الثاني: ابن سيرين في كتب الأصول

المطلب الأول: المرسل

المرسل لغة من الإرسال وهو الإهمال والإطلاق والتخلية[٣]، وفي الاصطلاح: هوالذي يرويه المحدث بأسانيد متصلة إلى التابعي ثم يقول التابعي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤]، لأن التابعي أطلق فلم يعين من هو الصحابي الذي روى الحديث، وأهمل ذكره.

وهو حجة عند أبي حنيفة ومالك وأحمد رحمهم الله[٥]، أما الشافعي رحمه الله، فقد وافق الجمهور في قبول مرسل الصحابي[٦]، أما مرسل غير الصحابي، فلا يحتج به إلا أن يعتضد بمرسل آخر أو بمسند أو قول صحابي أو قول الجمهور أو قياس[٧].

أخرج الإمام مسلم عن ابن سيرين قال: (لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم)[٨].

وذكر لمحمد بن سيرين حديث عن أبي قلابة فقال: (أبو قلابة رجل صالح، ولكن عمن ذكره أبو قلابة؟)[٩].

قال ابن رجب[١٠] رحمه الله: «وممن تكلم من السلف في المراسيل ابن سيرين، وقد تقدم

(١) ابن حبان، الثقات، ج٥ ص٣٤٩ رقم ٥١٦١.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٨ ص١٩٤.

(٣) الزبيدي، تاج العروس، مادة رسل، ج٢٩ ص٧٢.

(٤) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، دار الكتب العلمية: بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ، ج١ ص١٣٩.

(٥) المصدر السابق.

(٦) مرسل الصحابي هو ما يرويه ابن عباس وغيره من أحداث الصحابة عن رسول الله ﷺ ولم يسمعوه منه. (ابن الملقن، سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الأنصاري، تحقيق عبد الله بن يوسف الجديع، دار فواز للنشر: السعودية، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ، ج١ ص١٣٨)

(٧) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، التوضيح الأبهر لتذكرة ابن الملقن في علم الأثر، تحقيق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى: ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨م، ج١ ص٤٢.

(٨) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح، دار إحياء التراث العربي: بيروت ـ لبنان، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بدون ذكر تاريخ، المقدمة، ج١ ص١٢.

(٩) العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد، الضعفاء، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية: بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، ج١ ص٤.

(١٠) هو عبد الرحمن بن أحمد بن حسن بن رجب، قدم من بغداد مع والده إلى دمشق وهو صغير سنة أربع وأربعين وسبعمائة، وأجازه ابن النقيب والنووي، واشتغل بسماع الحديث باعتناء والده، وسمع بمكة ومصر، ومؤلفاته عديدة منها شرح جامع أبي عيسى الترمذي، وشرح أربعين النواوي، وشرع في شرح البخاري، مات في رجب سنة خمس وتسعين وسبعمائة بدمشق.

قوله: (كانوا لا يسألون عن الإسناد حتى وقعت الفتنة)، وقوله لما حدث عن أبي قلابة: (أبو قلابة رجل صالح، ولكن عمن أخذه أبو قلابة؟)»[1].

وعن ابن سيرين أنه قال: (لا تأخذوا بمراسيل الحسن[2] ولا أبي العالية، فإنهما لا يباليان عمن أخذا)[3].

واستدل من أخذ بالمرسل بأنه ظهر قبوله من غير نكير فكان إجماعا، قال أمير بادشاه[4]: «لكن ينقض هذا الإجماع الحاصل من قبولهم بلا نكير بقول ابن سيرين: (لا نأخذ بمراسيل الحسن وأبي العالية فإنهما لا يباليان عمن أخذا الحديث)، يعني يروون الحديث عن الثقة وغيره»[5].

وقال الآمدي: «قولكم لم ينكر ذلك منكر لا نسلم ذلك ... قال ابن سيرين: لا نأخذ بمراسيل الحسن وأبي العالية»[6].

المطلب الثاني: نقل الحديث باللفظ

اتفق العلماء على أنه لا يجوز لمن ليس عالما بالمعنى أن يغير بلفظ الحديث[7]، واتفقوا على أن الأَولى لمن كان عالما بالمعنى أن يأتي بلفظ الحديث[8]، واختلفوا: هل له أن يرويه بالمعنى؟ فذهب الجمهور منهم الأئمة الأربعة على جوازه، واستدلوا بأن الترجمة بالفارسية جائزة فبالعربية أولى[9].

=(العكري، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ـ محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير: دمشق ـ سورية، طبعة: ١٤٠٦هـ، ج٦ ص٣٣٩ ـ ٣٤٠)

(١) ابن رجب، شرح علل الترمذي، تحقيق همام سعيد، مكتبة الرشد: الرياض ـ السعودية، الطبعة الثانية: ١٤٢١هـ ٢٠٠١م، ج١ ص٥٤٦.

(٢) هو الحسن بن يسار أبو سعيد البصري، وأبوه يسار مولى زيد بن ثابت الأنصاري، واسم أمه خيرة مولاة أم سلمة، ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر، ورأى عشرين ومائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، مات في شهر رجب سنة عشر ومائة وهو بن تسع وثمانين سنة، وكان الحسن من أفصح أهل البصرة لسانا، وأجملهم وجها، وأعبدهم عبادة، وأحسنهم عشرة، وأنقاهم بدنا رحمة الله عليه. (ابن حبان، الثقات، ج٤ ص١٢٢)

(٣) الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، السنن، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة: بيروت ـ لبنان، بدون ذكر تاريخ، كتاب الطهارة، باب أحاديث القهقهة في الصلاة وعللها، رقم ٦٤٤.

(٤) هو محمد أمين بن محمود البخاري المعروف بأمير بادشاه، فقيه حنفي محقق، من أهل بخارى، ولد سنة ٩٧٢هـ. (الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر: ٢٠٠٢ م، ج٦ ص٤١)

(٥) محمد أمين، تيسير التحرير، بدون ذكر محقق، دار الفكر: بيروت ـ لبنان، بدون ذكر تاريخ، ج٣ ص١٤٨.

(٦) الآمدي، علي بن محمد الآمدي أبو الحسن، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق سيد الجميلي، دار الكتاب العربي: بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ، ج٢ ص١٣٨.

(٧) السيوطي، تدريب الراوي، ج٢ ص٩٨.

(٨) الدهلوي، عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري، مقدمة في أصول الحديث، تحقيق: سلمان الحسيني الندوي، دار البشائر الإسلامية: بيروت – لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، ج١ ص٥٠.

(٩) السبكي، الإبهاج في شرح المنهاج، ج٣ ص٤٩٤.

قــال السرخسي[1] رحمه الله: «قال بعض أهــل الحديث: مراعاة اللفظ في الرواية واجب... لا يجوز النقل بالمعنى من غير مراعاة اللفظ بحال، وذلك من قول عن ابن سيرين»[2]. وذكر هذا النقــل عن ابن سيرين الآمدي[3] في الإحكام[4] والسبكي[5] في الإبهاج شرح المنهاج[6] والقاضي أبو يعلى[7] في العدة في أصول الفقه[8].

وجاء رجل إلى ابن سيرين، فقال: رأيت في المنام حمامة التقمت لؤلؤة فخرجت منها أعظم ممــا دخلــت، ورأيت حمامة أخــرى التقمت لؤلؤة وخرجــت منها أصغر مما دخلــت، ورأيت حمامة أخــرى التقمــت لؤلؤة فخرجت مثل ما دخلت سواء. فقال ابــن سيرين: (أما الحمامة التي التقمت اللؤلــؤة فخرجت أعظم مما دخلت فهو الحســن يسمع الحديث فيجوده بمنطقه، وأما التي خرجت أصغر مما دخلت فذاك محمد بن سيرين يسمع الحديث فيشك فيه وينقص منه، وأما التي خرجت كما دخلت فذاك قتادة أحفظ النــاس)[9].

---

(١) هو محمد بن أحمد بن أبي سهل أبو بكر، كان إماماً علامة حجة متكلما فقيها أصوليا مناظرا، لزم الحلواني، أملى المبسوط نحو خمسة عشر مجلدا وهو في السجن، تفقه عليه الحصيري، وأبو عمر والبيكندي، مات في حدود التسعين وأربع مائة. (عبدالقادر بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، الناشر مير محمد كتب خانه: كراتشي ـ باكستان، طبعة: ١٣٣٢هـ ، ج٢ ص ٢٨ ـ ٢٩). والسرخسي نسبة إلى سرخس، وهي مدينة تقع في تركمانستان اليوم.

(٢) السرخسي، أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي، المحرر في أصول الفقه، تحقيق صلاح عويضة، دار الكتب العلمية: بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م، ج١ ص ٢٦٦.

(٣) هو علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الإمام أبو الحسن سيف الدين الآمدي الأصولي المتكلم أحد أذكياء العالم. ولد بعد الخمسين وخمسمائة بيسير بمدينة آمد (ديار بكر) وقرأ بها القرآن، وحفظ كتابا في مذهب أحمد بن حنبل، ثم قدم بغداد فقرأ بها القراءات وسمع الحديث، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي، ودرّس في القاهرة وحماة ودمشق. وتوفي بدمشق سنة ستمائة وإحدى وثلاثين. (السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨ ص٣٠٦ ـ ٣٠٧)

(٤) الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق سيد الجميلي، دارالكتاب العربي: بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ ، ج٢ ص١١٥.

(٥) هو علي بن عبد الكافي السبكي. ولد بسبك (في مصر) سنة ثلاث وثمانين وستمائة، وتفقه في صغره على والده، ثم على جماعة آخرهما ابن الرفعة، وأخذ التفسير عن علم الدين العراقي، وقرأ القراءات على الشيخ تقي الدين بن الصائغ، وسمع الحديث من الجم الغفير ورحل الكثير، وتفقه عليه جماعة من الأئمة كالإسنوي، وقد درس بدمشق وولي بعد وفاة الحافظ المزي مشيخة دار الحديث، ومصنفاته تزيد على المائة والخمسين. وفي آخرعمره رجع إلى مصر وتوفي فيها في جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وسبعمائة. (ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر، طبقات الشافعية، تحقيق الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب: بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٧ هـ ، ج٣ ص٤٠ ـ ٤١ ـ ٤٢)

(٦) علي بن عبد الكافي السبكي، الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، دار الكتب العلمية: بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ ، ج٣ ص ٤٩٤.

(٧) هو أبو يعلى محمد بن الحسين البغدادي ابن الفراء، ولد في أول سنة ثمانين وثلاثمائة. صحب أبا عبد الله بن حامد، وقد سمع بمكة ودمشق وحلب، تلا بالقراءات العشر، وكان ذا عبادة وتهجد، وملازمة للتصنيف. ومن تلاميذه أبو الخطاب، من مؤلفاته كتاب أحكام القرآن ومسائل الإيمان والمعتمد وعيون المسائل والرد على الكرامية ... توفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣٥ ص٧٤ إلى ٧٦)

(٨) القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، العدة في أصول الفقه، تحقيق أحمد بن علي بن سير المباركي، الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م، ج٣ ص٩٦٩.

(٩) أحمد بن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، تحقيق وصي الله عباس، المكتب الإسلامي: بيروت ـ لبنان / دار الخاني: الرياض ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ، ج٢ ص٣١٥.

المطلب الثالث: في الصحابي إذا روى خبرا ثم عمل بخلافه

هنــاك أحـوال يُرد فيها خبر الآحاد عند الحنفية، منهـا أن يخالف الراوي (غير المشهور بالفقـه) القياس[1]، ومنها أن يكـون الخبر مما تعم به البلـوى[2] ... ومثَّل البـزدوي[3] الحنفي ـ رحمـه الله ـ لطعـن أئمة الحديث بالروايـة، إذا كان الطعن مفسرا بسبـب يصلح الجرح به، بقول ابـن سيريـن في متعة النساء: (هم شهدوا بها وهم نهوا عنها وما عن رأيهم رغبة ولا في نصحهم تهمة)[4]. وقال الجصاص[5]: «وهذا لأنا تلقينا الدين منهم فيبعد أن يخفى عليهم فيحل ذلك على الانتساخ ... وقال محمد بن سيرين في متعة النساء: هم شهدوا بها وهم نهوا عنها وما عن رأيهم رغبة ولا في نصحهم تهمة»[6].

والذي عليه الجمهور العمل بظاهر الحديث ولا يخرج عنه بمجرد عمل الصحابي[7]

المطلب الرابع: إحداث قول ثالث

هذه مسألة بحثها الأصوليون، وهي أنه إذا اختلف أهل العصر في المسألة على قولين، هل يجوز لمن بعدهم إحداث قول ثالث؟ فيها ثلاثة مذاهب:

الأول: المنع مطلقا وعليه الجمهور.

والثاني: الجوازمطلقا وعليه طائفة من الحنفية وأهل الظاهر.

والثالث: إن لزم رفع ما أجمعوا عليه لم يجز إحداثه[8].

---

(١) السرخسي، المحرر في أصول الفقه، ج١ ص٢٥٣ ـ ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

(٢) المرجع السابق ج١ ص٢٧٦.

(٣) هو علي بن محمد بن الحسين، المعروف بفخر الإسلام البزدوي، فقيه كبير على مذهب أبي حنيفة، توفي سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة وحمل تابوته إلى سمرقند (مدينة في جنوب أوزباكستان) ودفن بها، ومن تصانيفه المبسوط إحدى عشر مجلدا وشرح الجامع الكبير والجامع الصغير. (عبدالقادر بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق الناشر مير محمد كتب خانه، كراتشي ـ باكستان، ج١ ص٣٧٣) والبزدوي نسبة إلى «بزدة» قلعة بقرب نسف (مدينة في جنوب أوزباكستان)

(٤) علي بن محمد البزدوي الحنفي، كنزالوصول إلى معرفة الأصول المعروف ب «أصول البزدوي»، مطبعة جاويد بريس: كراتشي ـ باكستان، ج١ ص١٩٦. ولم أعثر على هذا الأثر في كتب الحديث.

(٥) هو أحمد بن علي أبو بكر الرازي، مولده سنة خمس وثلاث مائة، سكن بغداد وعنه أخذ فقهاؤها، وكان مشهورا بالزهد، خوطب في أن يلي القضاء فامتنع، تفقه على أبي الحسن الكرخي، تفقه عليه الجرجاني شيخ القدوري، وله من المصنفات أحكام القرآن وشرح مختصر الكرخي وشرح مختصر الطحاوي، توفي سنة سبعين وثلاث مائة عن خمس وستين سنة. (عبد القادر بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، الناشر مير محمد كتب خانه، كراتشي ـ باكستان، ج١ ص٨٥ ـ ٨٦).

(٦) الجصاص، أحمد بن علي الرازي، الفصول في الأصول، تحقيق محمد تامر، دار الكتب العلمية: بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ٢٠١٠م، ج٢ ص٧١.

(٧) الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية: بيروت ـ لبنان، ج٣ ص٤٢٥.

(٨) السبكي، الإبهاج، ج٤ ص٢٨.

واستدل المجيزون بأن ابن سيرين ـ رحمه الله ـ أحدث قولا ثالثا من غير أن ينكر عليه أحد.

وذلـك أن ابـن عباس ـ رضـي الله تعالى عنهما ـ ذهب في مسألـة زوج وأم وأب إلى أن للزوج النصـف وللأم الثلث وللأب الباقي، وذهب جمهـور الصحابة ـ وهو قضاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ إلى أن للأم ثلث الباقي بعد الزوج.

وذهـب فـي مسألة زوجـة وأم وأب إلى أن للزوجـة الربع وللأم الثلث ولـلأب الباقي، وذهب جمهور الصحابة ـ وهو قضاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ إلى أن للأم ثلث الباقي بعد الزوجة.

وذهـب ابن سيرين إلـى ماذهب إليه الجمهور في الأولى، وإلى مـا ذهب إليه ابن عباس في الثانية[1].

قـال الشيرازي[2] حكاية عن استدلالهم: «واحتجوا بأن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ اختلفوا فـي زوج وأبويـن وامرأة وأبوين على قوليـن، فجاء ابن سيرين فأحدث قولا ثالثـا، فقال في امرأة وأبوين بقول ابن عباس، وفي زوج وأبوين بقول سائر الصحابة، وأقره الناس على هذا الخلاف»[3]. وقـال القاضي أبو يعلى: «ففرق ابن سيرين بينهما، وقال بقول ابن عباس في امرأة وأبوين، وبقول الباقين في زوج وأبوين، فلم ينكر عليه منكر»[4]. قال الآمدي ردا على هذا الاستدلال: «أما مسألة الـزوج والزوجـة معا لأبوين فهي من قبيـل ما لا يرفع ما اتفق عليه الفريقـان، بل قول ابن سيرين وغيـره من التابعين في ما ذهبا إليـه غير مخالف للإجماع، بل هو قائل في كل صورة بمذهب»[5]، وبذلك يتبين أن قول ابن سيرين دليل للمذهب الثالث.

---

(١) ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، بدون ذكر محقق، دارالفكر: بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ ، ج٧ ص٢١. ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الفرائض، باب في امرأة وأبوين من كم هي؟ ج١١ ص٢٣٨ ـ باب في زوج وأبوين من كم هي؟ ج١١ ص٢٤١.

(٢) هو إبراهيم بن علي الفيروزاباذي أبو إسحاق الشيرازي، ولد بفيروزاباذ (مدينة في محافظة فارس الإيرانية) سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ونشأ بها، وقرأ الفقه في شيراز (مركز محافظة فارس الإيرانية) والبصرة وبغداد وقرأ على القاضي أبي الطيب الطبري ولازمه واشتهر به وصار أعظم أصحابه ومعيد درسه، وقرأ الأصول وسمع الحديث، وروى عنه الخطيب وغيره، وهو صاحب التنبيه والمهذب في الفقه والنكت في الخلاف واللمع وشرحه والتبصرة في أصول الفقه ... توفي في جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وأربعمائة. (السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٤ ص٢٢٩)

(٣) الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف، التبصرة في أصول الفقه، تحقيق محمد حسن هيتو، دار الفكر: دمشق ـ سوريا، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ، ج١ ص٣٨٨.

(٤) أبو يعلى، العدة في أصول الفقه، ج٤ ص١١١٤.

(٥) الآمدي، الإحكام، ج١ ص٣٣٤.

	٦	٦	
زوج	٣	٣	
أم	٢	١	
أب	١	٢	
	ابن عباس	الجمهور وابن سيرين	

	١٢	١٢	٤
زوجة	٣	٣	١
أم	٤	٣	١
أب	٥	٦	٢
	ابن عباس وابن سيرين	الجمهور	

وقد وردت فتوى ابن سيرين في المصنف حيث قال: (ما يمنعهم أن يجعلوها من اثني عشر سهما، فيعطون المرأة ثلاثة أسهم وللأم أربعة أسهم وللأب خمسة أسهم)[١].

المطلب الخامس: القياس

استدل ابن حزم[٢] في كتابه الإحكام[٣] على إنكار القياس بقول ابن سيرين رحمه الله: (أول من قاس إبليس، وإنما عبدت الشمس والقمر بالمقاييس)[٤]. لكن استدلاله لا يستقيم، قال الطبري[٥] رحمه الله: «يعني (ابن سيرين) بذلك القياس الخطأ»[٦] وقال السمعاني[٧]: «وإنما أراد به القياس الفاسد دون الصحيح»[٨]. قال الشيرازي: «وابن سيرين ذم قياس إبليس، وكان

(١) ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، المصنف، تحقيق محمد عوامة، طبعة الدار السلفية بالهند، الطبعة الثانية: ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، كتاب الجنائز، كتاب الفرائض، باب في امرأة وأبوين من كم هي، ج١١ ص٢٤٠ رقم ٣١٧٠٦.

(٢) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ولد بقرطبة (جنوب إسبانيا اليوم) في سنة أربع وثمانين وثلاث مئة، كان شافعي المذهب فانتقل إلى مذهب أهل الظاهر، له مؤلفات جليلة منها كتاب «تبديل اليهود والنصارى للتوراة والانجيل» ومنها «المحلى»، وقد ابتلي لتطويل لسانه في العلماء، وشرد عن وطنه، وتحول إلى البادية، وتوفي فيها سنة ست وخمسين وأربعمائه. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٨ ص١٨٤ وما بعدها)

(٣) ابن حزم، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد، الإحكام في أصول الأحكام، دار الحديث: القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ، بدون ذكر محقق، ج٨ ص٥١١.

(٤) ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الأوائل، باب أول ما فعلوا من فعله، ج١٤ ص٨٦ رقم ٣٦٩٥٦. قال المرداوي: «رووه أيضا بإسناد جيد عن ابن سيرين». (المرداوي، التحبير، ج٧ ص٣٥٠٧).

(٥) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، ولد في طبرستان (على الساحل الجنوبي لبحر قزوين) سنة أربع وعشرين ومائتين، وأكثر الرحلة وسمع من أبي كريب وهناد بن السري ... وحدث عنه أبو القاسم الطبراني وغيره، وبث مذهب الشافعي ببغداد سنتين واقتدى به، ثم اتسع علمه وأداه اجتهاده إلى ما اختاره في كتبه. له كتاب «تاريخ الأمم» و«جامع البيان في تأويل القرآن» و«تهذيب الآثار»... توفي سنة عشر وثلاثمائة. (الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، تحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلمية: بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، ج٢ ص٢٠٠ ـ ٢٠١ ـ ٢٠٢)

(٦) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة: بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م، ج١٢ ص٣٢٧.

(٧) هو منصور بن محمد بن عبد الجبار أبو المظفر السمعاني، تفقه على والده حتى برع في مذهب أبي حنيفة، ثم صار إلى مذهب الشافعي، ودرسه في مرو (تقع في تركمانستان اليوم) ونيسابور (تقع في شمال إيران اليوم) وقد دخل بغداد وسمع بها الكثير، صنف في التفسير والفقه والحديث والأصول، ولد سنة ست وعشرين وأربعمائة ومات سنة تسع وثمانين وأربعمائة. (ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج١ ص٢٧٤)

(٨) منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، قواطع الأدلة في الأصول، تحقيق محمد حسن إسماعيل، طبعة دار الكتب العلمية: بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ ـ١٩٩٩م، ج٢ ص٩١.

قياســه مع وجود النص فسقط ما قالــوه»[1]. قال الجصاص: «فإنما أراد بــه المقاييس الفاسدة، التي لم يقع بناؤها على أصول صحيحة»[2].

رحم الله الإمام ابن سيرين، ونفعنا بعلمه آمين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

خاتمة

ولــد ابن سيرين في البصرة، وكان جميل العشــرة لإخوانه، وكان ورعًا مجانبًا للبدعة، بارًا بأمــه كثيــر العبادة، يكره الغيبة، مهتمًا بنظافة بدنه، وقد اشتهر بتفسير الأحلام، رأى ثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، مات سنة مائة وعشرة.

ومن مذهبه في أصول الفقه أنه لم يكن يأخذ بالمرسل مطلقا وكان يقول: سموا لنا رجالكم. وكان لا يجيز نقل الحديث بالمعنى. وكان يقدم عمل الصحابة على روايتهم للحديثعند التعارض. وأحــدث مرة قولا ثالثا في الفقه جمع فيه بين قوليــن للصحابة. وروي عنه ذم القياس والمقصود القياس الباطل.

Conclusion

Ibn Sirin was born in Basra and was beautiful cohabitation with his brothers and was leaving for heresy, and he was nice with his mother.

He was abounding of worship dislikes backbiting, interested in cleanliness of his body and he was famous for the interpretation of dreams.

Ibn Sirin was thirty companions of the Messenger of Allah and died in 110. From his doctrine in the origins of fiqh he did not take the mursal and say, call us your men. He disallows transfer the hadith by meaning.

And he presents the work of the companions in their version to hadith when the conflict.

فهرس المراجع

إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، التبصرة في أصول الفقه، تحقيق محمد حسن هيتو، دار الفكر: دمشق ـ سوريا، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ

أحمد بن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، تحقيق وصي الله عباس، المكتب الإسلامي: بيروت ـ لبنان / دار الخاني: الرياض ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م

الجصاص، أحمد بــن علي الرازي، الفصول فــي الأصول، تحقيق محمــد تامر، دار الكتب العلمية: بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ٢٠١٠م

(١) الشيرازي، التبصرة، ج١ ص٤٣٠.

(٢) الجصاص، الفصول في الأصول، ج٢ ص٢٣٩.

الزركشــي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق محمد تامر، دار الكتب العلمية: بيروت ـ لبنان

الخليــل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهــدي المخزومي ـ إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون ذكر تاريخ، باب الكاف واللام والميم

الزركلــي، خير الدين بــن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر: ٢٠٠٢ م

عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ـ محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير: دمشق ـ سورية، طبعة: ١٤٠٦هـ

عبــد الرحمن بــن شهاب الدين بن رجب، شــرح علل الترمذي، تحقيق همــام سعيد، مكتبة الرشد: الرياض ـ السعودية، الطبعة الثانية: ١٤٢١هـ ٢٠٠١م

عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج بن الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق محمود فاخوري ـ محمد رواس قلعهجي، دارالمعرفة: بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م

عبد القادر بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، الناشر مير محمد كتب خانه، كراتشي ـ باكستان

عبــد الله بــن أحمد بن قدامة المقدسي أبــو محمد، المغني في فقه الإمــام أحمد بن حنبل الشيباني، بدون ذكر محقق، دارالفكر: بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ

عبــد الله بن محمــد بن أبي شيبة العبســي الكوفي، المصنف، تحقيــق محمد عوامة، طبعة الدار السلفية بالهند، الطبعة الثانية: ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م

علــي بــن أحمد بن حــزم الأندلسي أبــو محمد، الإحكام فــي أصول الأحــكام، دار الحديث: القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ، بدون ذكر محقق

علي بن عبد الكافي السبكي، الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، دار الكتب العلمية: بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ

علــي بن عمر الدارقطني، السنن، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة: بيروت ـ لبنان، بدون ذكر تاريخ

علــي بــن محمد الآمــدي، الإحكام في أصــول الأحكام، تحقيــق سيد الجميلــي، دار الكتاب العربي: بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ

علــي بن محمد البــزدوي الحنفــي، كنز الوصــول إلى معرفــة الأصول المعــروف ب «أصول البزدوي»، مطبعة جاويد بريس: كراتشي ـ باكستان

محمد أمين، تيسيرالتحرير، بدون ذكر محقق، دار الفكر: بيروت ـ لبنان، بدون ذكر تاريخ

محمـد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الـرازي (ابن أبي حاتم)، الجرح والتعديل، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية: حيدر آباد الدكن: الهند، الطبعة الأولى: ١٢٧١هـ ـ ١٩٥٢م

محمـد بن أحمـد بن عثمان الذهبـي، تذكرة الحفـاظ، تحقيق زكريا عميـرات، دار الكتب العلمية: بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م

محمـد بـن جرير الطبـري، جامع البيان فـي تأويل القـرآن، تحقيق أحمد شاكـر، مؤسسة الرسالة: بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م

محمـد بن حبان البستـي، الثقات، تحقيق شرف الديـن أحمد، دار الفكـر، الطبعة الأولى: ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م

محمـد بـن الحسين بن محمد بـن خلف ابن الفـراء (القاضي أبو يعلى)، العـدة في أصول الفقه، تحقيق أحمد بن علي بن سير المباركي، الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م

محمـد بن سعد أبو عبد الله البصري، الطبقـات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، دارصادر: بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٩٦٨م

محمـد بـن عبد الرحمن السخـاوي، فتح المغيث شـرح ألفية الحديـث، دار الكتب العلمية: بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ ، ج١ ص١٣٩.

محمـد بن عمـرو بن موسى بن حماد العقيلـي، الضعفاء، تحقيق عبـد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية: بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ ـ١٩٨٤م

مسلـم بن الحجاج بن مسلـم القشيري النيسابـوري، الجامع الصحيـح، دار إحياء التراث العربي: بيروت ـ لبنان، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بدون ذكر تاريخ

منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، قواطـع الأدلة في الأصول، تحقيق محمد حسن إسماعيل، طبعة دار الكتب العلمية: بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ ـ١٩٩٩م

ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دارالفكر: بيروت ـ لبنان

يوسـف بن عبـد الله بن عبـد البر، الاستيعـاب في معرفـة الأصحاب، تحقيـق علي محمد البجاوي، دار الجيل: بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٢م

د. أحمد إبراهيم الحاج
عضو هيئة التدريس في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
أكاديمية الإمام البخاري الدولية وجامعة الاسطرلاب الدولية

أسس حفظ الوطن في السنّة النبويّة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله الذي أطعم من جوع خلقه، وآمن من خوف عباده، والصلاة والسلام على نبينا محمد أرسله الله بالحق والشهادة، وعلى آله وصحبه ومن سار على دربهم واقتدى إلى يوم الإعادة.

أمَّا بعدُ: ولدت من أبوين لاجئين، قَدِما من فلسطين إلى لبنان، الذي ولدت فيه، عشت ونشأت، تعلمت وكبرت، وتزوجت وأنجبت، ورأيت أحفادي ... وأنا أنظر أمامي إلى وطني السليب المحتل فلسطين، وقريتي (سعسع) شمال فلسطين، قرب حدود لبنان، لا أستطيع بلوغها، ولا العيش في كنفها، والتمتّع بما فيها من خيرات. عايشت مآسي وحروب لبنان، وعشت النزوح، ورأيت العديد من بلدان العرب والمسلمين تعصف بها الحروب، قتل ودمار وخراب، تشريد ونزوح ولجوء، الناس دون مأوى أو استقرار، ينشدون النجاة والخلاص مِمّا أصابهم، ونزل في ديارهم ...

فعلمت أهمية العيش في كنف وطن آمن، وضرورة المحافظة عليه من قبل مواطنيه الذين يحملون هويته، أو القاطنين فيه يعيشون في ظلاله، حتى يعيش الناس بأمن وأمان، وسلامة واطمئنان، محافظين على بلدانهم وأوطانهم وأماكن إقامتهم من كلّ ما يخلّ بأمنها ويزعزع استقرارها داخلياً وخارجياً.

من هنا كان هذا البحث بعنوان: (أسس حفظ الوطن في السنّة النبويّة)، الذي جعلته في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

المقدّمة: وتحتوي على الاستفتاحية، وسبب اختيار الموضوع، وبيان خطة ومنهج البحث، وأهميته.

المبحث الأول: حقيقة الوطن وأهميته.

المبحث الثاني: أسس حفظ الوطن داخلياً: وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: حفظ الوطن دينياً.

المطلب الثاني: حفظ الوطن اجتماعياً.

المطلب الثالث: حفظ الحقوق وإقرار الواجبات.

المطلب الرابع: حفظ الوطن فكرياً وتربوياً وتعليمياً.

المطلب الخامس: حفظ الأمن العام.

المطلب السادس: حفظ الوطن إعلامياً.

المطلب السابع: طاعة ولي الأمر.

المطلب الثامن: احترام القانون.

المبحث الثالث: حفظ الوطن خارجياً، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إعداد القوة العسكرية للدفاع عن الوطن.

المطلب الثاني: الحراسة على الحدود.

المطلب الثالث: الدفاع وردّ الأعداء.

المطلب الرابع: بناء علاقات قوية مع الدول.

الخاتمة: وتحتوي على عدد من النتائج، وخلاصة موجزة عن أهم نقاط البحث، متبوعة بذكر المصادر والمراجع، والفهرس في آخره.

وقد التزمت في هذا البحث منهجا واضحاً تمثّل فيما يلي:

١- بيان مواضع الآيات القرآنية في المصحف الشريف، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢- تخريج الأحاديث النبوية الواردة في ثنايا البحث، وذلك بالرجوع إلى كتب الحديث المعتمدة عند المُحَدِّثين.

٣- التزام الأمانة العلمية في عزو الأقوال إلى قائليها، وبذل الجهد في نقل قول كل قائل من مصدره الأصلي.

٤- الحرص على تدعيم البحث بالنصوص الشرعية من الكتاب والسُنَّة، وأقوال العلماء.

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث في هذا الموضوع من خلال النقاط التالية:

١- الوقوف على معنى الوطن وحقيقته، وأهمية المحافظة عليه في حياة الفرد والمجتمع.

٢- المساعدة على معرفة وضبط الأسس التي تساعد على حفظ الوطن، والعمل على الاستفادة منها وتطبيقها.

٣- الدعوة إلى الحفاظ على الوطن بمقدراته ومؤسساته وشعبه وقيادته، وصولاً إلى حفظ

واستقرار المجتمع، وصيانة الوطن من التفكك.

وختامًا، فإنّ هذا جهد متواضع أرجو من الله تعالى له القبول، فقد بذلت فيه ما وسعني من جهد، فإن وفّقت فيه فللّه تعالى الفضل والمنّة، وإن كان غير ذلك فحسبي أنّي مشيت الخطا، وحاولت الوصول، والله سبحانه وتعالى يثيب على حُسن القصد، ويعفو عن الخطأ.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا إلى ما يحبّه ويرضاه، وأن يُجنّبنا الزّلل، ويرشدنا إلى الحقّ والصّواب، وأن يجمع كلمة المسلمين، وأن يحفظ أوطانهم، إنه وليّ ذلك والقادر عليه. والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمّد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

المبحث الأول

حقيقة الوطن وأهميته

قال ابن منظور: (الوَطَنُ: المَنْزِلُ تُقيمُ به، وَهُوَ مَوْطِنُ الإنْسَانِ وَمَحَلُّهُ ... وَالْجَمْعُ أَوْطَانٌ. وأَوْطَانُ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ: مَرَابِضُهَا وَأَمَاكِنُهَا الَّتِي تأْوِي إِلَيْهَا ... ومَوَاطِنُ مَكَّةَ: مَوَاقِفُهَا، وَهُوَ مِنْ ذَلِكَ. وَطَنَ بالْمَكَانِ وأَوْطَنَ أَقَامَ، الأَخِيْرَةُ أَعْلَى. وأَوْطَنَهُ: اتَّخَذَهُ وَطَنًا. يُقَالُ: أَوْطَنَ فلانٌ أَرْضَ كَذَا وَكَذَا أي اتَّخَذَهَا مَحَلاًّ ومَسْكَنًا يُقِيمُ فِيهَا)[1].

الوطن هو البيت والمنزل الذي يقيم فيه الإنسان، والقرية والتجمّع السكاني صغير الحجم، والمدينة الأكثر كثافة، والرقعة من الأرض فيها بيوت وقرى ومدن يقطنها أناس، وينتسب وينتمي إليه آخرون، سواء وُلِدوا فيه وعاشوا أم لا.

الوطن بيت وحياة واستقرار واطمئنان، وتعلّق الإنسان بالوطن فطرة وغريزة، وحاجة الإنسان إلى الوطن ضرورة، حتى الحيوان يبحث عن وطنه. قال الدينوري نا زكريا بن يحيى نا الأصمعي قال: (سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ الرَّجُلَ فَانْظُرْ كَيْفَ تَحَنُّنُهُ إِلَى أَوْطَانه، وَتَشَوُّقُهُ إِلَى إِخْوَانِه، وَبُكَاؤُهُ عَلَى مَا قَضَى مِنْ زَمَانه) . وقال: حدثنا محمد بن يونس القرشي نا الأصمعي قال: (قَالَتِ الْهِنْدُ: الْحنَّةُ في ثَلاثَةِ أَصْنَافٍ مِنَ الْحَيَوَانِ: في الإبلِ تَحِنُّ إِلَى أَعْطَانِهَا وَلَوْ كَانَ عَهْدُهَا بهَا بَعِيدًا، وَالطَّيْرِ إِلَى وَكْرِهِ وَإِنْ كَانَ مَوْضِعُهُ مُجْدِبًا، وَالإِنْسَانِ إِلَى وَطَنِه وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ أَكْثَرَ لَهُ نَفْعًا)[2].

مفارقة الوطن الذي ولد فيه الإنسان، وتربّى، أو عاش، أمر فيه صعوبة، فقد أخرج الله نبيّه محمّدًا ﷺ من بيته وموطنه في مكة إلى المدينة، قال الله تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ (الأنفال:٥).

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (٤٥١/١٣) .

(٢) الدينوري، المجالسة وجواهر العلم (٢٠٨/٢ و٢٠٩) رقم (٣٣٢ و٣٣٣) .

وفـي حديث بدء الوحـي: (فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَـزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُـمْ»، قَـالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَـطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِـي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُـؤَزَّرًا)[1]. فاستغـرب واستنكـر صلى الله عليه وسلـم إخراجه من أرضه ووطنـه. قال السهيلي: (يُؤْخَذُ مِنْهُ شِدَّةُ مُفَارَقَةِ الْوَطَنِ عَلَى النَّفْسِ، فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ قَوْلَ وَرَقَةَ أَنَّهُمْ يُؤْذُونَهُ وَيُكَذِّبُونَـهُ فَلَـمْ يَظْهَرْ مِنْهُ انْزِعَاجٌ لِذَلِـكَ، فَلَمَّا ذَكَرَ لَهُ الإِخْرَاجَ تَحَرَّكَتْ نَفْسُـهُ لِذَلِكَ، لِحُبِّ الْوَطَنِ وَإِلْفِهِ، فَقَالَ: أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ)[2].

قال زهير بن أبي سُلمى[3]:

ثَلاَثٌ يَعِزُّ الصَّبْرُ عِنْدَ حُلُولِهَا ... وَيَذْهَلُ عَنْهَا عَقْلُ كُلِّ لَبِيْبِ

خُرُوجُ اضْطِرَارٍ مِنْ بِلاَدٍ يُحِبُّهَا ... وَفُرْقَةُ إِخْوَانٍ وَفَقْدُ حَبِيْبِ

لقـد أكّد النبي ﷺ على محبّته وتعلّقه، وحنينه واشتياقه لموطنه في مكة، فهي الأرض التي وُلِد ونشأ وشبّ وتزوّج فيها، وبُعث نبيًا، عن عبد الله بن عدي بن حمراء قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ وَاقِفًا عَلَى الحَزْوَرَة فَقَـالَ: «وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ»[4].

بعـد حبّ مكة أحـبّ النبي ﷺ المدينة، الأرض التـي آوته ونصرته، وعاش فيها بقية أيام حياته، حتى توفي ودُفن فيها. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ... قَالَ: «اللَّهُمَّ الْعَنْ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ، كَمَا أَخْرَجُونَا مِـنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الْوَبَاءِ». ثُمَّ قَـالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّـبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ ..»[5]. فمع حبّ المدينة لم يستطع نسيان حبّ مكة.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا شارف على المدينة أسرع السير للدخول إليها، محبّة لها، عن أنـس رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَـدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَأَبْصَرَ دَرَجَاتِ الْمَدِينَةِ، أَوْضَعَ نَاقَتَهُ، وَإِنْ كَانَتْ دَابَّةً حَرَّكَهَا»[6]. قال الحافظ ابن حجر: (وَفِي الْحَدِيثِ دِلالَةٌ عَلَى فَضْلِ الْمَدِينَةِ،

(١) رواه البخاري كتاب بدء الوحي، باب من الوحي الرؤيا الصالحة، ص (١٨)، رقم (٣) . ومسلم كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١/١٣٩-١٤٢) رقم (١٦٠) .

(٢) ابن حجر، فتح الباري (١٢/٣٧٦) .

(٣) الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ص (٣١٥) .

(٤) رواه الترمذي كتاب المناقب، باب في فضل مكة (٥/٧٢٢) رقم (٣٩٢٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب . وابن ماجه كتاب المناسك، باب فضل مكة (٢/١٠٣٧) رقم (٣١٠٨) . وأحمد (٣١/١٠-١٤) رقم (١٨٧١٥-١٨٧١٨) . وغيرهم. وصححه الألباني والأرنؤوط .

(٥) أخرجه البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب رقم ١٢، ص (٤٤٧)، رقم (١٨٨٩) . ومسلم كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها (٢/١٠٠٣) رقم (١٣٧٦) .

(٦) أخرجه البخاري، كتاب العمرة، باب من أسرع ناقته إذا بلغ المدينة، ص (٤٢٦)، رقم (١٨٠٢) .

وَعَلَى مَشْرُوعِيَّةِ حُبِّ الوَطَنِ وَالحَنِيْنِ إِلَيْه)[1].

إنّ مـن نِعَم الله تعالى على عبده أن يكون له موطـن يعيش فيه بأمان، يقدّم واجباته، ويأخذ حقوقـه، عـن عبيد الله بـن محصن الخطمي، وكانت لـه صحبة، قال: قال رسـول الله ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»[2].

المبحث الثاني

أسس حفظ الوطن داخليًا

إنّ حفـظ الوطـن على المستوى الداخلي يتطلب العديد من العوامل والأسس التي تحقق هذه الغاية، ويمكن بيانها في عدد من المطالب على النحو التالي:

المطلب الأول

حفظ الوطن دينيًا

لا يمكـن إغفـال دور الديـن في التربية علـى حفظ الوطـن، لأن التربية الدينيـة أساس في تربيـة الإنسان وتعليمه قواعد السلوك الصحيح، حتى يتمكّن الفـرد من الإسهام في تنمية وطنه، والمشاركة الفاعلة في تحقيق استقراره، ليكون مشاركًا إيجابيًا في العمل لخدمة وطنه وشعبه.

ويمكن تحقيق هذه التربية من خلال المساجد والمعاهد الشرعية والمدارس الرسمية، ولقد ابتـدأ النبـي صلى الله عليه وسلم هذه التربية من خلال بنـاء المسجد – وهو أول عمل قام به بعد وصولـه المدينـة – لتأسيس وطن آمن دينيًا وعقائديًا وفكريًا وتربويًـا وأخلاقيًا واقتصاديًا، فكان الانطـلاق من خـلال المسجد لتحقيق دوره الريـادي في التربية. عن أنس رضـي الله عنه: (قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ، وَأَمَرَ بِبِنَاءِ المَسْجِدِ ...)[3].

كان المسجـد زمـن النبي ﷺ يمثل كافة دوائر الدولة ووزاراتهـا، وينظّم شؤونها، ولقد بيّن النبـي صلـى الله عليه وسلم من خـلال اهتمامه بالمسجد الـدور الريادي الـذي يمثله المسجد، فهـو أول دعائم بنـاء المجتمع، وصيانة وحفظ الوطن، وهو المنارة التـي تضيء الطريق للإنسان فـي حياتـه، يأخذ فيه دينه، يؤدي فيـه الصلوات الخمس التي تربّي على القيـم والفضائل، وتنهى عـن الشـرور والرذائل. يتعلّم المرء فيـه الإخلاص والصـدق والوفاء والمحبـة ... يتربّى إيمانيًا وروحيًـا وخُلقيًا وعلميًا. قـال تعالـى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ (التوبة:١٨). وقـال: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ

(١) ابن حجر، فتح الباري (٣/٧٢٧).

(٢) رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ٣٤، (٤/٥٧٤) رقم (٢٣٤٦)، وقال: هذا حديث حسن غريب. وابن ماجه كتاب الزهد، باب القناعة (٢/١٣٨٧) رقم (٤١٤١). وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه البخاري كتاب فضائل المدينة، باب حرم المدينة، ص (٤٤٣) رقم (١٨٦٨).

﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ (النور:٣٦-٣٧).

إن التربية الدينية تساعد على استشعار ما للوطن من فضائل وحقوق على الفرد، فيؤدي هذا الاستشعار إلى ردّ هذه الفضائل بصيانة الوطن، والحفاظ عليه، والدفاع عنه. فتعمل هذه التربية على تعميق الانتماء الحقيقي للوطن. كما تركز على غرس معاني المحبة والمودة بين أبناء الوطن، وتعمل على التعايش وإقامة جسور التآلف والتعاون والتناصح والتناصر بين أفراد المجتمع.

المطلب الثاني

حفظ الوطن اجتماعيًا

لقد حرص النبي ﷺ على تحصين المجتمع من خلال المؤاخاة، وتأكيد دورها في التعاون والتكافل والتناصح والتكامل ووحدة المجتمع، فلما قدم المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وعمل على إزالة رواسب العصبية الجاهلية من النفوس، وإسقاط فوارق النسب واللون والمال، وجعل التميز بين الناس بالتقوى، عن عاصم قال: (قُلْتُ لأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: أَبَلَغَكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لاَ حِلْفَ فِي الإِسْلاَمِ»؟ فَقَالَ: قَدْ حَالَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَالأَنْصَارِ فِي دَارِي)[١].

قال ابن حجر: (قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: حَالَفَ بَيْنَهُمْ أَيْ آخَى بَيْنَهُمْ. يُرِيدُ أَنَّ مَعْنَى الْحِلْفِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَعْنَى الأُخُوَّة فِي الإِسْلام، لَكِنَّهُ فِي الإِسْلام جَارٍ عَلَى أَحْكَام الدِّين وَحُدُوده، وَحِلْفُ الْجَاهِلِيَّةِ جَرَى عَلَى مَا كَانُوا يَتَوَاضَعُونَهُ بَيْنَهُمْ بِآرَائِهِمْ، فَبَطَلَ مِنْهُ مَا خَالَفَ حُكْمَ الإِسْلام، وَبَقِيَ مَا عَدَا ذَلِكَ عَلَى حَالِه)[٢].

لقد حرص النبي ﷺ على ربط أفراد المجتمع برابط قوي، حتى وصلوا إلى مرتبة الأخوة بفضل الله القائل: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران:١٠٣).

وجعلهم النبي صلى الله عليه وسلم جسدًا واحدًا، يتوادّون ويتراحمون ويتعاطفون، يشعر بعضهم ببعض، يفرح لفرحه، ويألم لألمه، فألف القلوب، وجمع الكلمة، عن النعمان بن بشير قال رسول الله ﷺ: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى

(١) رواه البخاري كتاب الكفالة، باب قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾، ص (٥٤٣) رقم (٢٢٩٤). ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه رضي الله تعالى عنهم (١٩٦٠/٤) رقم (٢٥٢٩).

(٢) ابن حجر، فتح الباري (٥٥٤/٤).

عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[1].

وجعلهم بنيانًا واحدًا، متراصًا متماسكًا، عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا »، وَشَبَّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَابِعَهُ [2].

وصيّرهم مجتمعًا قويًا، متعاونًا متناصرًا، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِم، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّه فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »[3].

كل هذه الأمور من عوامل حفظ المجتمع والوطن، فحين يتكون المجتمع من أشخاص هذا حالهم يكون الوطن محصّنًا محميًا اجتماعيًا، لا يستطيع أحد النيل منه، أو الطعن فيه.

المطلب الثالث

حفظ الحقوق وإقرار الواجبات

راعى الإسلام بين حقوق الإنسان وواجباته، فهما كجناحي طائر لا يطير إلا بهما، ولا تقوم حياة الإنسان إلا بنيل حقوقه وأداء واجباته.

حقّ الإنسان في الإسلام منحة من الله، فللإنسان حقوق في الحياة الكريمة الآمنة، وتأمين المسكن، والمأكل، والتعليم، والعمل، والحماية، والجنسية والهوية، والتملك، والمساواة، والعدل والإنصاف، والرعاية الصحية ...

وعليه من الواجبات التي يجب أن يلتزم بها في مختلف المجالات الدينية والإنسانية والقانونية والاجتماعية والأخلاقية والأسرية والسياسية...

وهذه الحقوق والواجبات التي أقرتها الشريعة الإسلامية السمحاء لا تسري على المسلم وحده، بل هي شاملة لكل الإنسانية، ويمكن اعتبارها دستورًا في هذا المجال.

لقد راعت الشريعة المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:٩٢). وتمثّل ذلك في المعاهدة النبوية التي كتبها رسول الله ﷺ في المدينة، وجاء فيها: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ﷺ، بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ، فَلَحِقَ بِهِمْ، وَجَاهَدَ

(١) رواه البخاري كتاب الأدب، باب رحمة الناس بالبهائم، ص (١٥٢٥) رقم (٦٠١١)، واللفظ له . ومسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (١٩٩٩/٤) رقم (٢٥٨٦) .

(٢) رواه البخاري كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، ص (١٢٨) رقم (٤٨١)، واللفظ له . ومسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (١٩٩٩/٤) رقم (٢٥٨٥) .

(٣) رواه البخاري كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلمَ المسلمُ ولا يُسلمه، ص (٥٨٥) رقم (٢٤٤٢) . ومسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (١٩٩٦/٤) رقم (٢٥٨٠) .

مَعَهُـمْ، إنَّهُـمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِـنْ دُوْنِ النَّاسِـنِ...) [1]. فهذه المساواة في الحقـوق والواجبات للجميع أساسـ لا مناصـ منه لإقامة مجتمع متماسك يحقّـق التكافل والتعايش بيـن الجميع، مما يساعد على حفظ الوطن.

وحتى تتكامل الأمور لا بد من حفظ كرامة الإنسان، وحقّه في حياة كريمة، يكون فيها مصان الـدّم والعرض والمـال، عن ابن عباس عن النبـي صلى الله عليه وسلم قـال: «الْمُسْلِمُـونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُـمْ، وَهُمْ يَـدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُـمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُـمْ، وَيُرَدُّ عَلَى أَقْصَاهُـمْ» [2]. وعن أبي هريـرة قـال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلـم: «لاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَنَاجَشُـوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَـرُوا، وَلاَ يَبِـعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْـعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِـمُ أَخُو الْمُسْلِم، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُـهُ، وَلاَ يَحْقِـرُهُ، التَّقْـوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَـدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّات «بِحَسْـبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِـرَ أَخَـاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِـمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُـهُ، وَعِرْضُهُ» [3]. وجاء في بنود الوثيقة النبوية: (وَإِنَّهُ مَن اعْتَبَطَ مُؤْمِنًا قَتْلاً عَنْ بَيِّنَةٍ فَإِنَّهُ قَوَدٌ بِهِ إِلَى أَنْ يَرْضَى وَلِيُّ الْمَقْتُولِ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلَيْهِ كَافَّةً، وَلاَ يَحِلُّ لَهُمْ إِلاَّ قِيَامٌ عَلَيْهِ) [4].

الحـق بالحياة الكريمـة لكل إنسان، ولا بد من حفظ هذا الحق من خلال ردع كل من يتجاوز الحدود باعتداء على كرامة أو حياة الإنسان، أو يفكر فيه، لذلك لا بد من منع البغي والعدوان على حياة وكرامة وعرض ومال وعمل الإنسان.

فأداء الحقوق والواجبات – من الجميع ولهم – يؤسس لدولة آمنة يقوم الجميع ويحرص على حمايتهـا والدفاع عنها، ويضمن الحياة العادلة للجميع، والحياة الكريمة لكل فرد، وتكفل الترابط بين الناس دون تفريق.

المطلب الرابع

حفظ الوطن فكريًا وتربويًا وتعليميًا

العلـم بكتاب الله تعالـى وسنّة نبيّه صلـى الله عليه وسلم، ومعرفة الأحـكام، وفهم مقاصد الشريعـة وقواعدها الكلية، يجعل الإنسان مهتمًا بعواقب ونتائج أقواله وأفعاله، فلا يصدر عنه إلا ما فيه الخير للبلاد والعباد.

أمـا البعـد عن العلم فيؤدّي إلى ظهور الجهل الذي يُخِـلّ بحفظ الدّين، ويؤدّي إلى الخلل في حفـظ الوطن. لذلك لا بدّ من مواجهة الأفـكار المنحرفة الضالّة، والأخلاق الفاسدة ومنها خيانة

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (١/٥٠١). وابن كثير، السيرة النبوية (٢/٣٢١).

(٢) رواه ابن ماجه كتاب الديات، باب المسلمون تتكافأ دماؤهم (٢/٨٩٥) رقم (٢٦٨٣). وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري كتاب الفرائض، باب تعليم الفرائض، ص (١٦٩٠) رقم (٦٧٢٤) مختصراً. ومسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله (٤/١٩٨٦) رقم (٢٥٦٤)، واللفظ له.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية (١/٥٠٣). وابن كثير، السيرة النبوية (٢/٣٢٢).

الوطـن، مـن خلال تقديم النصح والإرشـاد، وبيان الفكر السليم المعتـدل، ونشر الأمن الفكري، وإعـادة تأهيل من وقع في أحضان وبراثن أهل التطرف، وتورط في أعمالهم، عن تميم الداريّ أن النبـي صلـى الله عليه وسلم قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[1]. وعن جرير بن عبد الله قال: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»[2].

ومن خـلال بيان أحـوال المنحرفين فكريًا ومنهجيًـا، وكشف أوصافهـم وأعمالهم، ليحذر النـاس منهم، عـن أبي سعيد رضي الله عنـه قال: بَعَثَ عَلِيٌّ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَـى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذُهَيْبَةٍ فَقَسَمَهَا بَيْنَ الْأَرْبَعَةِ الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيِّ، ثُمَّ الْمُجَاشِعِيِّ، وَعُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ الْفَزَارِيِّ، وَزَيْدٍ الطَّائِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ، وَعَلْقَمَةَ بْنِ عُلَاثَةَ الْعَامِرِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلَابٍ، فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ وَالْأَنْصَارُ، قَالُوا: يُعْطِـي صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ وَيَدَعُنَا، قَالَ: «إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ». فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاتِئُ الْجَبِينِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ مَحْلُوقٌ، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: «مَنْ يُطِعِ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُ؟ أَيَأْمَنُنِي اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَلَا تَأْمَنُونِي»، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ قَتْلَهُ -أَحْسِبُهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ- فَمَنَعَهُ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: «إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا -أَوْ فِي عَقِبِ هَذَا- قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَـاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِـنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَـانِ، لَئِنْ أَنَـا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[3]. وعن علـي رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقـول: «يَأْتِي فِـي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْـلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُـونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[4].

ومـن خلال نبذهم وعـدم إيوائهم أو نصرتهم، أو تسهيل أمورهـم، أو مساعدتهم، عن علي رضـي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الْمَدِينَةُ حَرَامٌ مَا بَيْنَ عَائِرٍ إِلَى كَذَا، فَمَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ عَدْلٌ وَلَا صَرْفٌ...»[5]. فإيـواء المفسدين والمعتديـن وأصحاب الغلو والفكر الضال المنحرف جـرم عظيم يستحق عليه صاحبه الوعيد والعذاب الشديد.

---

(١) رواه مسلم كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (٧٤/١) رقم (٥٥).

(٢) رواه البخاري كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: الدّين النصيحة، ص (٣٤) رقم (٥٧). ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (٧٥/١) رقم (٥٦).

(٣) رواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله عز وجل ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾، ص (٨١٧) رقم (٣٣٤٤). ومسلم كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٧٤٢/٢) رقم (١٠٦٤).

(٤) رواه البخاري كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ص (٨٨٣) رقم (٣٦١١). ومسلم كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج (٧٤٦/٢) رقم (١٠٦٦).

(٥) رواه البخاري كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من عاهد ثم غدر، ص (٧٨٠) رقم (٣١٧٩). ومسلم كتاب الحج، باب فضل المدينة، ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، وبيان تحريمها، وتحريم صيدها وشجرها، وبيان حدود حرمها (٩٩٤/٢) رقم (١٣٧٠).

ومـن خلال ردعهم وزجرهم، والأخذ على أيديهم، ومنعهم من نشر أفكارهم وإفساد الناس بهـا، عـن أنس رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: « انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًـا أَوْ مَظْلُومًا ». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّه، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: « تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ »[1]. وعَنْ جَابِرٍ قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «فَلاَ بَأْسَ وَلْيَنْصُرِ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، إِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْهَهُ، فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرٌ، وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ»[2].

المطلب الخامس

حفظ الأمن العام

الأمـن أن يعيشـ الناس في هـدوء وسكينة، واستقـرار نفسي، واطمئنان قلبـي، لا يشعرون بخـوف على دينهم وأنفسهم وأموالهـم وأعراضهم وديارهم، وهذا الأمن حاجة ملحّة للإنسان، لا يستطيع الاستغناء عنه.

والأمـن أنـواع متعدّدة، منه النفسـي والثقافي والفكري والعسكـري والسياسي والاقتصادي والمائـي والوطنـي والوقائي والغذائي... ونشـر الأمن والأمان، ومواجهة الأعمـال التخريبية التي تعكّـر صفو الأمـن، وتريد النيل من الوطن والمواطن، وتنال من مقدراتـه، وتعبث بمتلكاته، سبيل إلى الحياة المستقرة، وطريق إلى السعادة.

لقـد كانـت الوثيقة النبويـة عاملاً قويًا فـي حفظ الأمن بعـد أن كان منعدمًـا، حيث أعطى النبـي صلى الله عليه وسلم من خلالها القوانين المهمة التي تعطي الأمن والأمان، وتحفظ الوطن والمواطـن، فكان أمر المحافظة علـى الوطن من كلّ مَن يسكنه، ففي الوثيقـة النبوية: (إِنَّ يَثْرِبَ حَـرَامٌ جَوْفُهَا لأَهْـلِ هَذِهِ الصَّحِيْفَـةِ..)[3]. فالأمن يدفـع الخلاف والنزاع والقتـال، ويزيل القلق والخوف والاضطراب.

ومـن عوامـل حفظ الوطـن واستقراره: أن لا يُسمـح بأيّ جرم أو اعتداء مـن أحد مهما علا شأنـه، وارتفعت مكانته، فقد جاء في الوثيقة النبوية: (لاَ يَحُولُ هَذَا الكِتَابُ دُونَ ظَالِمٍ أَوْ آثِمٍ)[4]، وهـذا يعني رفـع الحصانة عن أيّ مفسـد مُخِلّ بأمن الوطـن، ومنعه من ذلـك، لأنّ هذا نصر له وللوطن.

ومـن عوامل حفـظ الوطن: الأخذ علـى أيدي العابثيـن المفسدين، المعتديـن على الأنفس والأعراض والأموال، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ

(١) رواه البخاري كتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه ....، ص (١٧٤٥) رقم (٦٩٥٢).

(٢) رواه مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا (١٩٩٨/٤) رقم (٢٥٨٤).

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية (٥٠٤/١). وابن كثير، السيرة النبوية (٣٢٢/٢).

(٤) المصدر السابق.

﴿ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة:٣٣).

لذلك لَمّا تجاوز البعض هذه الجوانب في المدينة وأرادوا نشر الفوضى والخوف كانت المواجهة والعقاب، عن أنس بن مالك قال: قَدِمَ أُنَاسٌ مِنْ عُكْلٍ أَوْ عُرَيْنَةَ، فَاجْتَوَوْا الْمَدِينَةَ «فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بلقاح، وَأَنْ يَشْرَبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا» فَانْطَلَقُوا، فَلَمَّا صَحُّوا قَتَلُوا رَاعِيَ النَّبِيِّ ﷺ، وَاسْتَاقُوا النَّعَمَ، فَجَاءَ الخَبَرُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، فَبَعَثَ فِي آثَارِهِمْ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ جِيءَ بِهِمْ، «فَأَمَرَ فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، وَسُمِرَتْ أَعْيُنُهُمْ، وَأُلْقُوا فِي الحَرَّةِ، يَسْتَسْقُونَ فَلاَ يُسْقَوْنَ». قَالَ أَبُو قِلاَبَةَ: «فَهَؤُلاَءِ سَرَقُوا وَقَتَلُوا، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَحَارَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ»[1].

وهذا ما حصل مع بني قينقاع حين امتدت أيديهم إلى الأعراض، ومع بني النضير حين حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم، ومع بني قريظة حين خانوا ونقضوا العهد، وساعدوا الغزاة.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: «أَنَّ يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ، وَقُرَيْظَةَ، حَارَبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَجْلَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَنِي النَّضِيرِ، وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ، حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ، وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلاَّ أَنَّ بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَآمَنَهُمْ وَأَسْلَمُوا، وَأَجْلَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يَهُودَ الْمَدِينَةِ كُلَّهُمْ، بَنِي قَيْنُقَاعَ، وَهُمْ قَوْمُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ، وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَكُلَّ يَهُودِيٍّ كَانَ بِالْمَدِينَةِ»[2].

المطلب السادس

حفظ الوطن إعلاميًا

في ظل الثورة الكبيرة في عالم الاتّصال والتّواصل، وسرعة وصول الأخبار والأفكار عبر وسائل الإعلام المقروء والمسموع والمرئي، وعبر مواقع التواصل الاجتماعي، التي دخلت كل بيت، ورافقت كل شخص، لا بدّ من التنبّه إلى إيجابيات وسلبيات مثل هذه الوسائل، التي قد تكون عامل بناء وتطوير للوطن، أو معول هدم ودمار فيه.

فحين يكون الإعلام ووسائله منبرًا ومنطلقًا للتّخوين والاتّهام، وقول الزور، وسوء الظنّ، وبثّ الإشاعات، ونشر الأكاذيب، وإشاعة الفاحشة، وتزيين الباطل، وتحسين الفساد، يتحوّل المجتمع إلى خراب، والوطن إلى دمار، لذلك نهى الله تعالى عن كل هذه الأمور فقال: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ (الحج:٣٠). وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًا﴾ (الحجرات:١٢). وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴾ (الفرقان:٧٢). وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ

(١) رواه البخاري كتاب الوضوء، باب أبوال الإبل والدواب والغنم، ص (٧٣) رقم (٢٣٣). ومسلم كتاب القسامة، باب حكم المحاربين والمرتدين (١٢٩٦/٣) رقم (١٦٧١).

(٢) رواه البخاري كتاب المغازي، باب حديث بني النضير ....، ص (٩٨٣) رقم (٤٠٢٨). ومسلم كتاب الجهاد والسير، باب إجلاء اليهود من الحجاز (١٣٨٧/٣) رقم (١٧٦٦)، واللفظ له.

أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النـور:١٩). وحـذّر منهـا النبي ﷺ، عن أبي هريـرة رضـي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال: « إيَّاكُـمْ وَالظَّنَّ، فَـإِنَّ الظَّنَّ أَكْـذَبُ الحَديث، وَلا تَحَسَّسُـوا، وَلا تَجَسَّسُـوا، وَلا تَنَاجَشُوا، وَلا تَحَاسَـدُوا، وَلا تَبَاغَضُوا، وَلا تَدَابَـرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللّٰه إِخْوَانًا» [١].

لذلـك لا بدّ من العمل علـى الحدّ من سلبيات ومخاطر هذه الوسائـل، من خلال عدم إبراز وإظهـار مواطن ضعـف المجتمع وتعريتـه أمام الآخريـن، والحذر من مخاطر الوقـوع في حبائل الاحتيـال التي ينصبهـا البعض عبر هـذه الوسائل، والحدّ مـن إبراز الجرائـم وإعلانها بصورة تصبح الجريمة عند الناس عادة، أو تعلّم الناس وسائل وطرق الإجرام، وعدم فتح المجال للأبواق الناعقة التي تسعى إلى الفساد والخراب.

فـي المقابل لا بـدّ من ضبط وسائـل الإعلام والتّواصـل الاجتماعيّ، والتركيـز على آثارها الإيجابيـة في حماية الوطن، من خـلال إيجاد الإعلام الهادف الذي يربّـي على الفضيلة ومكارم الأخلاق، ويوجّـه إلى الخير ويدعو إليه، ويزرع القيم والمبادئ، وينمي الطاقات والقدرات، ويدفع إلى التفكير الصحيح، والبحث والابتكار، والمسارعة والمسابقة في الخيرات.

ويتمثّـل كل هـذا في خطبة النبـي ﷺ التي أعلنها أمـام الناس في حجّة الـوداع حين وضع الأسس التي تحفظ المجتمع، وتحمي الوطن، عن جابر قال: (... فَأَتَى بَطْنَ الْوَادي، فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ: «إنَّ دمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَة يَوْمكُمْ هَذَا في شَهْركُمْ هَذَا، في بَلَدكُمْ هَذَا، أَلا كُلُّ شَـيْءٍ منْ أَمْـر الْجَاهليَّة تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدمَاءُ الْجَاهليَّـة مَوْضُوعَةٌ، وَإنَّ أَوَّلَ دَم أَضَعُ منْ دمَائنَا دَمُ ابْن رَبيعَةَ بْن الْحَارث، كَانَ مُسْتَرْضعًا في بَني سَعْد فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ، وَربَا الْجَاهليَّة مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ ربًـا أَضَـعُ ربَانَا ربَا عَبَّاس بْـن عَبْد الْمُطَّلب، فَإنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، فَاتَّقُـوا اللّٰه في النِّسَاء، فَإنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُـنَّ بأَمَـان اللّٰه، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُـنَّ بكَلمَة اللّٰه، وَلَكُمْ عَلَيْهـنَّ أَنْ لا يُوطئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَـهُ، فَإنْ فَعَلْنَ ذَلكَ فَاضْربُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّح، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رزْقُهُنَّ وَكسْوَتُهُنَّ بالْمَعْرُوف، وَقَـدْ تَرَكْـتُ فيكُمْ مَا لَـنْ تَضلُّوا بَعْـدَهُ إن اعْتَصَمْتُمْ به، كتَـابُ اللّٰه، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّـي، فَمَا أَنْتُمْ قَائلُـونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَـالَ: بإصْبَعه السَّبَّابَة، يَرْفَعُهَا إلَى السَّمَاء وَيَنْكُتُهَا إلَى النَّاس «اللهُمَّ اشْهَدْ، اللهُمَّ اشْهَدْ» ثَلاثَ مَرَّات...) [٢].

المطلب السابع

طاعة وليّ الأمر

مـن ضروريـات هذا الدين، ومن أصول العقيدة، ومن مقومـات الوطن: وجود الجماعة التي تقـوم بالإمامة والإمارة، على مبـدأ السمع والطاعة في الطاعة، لهذا أمر اللّٰه تعالى بطاعة الإمام

(١) رواه البخاري كتاب الأدب، باب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اجْتَنبُوا كَثيرًا منَ الظَّنِّ﴾، ص (١٥٣٧) رقم (٦٠٦٦) .

(٢) رواه مسلم كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم (٨٨٦/٢) رقم (١٢١٨) .

وولي الأمر فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ (النساء:٥٩).

وأمر النبي ﷺ بلزوم جماعة المسلمين، وطاعة إمامهم وتأييده ومساندته وعونه فيما ألقاه الله على عاتقه من الواجبات.. لإقامة شرع اللّه في هذه الأرض، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّه، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّه، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي »[١]. وعن يحيى بن حصين قال: سمعت جدتي تحدّث أنّها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع، وهو يقول: « وَلَو اسْتُعْمِل عَلَيْكُمْ عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا»[٢].

وخصّ النبي ﷺ الطاعة أن تكون في طاعة لا في معصية أو مخالفة، عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِم السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلا سَمْعَ وَلا طَاعَةَ»[٣]. وعن علي أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ »[٤].

ونهى عن الخروج على وليّ الأمر أو منازعته – إلاَّ في حالات خاصّة حدّدها – ، عن عبادة بن الصامت قال: دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَة، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّه فِيهِ بُرْهَانٌ»[٥].

وتوعّد من شقّ عصا المسلمين وفرّق كلمتهم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «مَنْ شَقَّ عَصا الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمُونَ فِي إِسْلاَمٍ دامجٍ[٦]، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِه »[٧].

الخروج على الإمام يؤدّي إلى فتنة عظيمة، وفساد كبير، ينتج عنه تفريق الكلمة، وشقّ الصف، وظهور التنازع والخلاف الموصل إلى الاقتتال وإراقة الدماء، وزعزعة الأمن، وفساد المجتمع، وذهاب الوطن.

---

(١) رواه البخاري كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾، ص (١٧٩١) رقم (٧١٣٧) . ومسلم كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية (١٤٦٦/٣) رقم (١٨٣٥).

(٢) رواه مسلم كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية (١٤٦٨/٣) رقم (١٨٣٨) .

(٣) رواه البخاري كتاب الجهاد والسير، باب السمع والطاعة للإمام، ص (٧٢٢) رقم (٢٩٥٥) . ومسلم كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية (١٤٦٩/٣) رقم (١٨٣٩)، واللفظ له .

(٤) رواه البخاري كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق ...، ص (١٨٢٠) رقم (٧٢٥٧) . ومسلم كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية (١٤٦٩/٣) رقم (١٨٤٠) .

(٥) رواه البخاري كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: سترون بعدي أمورًا تنكرونها، ص (١٧٧٤) رقم (٧٠٥٥ و٧٠٥٦) . ومسلم كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية (١٤٧٠/٣) رقم (١٧٠٩).

(٦) دامج أي مجتمع، كما في النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١٣٢/٢) . ولسان العرب لابن منظور (١٧٥/٢) .

(٧) رواه الطبراني في الكبير (٢٥/١١) رقم (١٠٩٢٥) .

المطلب الثامن

احترام القانون

وضع القوانين التي تُنظّم أمور العباد، وتسيير المعاملات بشكل يتناسب مع ظروف العصر والزمان الذي يعيشه الناس أمر مطلوب، بشرط أن تتوافق مع أحكام الدين، ولا تُخالف الكتاب والسنّة. والالتزام بهذه القوانين أمر مؤكّد، بل قد يكون واجبًا، لأن الالتزام بهذه القوانين يساعد على ضبط أمور الحياة، وتوفير الأمن للمجتمع، والسلامة للوطن.

ويدخل في مجال تطبيق القوانين الكثير من الأمور، منها على سبيل المثال:

أداء الأمانة التي أمر الله بها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ (النساء:٥٨). وعدم خيانة الأمانة بمدّ اليد إلى المال العام أو الخاص، عن خولة الأنصارية رضي الله عنها قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ رِجَالاً يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[1].

وعدم استغلال المنصب والوظيفة، أو أخذ الرشوة، عن أبي حميد السّاعدي قال: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلاً عَلَى صَدَقَات بَنِي سُلَيْم، يُدْعَى ابْنَ اللُّتْبِيَّة، فَلَمَّا جَاءَ حَاسَبَهُ، قَالَ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَهَلاَّ جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا؟» ثُمَّ خَطَبَنَا، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى العَمَلِ مِمَّا وَلاَّنِي اللَّهُ، فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي، أَفَلاَ جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ، وَاللَّهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلاَّ لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَلأَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ»، ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطِهِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ» بَصُرَ عَيْنِي وَسَمِعَ أُذُنِي)[2].

ومنها: الحكم بالعدل، الذي هو أمر الله القائل: ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ (النساء:٥٨). وما ينتج عنه من هناء وسعادة وطمأنينة ورغد عيش، لذلك أمر رسول الله ﷺ المسلمين الأوائل أن يهاجروا إلى الحبشة لأن ملكها ملك عادل، لا يظلم عنده أحد[3].

ومنها: تطبيق الحدود والعقوبات على مَن يستحقها، دون تفريق أو محاباة أو محسوبية، أو شفاعة لمنع أو تخفيف تطبيقها، عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ

---

(١) رواه البخاري كتاب الخمس، باب قول الله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾، ص (٧٦٢) رقم (٣١١٨).

(٢) رواه البخاري كتاب الحيل، باب احتيال العامل ليهدى إليه، ص (١٧٥٢) رقم (٦٩٧٩). ومسلم كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال (١٤٦٣/٣) رقم (١٨٣٢).

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية (٣٢١/١). وابن كثير، السيرة النبوية (٤/٢).

اللَّه ؟ »، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»(١).

عن أنس رضي الله عنه: أَنَّ يَهُودِيًّا رَضَّ رَأْسَ جَارِيَةٍ بَيْنَ حَجَرَيْنِ، قِيلَ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِك، أَفُلاَنٌ، أَفُلاَنٌ؟ حَتَّى سُمِّيَ اليَهُودِيُّ، فَأَوْمَأَتْ بِرَأْسِهَا، فَأُخِذَ اليَهُودِيُّ، فَاعْتَرَفَ، «فَأَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرُضَّ رَأْسُهُ بَيْنَ حَجَرَيْنِ»(٢).

فحين يتمّ الالتزام بالقوانين وتطبيقها على الجميع يَسْعَد الناس، ويشعرون بالأمن على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، وتزدهر مجتمعاتهم، وتُصان أوطانهم.

المبحث الثالث

أسس حفظ الوطن خارجيًا

إن حفظ الوطن على المستوى الخارجي يتطلب العديد من العوامل والأسس التي تحقق هذه الغاية، ويمكن بيانها في عدد من المطالب على النحو التالي:

المطلب الأول

إعداد القوة العسكرية للدفاع عن الوطن

وذلك من خلال إيجاد الجيش القويّ القادر على صيانة حدود الوطن، والدفاع عنه في مواجهة الغزاة والطامعين. وتدعيم ذلك بإنشاء معسكرات التدريب، والمدارس الحربية التي تخرج القادة والأفراد القادرين على تحقيق التفوّق العسكري، وإمداد الجيش بكل ما يحتاجه ويتوفر من إمكانات لتحقيق هذه الغاية ، إضافة إلى فتح باب التطوّع أو الإلزام بالخدمة ، والعمل على دعم وتقوية هذه القوّة العسكرية، وهذه الأمور جميعًا تدخل ضمن ما أمر به الله تعالى حين قال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال:٦٠).

وفسّر النبي صلى الله عليه وسلم القوة بالرمي، عن عقبة بن عامر سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر، يقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ (الأنفال:٦٠)، «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ»(٣).

(قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: إِنَّمَا فَسَّرَ الْقُوَّةَ بِالرَّمْيِ وَإِنْ كَانَتِ الْقُوَّةُ تَظْهَرُ بِإِعْدَادِ غَيْرِهِ مِنْ آلاتِ الْحَرْبِ

(١) رواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب رقم ٥٤، ص (٨٥٦) رقم (٣٤٧٥). ومسلم كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره (١٣١٥/٣) رقم (١٦٨٨).

(٢) رواه البخاري كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص، ص (٥٧٧) رقم (٢٤١٣).

(٣) رواه مسلم كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، وذمّ من علمه ثم نسيه (١٥٢٢/٣) رقم (١٩١٧).

لِكَوْنِ الرَّمْيِ أَشَدَّ نِكَايَةً فِي الْعَدُوِّ وَأَسْهَلَ مُؤْنَةً، لأَنَّهُ قَدْ يَرْمِي رَأْسَ الْكَتِيبَةِ فَيُصَابُ فَيَنْهَزِمُ مَنْ خَلْفَهُ)[1].

وأكّد النبي ﷺ على ذلك، عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا، ارْمُوا، وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلاَنٍ ». قَالَ: فَأَمْسَكَ أَحَدُ الفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَا لَكُمْ لاَ تَرْمُونَ؟ »، قَالُوا: كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ»[2].

وحثّ النبي ﷺ على إعداد العدّة، ورعى بعض وسائلها، ودعا إلى فعلها، وشجّع عليها، ومنها: الفروسية والرماية والمسابقة...، وجعل ذلك من الحقّ الذي لا حرج فيه، عن عقبة بن عامر الجهني عن النبي ﷺ قال: « كُلُّ مَا يَلْهُو بِه الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ بَاطِلٌ، إِلاَّ رَمْيَهُ بِقَوْسِه، وَتَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ، وَمُلاعَبَتَهُ امْرَأَتَهُ، فَإِنَّهُنَّ مِنَ الْحَقِّ»[3]. كل ذلك لإعداد جيش قوي يستطيع الدفاع عن الوطن.

المطلب الثاني

الحراسة على الحدود

للحفاظ على الوطن وحمايته من الغزو والاعتداء لا بدّ من الرباط والحراسة على الثغور والحدود، وهذا أمر الله تعالى القائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (آل عمران:٢٠٠).

قال الحافظ ابن حجر: (الرِّبَاطُ بِكَسْرِ الرَّاءِ وَبِالْمُوَحَّدَةِ الْخَفِيفَةِ، مُلاَزَمَةُ الْمَكَانِ الَّذِي بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكُفَّارِ لِحِرَاسَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُم)[4].

وقد حثّ النبي ﷺ على هذا الرباط، وبيّن أجر ذلك وجزاءه: عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عَيْنَانِ لا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ »[5]. وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا،

(١) ابن حجر، فتح الباري (١٠٧/٦).

(٢) رواه البخاري كتاب الجهاد، باب التحريض على الرمي، ص (٧٠٩) رقم (٢٨٩٩).

(٣) رواه الترمذي كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله (١٧٤/٤) رقم (١٦٣٧)، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه كتاب الجهاد، باب الرمي في سبيل الله (٩٤٠/٢) رقم (٢٨١١).

(٤) ابن حجر، فتح الباري (١٠١/٦).

(٥) رواه الترمذي كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله (١٧٥/٤) رقم (١٦٣٩)، وقال: حديث حسن غريب، وصححه الألباني.

وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّه، أَوِ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»[1]. وعن سلمان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ»[2].

وفعله رسول الله ﷺ وبادر وسابق وسبق الناس إليه، عن أنس قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ لَيْلَةً، فَخَرَجُوا نَحْوَ الصَّوْتِ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدِ اسْتَبْرَأَ الخَبَرَ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، وَفِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وَهُوَ يَقُولُ: «لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا»، ثُمَّ قَالَ: «وَجَدْنَاهُ بَحْرًا»، أَوْ قَالَ: «إِنَّهُ لَبَحْرٌ»[3].

وفي مشروعية صلاة الخوف، وصلاة النبي ﷺ لها تأكيد لهذا الأمر، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « قَامَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ، فَكَبَّرَ وَكَبَّرُوا مَعَهُ وَرَكَعَ وَرَكَعَ نَاسٌ مِنْهُمْ مَعَهُ، ثُمَّ سَجَدَ وَسَجَدُوا مَعَهُ، ثُمَّ قَامَ لِلثَّانِيَةِ، فَقَامَ الَّذِينَ سَجَدُوا وَحَرَسُوا إِخْوَانَهُمْ وَأَتَتِ الطَّائِفَةُ الأُخْرَى، فَرَكَعُوا وَسَجَدُوا مَعَهُ، وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ فِي صَلاَةٍ، وَلَكِنْ يَحْرُسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[4].

المطلب الثالث

الدفاع وردّ الأعداء

المسلم وفيّ لوطنه، محبّ له، مستعدّ للتضحية بكل شيء لحمايته والدفاع عنه، وردّ العدوان عنه، فإذا تعرّض الوطن لاعتداء أو محاولة غزو من قبل أحد وجب مواجهته وصدّه وردّ عدوانه، وهذا ما ظهر جليًا في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم خلال عدد من المواقف والغزوات، منها:

في غزوة أُحُد، حين بادر النبي صلى الله عليه وسلم إلى الخروج لملاقاة جيش المشركين خارج المدينة. ثم بعد غزوة أُحُد لاحق جيش المشركين حتى بلغ حمراء الأسد، عن عائشة رضي الله عنها: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران:١٧٢)، قَالَتْ لِعُرْوَةَ: يَا ابْنَ أُخْتِي، كَانَ أَبَوَاكَ مِنْهُمْ: الزُّبَيْرُ، وَأَبُو بَكْرٍ، لَمَّا أَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ المُشْرِكُونَ، خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا، قَالَ: «مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ»، فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلاً، قَالَ: كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، وَالزُّبَيْرُ)[5].

وحين اجتمعت الأحزاب لغزو المدينة واجه النبي ﷺ غزوهم واعتداءهم، وعمل مع صحابته على حفر الخندق، وحماية حدود المدينة، والدّفاع عنها، ومنع الغزاة من تحقيق أهدافهم، حتى

---

(١) رواه البخاري كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، ص (٧٠٧) رقم (٢٨٩٢).

(٢) رواه مسلم الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل (١٥٢٠/٣) رقم (١٩١٣).

(٣) رواه البخاري كتاب الجهاد والسير، باب الحمائل وتعليق السيف بالعنق، ص (٧١١) رقم (٢٩٠٨). ومسلم كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم وتقدمه للحرب (١٨٠٢/٤) رقم (٢٣٠٧).

(٤) رواه البخاري كتاب الخوف، باب يحرس بعضهم بعضًا في صلاة الخوف، ص (٢٢٣) رقم (٩٤٤).

(٥) رواه البخاري كتاب المغازي، باب ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، ص (٩٩٧) رقم (٤٠٧٧).

ردّ الله كيد الكائدين وعدوان المعتدين: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ (الأحزاب:٢٥).

عن أنس رضي الله عنه قال: جَعَلَ المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ الخَنْدَقَ حَوْلَ المَدِينَةِ، وَيَنْقُلُونَ التُّرَابَ عَلَى مُتُونِهِمْ، وَيَقُولُونَ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا عَلَى الإِسْلَامِ مَا بَقِينَا أَبَدَا

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجِيبُهُمْ وَيَقُولُ:

اللَّهُمَّ إِنَّهُ لاَ خَيْرَ إِلاَّ خَيْرُ الآخِرَهْ فَبَارِكْ فِي الأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَهْ.

إنّ المدافع عن دينه ووطنه إمّا أن يغلب وينتصر، فيعيش سعيدًا، وإمّا أن يُقتل، فيكون شهيدًا، فالموت حقٌّ على كلّ البشر، وأشرف الموت أن يموت العبد في سبيل الله، مدافعًا عن دينه وعقيدته ووطنه وأمته، فإذا مات الإنسان في سبيل الله كان شهيدًا. عن سعيد بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِه فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[1].

والشّهادة في سبيل الله من أعظم الرّتب وأعلاها، وأنفس المقامات وأبهاها، رغّب الله عز وجلّ بها، وبيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلتها:

فالشهادة منزلة عظيمة، ورتبة عالية، لا ينالها كلّ إنسان، لأنّها منزلة اصطفاء واختيار من الله: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (آل عمران:١٤٠).

ومنزلة الشهداء عالية مع منزلة الأنبياء والصدّيقين والصالحين، فكما يختار الله الرسل، ويصطفي الأنبياء، فإنه يجتبي الشهداء، فهم خيرة من خيار عباد الله: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء:٦٩).

الشهداء لهم خصال ومكرمات، عن المقدام قال: قال رسول الله ﷺ: «للشَّهيد عنْدَ الله ستُّ خصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ في أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ منَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ منْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ منَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسه تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ منْهَا خَيْرٌ منَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِه»[2].

---

(١) رواه أبو داود كتاب السنّة، باب في قتال اللصوص (١٥١/٧) رقم (٤٧٧٢). والترمذي كتاب الديات، باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد (٣٠/٤) رقم (١٤٢١)، وقال: حديث حسن صحيح، واللفظ له. والنسائي كتاب تحريم الدم، باب من قاتل دون دينه (١١٦/٧) رقم (٤٠٩٥).

(٢) رواه الترمذي كتاب فضائل الجهاد، باب في ثواب الشهيد (١٨٧/٤-١٨٨) رقم (١٦٦٣)، وقال: هذا حديث صحيح غريب. وابن ماجه كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله (٩٣٥/٢) رقم (٢٧٩٩). وأحمد في المسند (٤١٩/٢٨) رقم (١٧١٨٢). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٨٢).

الشهداء أحياء يرزقون في الجنة، عن مسروق قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللهِ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾، قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا؟ فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا: يَا رَبِّ! نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا»[1].

المطلب الرابع

بناء علاقات قويّة مع الدول

إن بناء العلاقات الدولية القوية تمثّل محورًا أساسيًا في استراتيجية حفظ الوطن والدفاع عنه، لأن إقامة العلاقات القوية مع الدول تخفف من الأطماع ومحاولات الغزو، وهذا إنّما يتم بعد تحقيق وتوطيد وتحصين الثوابت الوطنية الداخلية. وقد حقّق النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر، وعمل على توثيق وتوطيد علاقات حسن الجوار من خلال جملة من الأمور، كان منها:

- إرسال الرسل والرسائل: من أجل تحقيق وتوطيد العلاقات الخارجية أرسل النبي صلى الله عليه وسلم سفراءه ورسله، حاملين دعوة الإسلام السمح، لأن رسالته رسالة إنسانيّة عالَميّة تتجاوز الحدود والأقطار والأزمنة والمسافات، فقد أرسل كتبًا ورسائل إلى هرقل عظيم الروم قيصر الشام، وإلى كسرى ملك الفرس، وإلى صاحب مصر، وإلى النجاشي... عَنْ أَنَس: «أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى، وَإِلَى قَيْصَرَ، وَإِلَى النَّجَاشِيِّ، وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى»، وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ)[2].

- المصاهرة والزواج: فهي عامل تأليف للقلوب على مستوى الأشخاص والقبائل والعشائر والمجتمعات، حتّى على صعيد الدول، وتؤدّي إلى نصرة الصهر وحمايته، لذلك كان زواج النبي صلى الله عليه وسلم من بعض أمهات المؤمنين لهذه الغاية، وهذا المقصد، فكان زواجه من جويرية بنت الحارث، وصفية بن حُيي بن أخطب، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنهنّ.

- عقد المعاهدات والاتفاقيات التي تساعد على تنميّة وحفظ الوطن: وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في عديد من المراحل، فقد عاهد اليهود في المدينة على جملة من الأمور[3]،

---

(١) رواه مسلم كتاب الإمارة، باب بيان أنّ أرواح الشهداء في الجنة، وأنّهم أحياء عند ربّهم (١٥٠٢/٣) رقم (١٨٨٧).

(٢) رواه مسلم كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل (١٣٩٧/٣) رقم (١٧٧٤).

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٥٠٣/١)، والسيرة النبوية لابن كثير (٣٢٢/٢).

وصالح أهل نجران[١]، وأهل فَدَك وقرى أخرى[٢]، وصالح المشركين يوم الحديبية[٣].

– معرفة لغات وعادات وطرق تفكير الآخرين: لأن هذا يُساعد على الأمن من مكرهم وخداعهم، عن زيد بن ثابت: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُ «أَنْ يَتَعَلَّمَ كِتَابَ الْيَهُودِ» حَتَّى كَتَبْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُتُبَهُ، وَأَقْرَأْتُهُ كُتُبَهُمْ، إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ. وَقَالَ عُمَرُ وَعِنْدَهُ عَلِيٌّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَعُثْمَانُ: «مَاذَا تَقُولُ هَذِهِ؟»، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَاطِبٍ: فَقُلْتُ: تُخْبِرُكَ بِصَاحِبِهَا الَّذِي صَنَعَ بِهَا. وَقَالَ أَبُو جَمْرَةَ: «كُنْتُ أُتَرْجِمُ بَيْنَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَبَيْنَ النَّاسِ». وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: «لاَ بُدَّ لِلْحَاكِمِ مِنْ مُتَرْجِمَيْنِ»[٤].

إن هذه العلاقات ينبغي أن تكون قائمة على أساس من الاحترام المتبادل، دون التفريط في المبادئ، أو التنازل عن القيم، أو التخلّي عن الدين.

*****

الخاتمة

الوطن بيت وحياة واستقرار واطمئنان..

العيش في كنف وطن مهم للإنسان، وحفظه وصيانته ضرورة لتحقيق الأمن والأمان.

شدة مفارقة الوطن، وصعوبته على الإنسان.

كثرة المعالم والأسس التي تحفظ الوطن، وتجلّت في أحاديث رسول الله ﷺ.

الاهتمام بالتربية الدينية الإيمانية الصحيحة التي تساهم في تنمية الوطن والمحافظة عليه.

الوطن يقوم من خلال معرفة وأداء الحقوق والواجبات، وتحقيق العدل ونفي الظلم.

الحرص على العلم، والاهتمام به، لما له من أهمية في حفظ الدين، وصيانة الوطن.

أهمية نشر الفكر السليم الآمن، ومواجهة الفكر المنحرف المتطرف الضال.

الأمن الداخلي يواجه ما يُعكّر صفو الأمن وكل محاولات النيل من الوطن والعبث بمكوناته.

---

(١) رواه أبو داود كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب في أخذ الجزية (٦٤٨/٤) رقم (٣٠٤١).

(٢) رواه أبو داود كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب في صفايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأموال (٥٩٠/٤) رقم (٢٩٧١).

(٣) رواه البخاري كتاب الصلح، باب الصلح مع المشركين، ص (٦٥٣) رقم (٢٧٠٠).

(٤) رواه البخاري تعليقاً بصيغة الجزم، كتاب الأحكام، باب ترجمة الحكام... (١٨٠٦) رقم (٧١٩٥). قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٩٨/١٣): (وهذا التعليق من الأحاديث التي لم يخرجها البخاري إلاّ معلقة، وقد وصله مطوّلاً في كتاب التاريخ). وانظر: تغليق التعليق له (٣٠٧/٥).

وحديث زيد بن ثابت رواه البخاري في التاريخ الكبير (٣٨٠/٣) رقم (١٢٧٨). وأبو داود كتاب العلم، باب رواية حديث أهل الكتاب (٤٨٨/٥-٤٨٩) رقم (٣٦٤٥). والترمذي كتاب الآداب، باب ما جاء في تعليم السريانية (٦٧/٥) رقم (٢٧١٥) وقال: حسن صحيح. وأحمد في المسند (٤٩٠/٣٥ و٤٩١) رقم (٢١٦١٨ و٢١٦١٩).

ضبـط وتوجيه وسائل الإعلام وأخذ دورها بما يحفظ الأمن ويساعد على الاستقرار، ويدفع عن الوطن كل ما يساعد على الخراب والدمار.

الاجتمـاع ووحـدة الكلمة على إمام واحد له حقّ السمـع والطاعة في الحق يصون الوطن من كل خلل.

الحرص على تطبيق الأنظمة والقوانين التي لا تخالف الشريعة، وتساعد على ضبط مناحي الحياة، وتوفر الأمن للناس والسلامة للوطن.

العمل على إيجاد قوة عسكرية وجيش قوي، لصيانة حدود الوطن، والمحافظة عليه، والدفاع عنه في مواجهة الطامعين.

الرباط والحراسة على الحدود والثغور دفاعًا عن الوطن والمواطنين.

التضحية وبذل النفس والمال من أجل حماية الوطن وردّ العدوان عنه.

ضـرورة إقامة أحسن العلاقات مع الدول على أساس مـن الاحترام المتبادل، دون التفريط في المبادئ، أو التنازل عن القيم، أو التخلّي عن الدين.

*****

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري (٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

ابـن حجر، أبـو الفضل أحمد بن علي بـن محمد بن أحمد بن حجـر العسقلاني (٨٥٢ هـ)، تغليق التعليق على صحيح البخاري، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي – بيروت ، دار عمار – عمّان، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ .

ابـن حجـر، الحافظ أبو الفضل أحمـد بن علي بن حجر العسقلانـي (٨٥٢ هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، قام بشرحه وتصحيحه وتحقيقه: محبّ الدّين الخطيب، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثـه: محمـد فـؤاد عبد الباقـي، راجعه قصـي محبّ الدّيـن الخطيب، دار الريـان للتراث، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦ م.

ابـن حنبـل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بـن حنبل بن هلال بن أسـد الشيباني (٢٤١ هـ)، مسنـد الإمام أحمـد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١ م.

ابـن كثيـر، أبو الفـداء إسماعيل بن عمر بـن كثير القرشـي الدمشقي (٧٧٤ هـ)، السيرة

النبويــة، تحقيــق: مصطفى عبد الواحــد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيــع بيروت – لبنان، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٦ م.

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٧٥ هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥ م.

ابــن منظور، الإمام العلامة أبو الفضل جمــال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الرويفعي (٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

ابن هشام، أبو محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (٢١٣ هــ)، السيــرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقــا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيــظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م.

أبو داود، سليمان بن الأشعث الأسدي السِّجِسْتاني (٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط – محمّد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م.

الألباني، محمــد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، صحيح الجامــع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، أشرف على طبعه، زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة: الثالثة، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م.

البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بَردِزبَه البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخــاري (الجامــع المسند الصحيح من أمور رســول الله صلى الله عليه وسلــم وسننه وأيامه)، تخريــج وضبــط: صدقي جميــل العطار، دار الفكر للطباعــة والنشر والتوزيع – بيــروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥ م.

البخــاري، أبــو عبــد الله محمد بن إسماعيــل البخــاري، (٢٥٦ هـ)، التاريــخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

الترمــذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي (٢٧٩هـ)، سنن الترمذي (الجامع الصحيــح)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكــر (١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (٣)، وإبراهيم عطــوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨ م.

الدينــوري، أبو بكر أحمد بن مــروان الدينوري المالكي (٣٣٣ هـ)، المجالسة وجواهر العلم، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية (البحرين – أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت – لبنان)، تاريخ النشر: ١٤١٩هـ.

الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (٣٦٠ هــ)، المعجم الكبير، حقّقــه وخرج أحاديثه: حمدي بــن عبد المجيد السلفــي، دار إحياء التراث العربي. دار الصميعي – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م.

مسلم، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (٣٠٣ هـ)، سنن النسائي الصغرى (المجتبى من السنن)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

*****

الدكتور علي بن مناور بن ردة الجهني
الأستاذ المشارك بجامعة تبوك، الكلية الجامعية بالوجه

الخطاب الديني الواجب اليوم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

فهـذا بحثي الموسوم بـ (الخطاب الديني الواجـب اليوم) ، وتكمن أهميـة هذا البحث في كونـه يتنـاول موضوعاً في غاية الأهمية وهو الخطاب الدينـي الواجب اليوم في ظل التغيرات التي يشهدهـا العالـم ؛ إذ لا بـد أن يواكب الخطاب الديني هذه التغيرات ويسيـر معها جنباً إلى جنب. ومن أهميته أيضاً كونه يفيد المسلم الأصلي ولا يستغني عن إلماحاته ومضاته المسلم الحديث عهد بجاهلية أو حتى غير المسلم.

أسباب اختيار هذا الموضوع

١- امتثالاً لقول الله تبارك وتعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة).

٢- تحقيقـاً لقـول السلـف رحمهم الله « حدثـوا الناس بمـا يعقلون أتريـدون أن يكذب الله ورسوله »[١]

٣- المساهمـة في دعوة أهـل العلم والدعاة وطلاب العلم إلى تجديـد الخطاب الديني بما يتوافق مع أحوال النـاس .

أهداف البحث

١- الوقوف على تعريف الخطاب الديني لغة واصطلاحاً.

٢- إبراز أهداف الخطاب الديني.

٣- بيان تطور الخطاب الديني في كل مرحلة من مراحل الدعوة.

(١) وقال البخاري رحمه الله : وقال علي: «حدثوا الناس، بما يعرفون أتحبون أن يكذب، الله ورسوله» حدثنا عبيد الله بن موسى عن معروف بن خربوذ عن أبي الطفيل عن علي بذلك. صحيح البخاري (١ / ٣٧). وقال مسلم رحمه الله : وحدثني أبو الطاهر، وحرملة بن يحيى، قالا: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن عبد الله بن مسعود، قال: «ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة» صحيح مسلم (١ / ١١).

٤- تحقيق برنامج الخطاب الديني الواجب اليوم.

المنهج العلمي في البحث

هو المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتحليل والاستنباط.

مشكلة البحث

مشكلة البحث التي يدور حولها ما هي الصورة التي ينبغي أن يكون عليها الخطاب الديني اليوم؟

خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة وأربعة مطالب وخاتمة وهي:

المقدمة وفيها أهمية البحث وأسباب اختياره وأهدافه والمنهج العلمي. والمطالب على النحو الآتي :

١- تعريف الخطاب الديني.

٢- أهداف الخطاب الديني.

٣- تطور الخطاب الديني في كل مرحلة من مراحل الدعوة.

٤- الخطاب الديني الواجب اليوم.

خاتمة البحث وتحتوي على الآتي :

أ/ نتائج البحث.

ب/ التوصيات والمقترحات.

إجراءات البحث

١- جعلت لكل مطلب عنواناً أذكر فيه الفكرة التي تضمنها هذا المطلب.

٢- أكتب الآيات أو الشاهد منها .

٣- أذكر ماقاله بعض المفسرين حول الآية أو الآيات مما يتعلق بفكرة المطلب.

٤- أوضح كيف يمكن أن نبرز صورة الخطاب الديني الواجب اليوم .

٥- أوثق الآيات من مصحف المدينة . والأحاديث إذا كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفي بذلك ، وإن كانت خارجهما أخرجها من مصادرها وأنقل حكم العلماء عليها.

المطلب الأول: تعريف الخطاب الديني

الخطاب في اللغة :

قال الأزدي رحمه الله : (خطب) وخطب الرجل خطابة فهو خطيب بين الخطابة. واسم الكلام: الخطبة[1]. وقال ابن فارس رحمه الله : (خطب) الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين، يقال خاطبه يخاطبه خطابا، والخطبة من ذلك. وفي النكاح الطلب أن يزوج، قال الله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾[2] . والخطبة: الكلام المخطوب به ، وأما الأصل الآخر فاختلاف لونين. قال الفراء: الخطباء: الأتان التي لها خط أسود على متنها. والحمار الذكر أخطب. والأخطب: طائر ; ولعله يختلف عليه لونان. قال:

إذا الأخطب الداعي على الدوح صرصرا

والخطبان: الحنظل إذا اختلف ألوانه. والأخطب: الحمار تعلوه خضرة. وكل لون يشبه ذلك فهو أخطب[3]. ومعنى هذا أن مادة : «خ ط ب» لا تخرج عن معنى الكلام الموجه للغير على صفة معينة حسب ما يقتضيه الحال.

تعريف الدين في اللغة :

قال الأزهري رحمه الله : (باب الدال والنون)

«د ن (وايء) ، دين، دنأ، دنا، دنؤ، ودن، نود، نأد، ندا، ندأ»[4]

قال في مختار الصحاح : (د ي ن: (الدين) واحد (الديون) وقد (دانه) أقرضه فهو (مدين) و (مديون) . و (دان) هو أي استقرض فهو (دائن) أي عليه دين وبابهما باع. قلت: فصار دان مشتركا بين الإقراض والاستقراض وكذا الدائن. ورجل (مديون) كثر ما عليه من الدين و (مديان) أي عادته أن يأخذ بالدين ويستقرض. و (أدان) فلان باع إلى أجل تقول منه (أدني) عشرة دراهم. و (ادان) بالتشديد استقرض وهو افتعل. وفي الحديث: «ادان معرضا» أي استدان والمعرض ذكر تفسيره في (ع ر ض) و (تداينوا) تبايعوا بالدين. و (استدان) استقرض. و (داينت) فلانا إذا عاملته فأعطيته دينا وأخذت منه بدين. و (الدين) بالكسر العادة والشأن و (دانه) يدينه (دينا) بالكسر أذله واستعبده (فدان) . وفي الحديث: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت» . و (الدين) أيضا الجزاء والمكافأة يقال: (دانه) يدينه (دينا) أي جازاه. يقال: كما (تدين تدان) أي كما تجازي تجازى بفعلك وبحسب ما عملت. وقوله تعالى: «إنا لمدينون» أي لمجزيون محاسبون ومنه (الديان) في صفة الله تعالى. و (المدين) العبد و (المدينة) الأمة

(١) جمهرة اللغة (١ / ٢٩١)

(٢) البقرة٢٣٥

(٣) مقاييس اللغة (٢ / ١٩٨)

(٤) قال الأزهري رحمه تهذيب اللغة (١٤ / ١٢٧)

كأنهما أذلهما العمل. و (دانه) ملكه وقيل منه سمي المصر (مدينة) . و (الدين) أيضا الطاعة تقول: (دان) له يدين (دينا) أي أطاعه ومنه (الدين) والجمع (الأديان) ويقال: (دان) بكذا (ديانة) فهو (دين) و (تدين) به فهو (متدين) و (دينه تديينا) وكله إلى دينه)[١].وخلاصة القول أن الدين هو ما ارتبط بالأعمال التي تقرب المتدين لربه تبارك وتعالى.

الخطاب الديني في الاصطلاح

هو الكلام الذي يعبر عن فكرة معينة تدور حول أصل من أصول الدين أو فرع من فروعه .

شرح التعريف

ويقصد « بالكلام» : فيشمل الكلام العربي أو غير العربي من اللغات المختلفة.

أما «الفكرة» : فهي المعنى المراد من الكلام التي يريد الخطيب أن يوصلها للمستهدفين.

وأما « أصل الدين « : فهو ما قام عليه الدين من الأركان كالشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج، أو أركان الإيمان ؛ كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

وأما « فرع من الفروع « : فمثل الآداب العامة والأخلاق وغيرها من المسائل التي يتحدث عنها العلماء في أبواب الآداب والأخلاق.

المطلب الثاني: ملامح وأهداف الخطاب الديني.

١- بيان سماحة الدين الإسلامي ويسره وسهولته. كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (الحج/٨٧) . وعن أبي هريرة « عن النبي ﷺ قال: «إن الدين يسر ولن يشادَّ الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»[٣]

٢- بيان أن أحسن القول هو الدعوة إلى الله تعالى والتطبيق العملي لشرائع الدين تحقيقاً للقدوة الحسنة والتنبيه على أن هذا هو سبيل المسلمين .كما قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[٤].

٣- الهداية بيد الله تعالى وليست بيد أحد من البشر كما قال تعالى : (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)[٥]

(١) مختار الصحاح (١ / ١١٠)

(٢) يوسف ١٠٨

(٣) رواه البخاري (١٣٩) ومسلم (٢٨١٦)

(٤) فصلت ٣٣

(٥) القصص ٥٦

٤- اقناع المستهدفين بأن الله وليهم وسيخرجهم من الظلمات إلى النور . كما قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[1] .

٥- التدرج مع المخاطبين وخاصة غير المسلمين والابتداء بالتوحيد كما وجه النبي محمد صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل حين أرسله لأهل اليمن ، فعن ابن عباس، أن معاذا، قال: بعثني رسول الله ﷺ، قال: «إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[2]

٦- تنوع أساليب الدعوة بما يتناسب مع حال المدعوين ، فما يكون مناسباً لزمان ومكان قد لا يكون مناسباً لغيره. كما قال الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[3].

٧- الإخلاص لله تبارك وتعالى في الدعوة ؛ لأنها عبادة تفتقر إلى الإخلاص كسائر العبادات. كما قال تعالى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[4].

٨- أن يعلم الداعي أنه ليس بمسيطر على المدعوين ، ومهمته الأساسية هي عرض الدعوة، والهداية بيد الله تعالى. قال الله عز وجل: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾[5].

٩- التيسير وعدم التعسير، والتبشير وعدم التنفير .كما جاء في الصحيح من حديث أنس بن مالك، عن النبي ﷺ، قال: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا، ولا تنفروا»[6].

١٠- الرفق بالمدعوين وعدم الشدة عليهم ، حتى وإن حصل منهم بعض التجاوز ؛ فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: استأذن رهط من اليهود على النبي ﷺ، فقالوا: السام عليك، فقلت: بل عليكم السام واللعنة، فقال: «يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله» قلت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: « قلت: وعليكم»[7].

---

(١) البقرة ٢٥٧

(٢) صحيح مسلم (١ / ٥٠)

(٣) النحل ١٢٥

(٤) البينة ٥

(٥) الغاشية ٢١-٢٢

(٦) صحيح البخاري (١ / ٢٥)

(٧) صحيح البخاري (٩ / ١٦) وصحيح مسلم (٤ / ١٧٠٦)

المطلب الثالث: بيان تطور الخطاب الديني في كل مرحلة من مراحل الدعوة.

المقصود بمراحل الدعوة هي :

١- المرحلة المكية.

٢- المرحلة المدنية.

وهاتان المرحلتان هما اللتان كونتا الدولة الإسلامية الأولى ولن يستقيم أمر الدعوة الإسلامية حتى يستفيد الداعي من دروس هاتين المرحلتين .

فقد كان العهد المكي مبنياً على تحقيق التوحيد وترسيخ العقيدة ، ففي مسند أحمد قال عبد الله بن أحمد ، حدثني أبو سليمان الضبي داود بن عمرو بن زهير المسيبي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن ربيعة بن عباد الديلي، وكان جاهليا أسلم، فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بصر عيني بسوق ذي المجاز، يقول: « يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا » ويدخل في فجاجها والناس متقصفون عليه، فما رأيت أحدا يقول شيئا، وهو لا يسكت، يقول: «أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا» إلا أن وراءه رجلا أحول وضيء الوجه، ذا غديرتين يقول: إنه صابئ، كاذب، فقلت: من هذا؟ قالوا: محمد بن عبد الله، وهو يذكر النبوة، قلت: من هذا الذي يكذبه؟ قالوا: عمه أبو لهب، قلت: إنك كنت يومئذ صغيرا ، قال: لا والله إني يومئذ لأعقل)[1].

لقد تميزت المرحلة المكية بالتركيز على تثبيت العقيدة دون الدخول في التفاصيل ، لأن المجتمع المكي لا يحتمل أن يتلقى التفاصيل ، فكانت النصوص المكية تدور حول حقائق ثلاث وهي الدعوة للتوحيد وإثبات البعث بعد الموت والثالثة أن الساعة آتية لا ريب فيها . كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[2] ، وقال تعالى: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾[3] ، وقال تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾[4] ومن ملامح الخطاب الديني في العهد المكي:

الأمر بالصبر على الأذى ، وكف الأيدي ، وهذا يتناسب مع حالة الضعف في تلك المرحلة.

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٢٥ / ٤٠٤) قال الشيخ شعيب الأرنؤوط رحمه الله عند تخريجه لهذا الحديث: (صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن . عبد الرحمن بن أبي الزناد ينزل عن رتبة الصحيح، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح- أبو الزناد: هو عبد الله بن ذكوان.

وأخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٩٦٤) ، والطبراني في «الكبير» (٤٥٨٢)، والحاكم ١٥/١ من طريقين عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، بهذا الإسناد. قال الحاكم: وإنما استشهدت بعبد الرحمن بن أبي الزناد اقتداء بهما، فقد استشهدوا جميعا به.)

(٢) النحل ٣٦

(٣) الروم ١٩

(٤) الأنعام ٣١

ومنهـا ، الاهتمام بالدعوة إلى أصـول الخير ، وما يوافق عليه جميع أطياف البشر ، كإطعام الطعـام، وصلة الأرحام ، والصـدق ، وأداء الأمانة ، لأنها قضايا إنسانية ، لا يختلف على فضيلتها اثنـان. وهـذا مستفاد من سؤال هرقل لأبي سفيان: بمـاذا يأمركم ؟ قال: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركـوا بـه شيئاً ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة ، والزكاة ، والصدق ، والعفاف ، والصلة. (البخاري ٧).

٢- المرحلة المدنية.

تميزت هذه المرحلة ببناء الدولة الإسلامية على قواعد راسخة ومنها:

أ- بناء المسجد النبوي في المدينة ، وكان هذا هو أول عمل قام به النبي صلّى الله عليه وسلم بعـد الهجرة. وقد عمل في بنائـه بنفسه مع أصحابه، وحول المسجد أقيمت مساكن الرسول صلّى الله عليـه وسلم. وكان بناء المسجد النبوي بسيطا بساطة تعبر عن بساطة الإسلام نفسه وعزوفه عـن البذخ والتـرف. ولكن هذا المسجد البسيـط العظيم قام بالدور الرئيسي فـي حياة الإسلام والدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي. فلم يقتصر مسجد الرسول ﷺ على إقامة الصلوات فيه، وإنما أصبح مركز النشاط الإسلامي كله، فهو مهبط الوحي، يتلقاه النبي ﷺ فيه ويبلغه للناس[(١)]

ب- المؤاخـاة بيـن المهاجريـن والأنصار. تلك المؤاخـاة التي قامت علـى أساس العقيدة الإسلامية، والتي ربطت بينهم بهذا الرباط الوثيق، وجعلتهم أمة متميزة بخصائصها الإسلامية[(٢)].

ج- معاهدة المدينة. فبعد أن نظم الرسول ﷺ العلاقات بين المسلمين على النحو السابق، كان لا بـد مـن تنظيم العلاقات بين المسلمين وبين بقية سكان المدينة، ولا بد من تحديد الحقوق والواجبـات لكل طرف؛ حتى يعرف كل إنسان ما له وما عليه، وهنا يقدم لنا الرسول ﷺ أنموذجا آخـر، على عالميـة الإسلام وشمـول مبادئه، وطبيعتـه التنظيمية، ذلك الأنمـوذج الذي تمثل في المعاهـدة التـي عقدها الرسول ﷺ مع اليهـود وغيرهم من سكان المدينة، تلـك المعاهدة التي تعتبر أدق وأوفى المعاهدات في التاريخ، والتي أصبحت الأساس الدستوري لقيام الدولة الإسلامية في المدينة بقيادة النبي ﷺ، باعتراف جميع الأطراف التي اشتركت فيها ووقعت عليها.[(٣)]

مـن خلال العرض السابق للمرحلة المدنية يتبيـن أن الدولة الإسلامية في المدينة النبوية بـدأت في وضـع القواعد للدولة الجديدة بعـد مرحلة مكية دامت ثلاث عشـرة سنة مما يعني أن الداعيـة ينبغـي له أن يترسـم هذه الخطى النبوية فـلا يستعجل في دعوته وعليـه بالتأني والروية والطمأنينـة وأن يكون تركيزه في دعوته علـى التوحيد أولا ، فإذا ثبت التوحيد في قلوب المدعوين هانت بقية الخطى .

(١) السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي (١ / ١٦٧)

(٢) السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي (١ / ١٦٧)

(٣) السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي (١ / ١٦٨)

والذي يلاحظ على الدعاة في الوقت الحاضر تعجل النتائج مما يعود على الدعوة بالضرر.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبعد فقد تم الانتهاء من بحثي الموسوم ب (الخطاب الديني الواجب اليوم) وقد توصلت إلى النتائج التالية:

١- الإخلاص لله تبارك وتعالى في الدعوة ؛ لأنها عبادة تفتقر إلى الإخلاص كسائر العبادات .

٢- الهداية لا تتحقق بجهد بشري فهي بيد الله تعالى وليست بيد أحد كما قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾

٣- التدرج مع المخاطبين وخاصة غير المسلمين والابتداء بالتوحيد.

٤- التنوع في الأساليب الدعوية بما يتناسب مع حال المدعوين ، فما يكون مناسباً لزمان ومكان قد لا يكون مناسباً لغيره.

٥- المهمة الأساسية للداعية هي عرض الدعوة على المدعوين وليس له السيطرة على المدعوين.

٦- قد يجد الداعية نفوراً من المدعوين وعدم قبول للدعوة وخاصة في بادي الأمر فغليه بالصبر والاحتساب وإن قل عدد المستجيبين للدعوة.

توصيات البحث ومقترحاته

١- ضرورة تأهيل الدعاة قبل تصدرهم للدعوة ، وخاصة أولئك الذين يدعون غير المسلمين.

٢- أهمية معرفة الداعي لقوانين وأعراف وعادة البلد الذي سيوجه الدعوة إليه.

٣- اتقان لغة المدعوين يساعد كثيراً في الوصول لأهداف الدعوة بأقصر وقت وأقل جهد.

٤- أن ينال هذا الموضوع (الخطاب الديني الواجب اليوم) جُل اهتمام الدارسين والباحثين.

٥- أن يكون أول اهتمامات الداعي تحقيق التوحيد ثم ينتقل لما بعده من أركان الإسلام.

المراجع

القرآن الكريم

١- الآحاد والمثاني المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ) ، المحقق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة ، الناشر: دار الراية - الرياض

الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩١ ، عدد الأجزاء: ٦ .

٢- تهذيب اللغة ، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى:

٣٧٠هـ)

المحقق: محمد عوض مرعب ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

عدد الأجزاء: ٨.

٣- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري ، ،المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ،الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)

الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ، عدد الأجزاء: ٩.

٤- السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ،المؤلف: عبد الشافى محمد عبد اللطيف ، الناشر: دار السلام – القاهرة ، الطبعة: الأولى – ١٤٢٨ هـ ، عدد الأجزاء: ١.

٥- جمهرة اللغة ، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) ، المحقق: رمزي منير بعلبكي ، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م ، عدد الأجزاء: ٣.

٦- المعجم الكبير ، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) ،المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، الطبعة: الثانية ، عدد الأجزاء:٢٥ ، ويشمل القطعة التي نشرها لاحقا المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد ١٣ (دار الصميعي - الرياض / الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م).

٧- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، عدد الأجزاء: ٥.

٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٩- المستدرك على الصحيحين ، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن ، نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠عدد الأجزاء: ٤.

١٠- مختـار الصحـاح ، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بـن أبي بكر بن عبد القادر الحنفـي الرازي (المتوفـى: ٦٦٦هـ) ، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا ، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، عدد الأجزاء:١.

١١- معجـم مقاييـس اللغـة ، المؤلف: أحمد بـن فارس بن زكريـاء القزويني الـرازي، أبو الحسيـن (المتوفـى: ٣٩٥هـ) ، المحقـق: عبد السلام محمد هـارون ، الناشـر: دار الفكر ، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. ، عدد الأجزاء: ٦.

الدكتور أيمن محمد علي حتمل
مفتي دائرة الإفتاء العام الأردنية – عمّان

الأبعاد النفسية والتربوية
في نظر سيدنا عمر بن الخطاب تجاه القدس

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين ، وأفضل الصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين ، سيدنا محمّد سيد الأوّلين والآخرين ، إمام أهل الدين ، أما بعد :

إنّ أعظم من قام بنشر دعوة الإسلام في التطبيق والمنهجية بعد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ،هم الصحابة الكرام رضي الله عنهُم فبنوا لنا المجد والتاريخ ،وأقاموا لنا أُسس الحضارة الإسلامية، وصاروا نجوماً يَهتدي بهم الحيارى، وكانت الهِمم العالية مع زكاة أنفسهم العنوان الأسمى لها رفعة الدين، وكان الواحدُ منهم مدرسةً في التربية والأخلاق، وحازوا قصب السبق في كلّ شيء، فهُم القِمة في الدّين والورع و الجهاد في سبيل اللّه، والعلم والعمل والتربية وزكاة النفوس، وأشدّ الناس إخلاصاً وتحريّاً للحق وسعياً إليه، وهم الذين قرنوا العلم بالعمل، وإذا جهلوا أمراً سألوا عنه، وكانوا أشد الخلق تشوقاً إلى العلم والتفقه في دين اللّه ، وكان الواحد منهم لا يستحي أن يقول لا أعلم .. ، أو اللّه ورسوله أعلم ، وقد أخذوا عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم القرآن والسنة والعمل بهما، وإذا فات أحدهم شيءٌ من العلم لم يَغمض له جفنٌ حتى يدركه، ولهذا تحقق لهم من الخير والمجد ما جعلهم خير القرون.

لهذا فإن الحديث عن هؤلاء والكتابة عنهم، أو الإقتداء بهم هو بحق ثمرةٌ مباركة تُؤتي أُكلها كلّ حينٍ بإذن اللّه ، بل إن السعي إلى دراسة آثارهم من أهم الواجبات علينا اليوم، في زمن اختلطت فيه الأفكار واضطربت الموازين، وعَلت فيه أصواتُ أهل الباطلِ والشهواتِ للصدّ عن سبيل الحق بدعوى باطلة وأماني سراب.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾(١)

(١) سورة البقرة، الآية ٢٠٤.

قــال تعالــى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾[1].

ثــم إن دراسة حياة الصحابــة الكرام رضي الله عنهم، أو التركيــز على جانب من الجوانب يُعــد من أهــم الواجبات ونَصب الحجة والبرهان والدليل على عظمة التربية الإسلامية وأثرها في الأشخاصــ الذين تربوا على هذا الدين الحق و تبياناً لمدرسة رسول الله ﷺ التربوية والأخلاقية التــي صنعت هذا الجيل الفذ الذيــن درسوا في المدرسة المحمديــة، والاستفادة من هذه التربية الربانيــة العظيمة في إعادة صياغة الأمة الإسلاميــة، وإصلاحها كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها».

إن لفــت أنظــار أبناء الأمــة الإسلامية إلى هؤلاء الرجــال الأفذاذ، والاستفــادة من تراثهم التربــوي والأخلاقي والنفسي يُعتبر سفينة النجاة للأجيال المسلمة الواعية ؛ لأنهم جعلوا قدوتهم رسولَ الله ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم .

ولمــا كان الصحابة هم خير جيــل عرفته البشرية، ولم يتسنَّ للتاريخ أن يذكر لهم مثيلاً في الصفــات والأفعال،كان لِزاماً على كلّ باحثٍ عن الحق والهــدى أن يَردَ ماءَهم، وينهل من منهلهم العــذب، الذي لا يأسن ويستقي من صفوِ علمهم، وأن يقتــدى بأفعالهم وأن يدل أبناء الإسلام إلى هذا الخير الوفير.

لهذا كانت هذه الدراسة عن عملاق من عمالقة وشوامخ الإسلام، واحد من أعلام الصحابة، جعــل الله لــه من الخير ما جعله، ونزل الوحي مُصدقاً على آرائه، ومسلكياته وهو الذي لا حظَّ ولا حُظــوة للشيطــان بين يديه، ولا يستطيع أن يسلك مسلكاً قــد سلكه، وقد بلغ علمه ونظره في مالآت الأمــور ومقاصد الشرع ومصالح الأمة، والموازنة بين المصالــح والمفاسد ، حيث كان رضي الله عنــه مدرسةً مستقلــةً ، ليس في زمانه بل على مدى تاريخ الإســلام، ألا إنه هو العملاق الصحابي الجليل «عمر بن الخطاب رضي الله عنه».

فقــد بيّن الباحث أهمية القدس في الحضــارات الإنسانية، ومدى اهتمام العرب والمسلمين فيها على الصعيد النفسي، أو الجغرافي، أو الاقتصادي، أو السياسي، أو الثقافي والحضاري.

وبيّن الباحث في بحثه أهمية القدس في نظر سيدنا عمر بن الخطاب في الجاهلية واهتمامه ذلك على شخصيته ومسلكه، وهل كانت القدس في نظره واهتمامه، منذ اللحظة الأولى في تاريخ سيدنــا عمر بن الخطــاب رضي الله عنه بعد الإسلام ، وأبرز تلــك الاهتمامات أو الأبعاد النفسية والوجدانية في العهد النبوي الشريف، وفي خلافة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وإبــراز اهتمــام سيدنا عمر بــن الخطاب بالقدســ أثناء خلافتــه رضي الله عنــه، وتسيير

(١) سورة لقمان، الآية ٦.

الجيوش لفتحها، ومدى أهمية القدس في عيون الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ولماذا القدس؟، التاريخ والموقع، وما الذي فعله سيدنا عمر بالتشاور مع الصحابة للوصول إلى الهدف المنشود بيت المقدس مسرى النبي صلى الله عليه وسلم، وأولى القبلتين، ومكان اجتماع النبي صلى الله عليه وسلم ،ومدى تعبئة جند الله لأهمية القدس.

مرحلة فتح القدس وحصارها والجيوش التي انطلقت من اليرموك، والمساندة بجيش خالد بن الوليد رضي الله عنه، تحت لواء أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، من أجل الوصول إلى قلب القدس وتحريرها، وإعلاء الأذان على أسوار القدس ومقدساتها، وماذا فعل الصحابة للتفاني عنها؟، وما الأبعاد النفسية والوجدانية والتربوية عندهم؟.

فتح القدس وما كان فيه من فيضٍ في الاتجاهات النفسية والوجدانية، والآثار التربوية الناجمة عن الفتح، وأخلاقيات الصحابة الكرام مع غيرهم، وإظهار عدالة الإسلام والعهدة العمرية، وما نجم عنها في التعامل مع أهل القدس ومقدسات القدس، ودعوة الناس إلى دين الحق، وأبرز تلك المحطات في التعامل مع الأقليات تأسيساً لفقه الأقليات في تاريخ الإسلام، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾(١)

تساؤلات الدراسة:

هذه الدراسة تحاول الإجابة عن التساؤلات التالية:

- ما مدى اهتمام الحضارات والأمم السابقة وأمة الإسلام بالقدس .
- ما معالم اهتمام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالقدس ..
- ما معالم الفكر التربوي عند سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ..
- ما ملامح حياة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
- ما أهم الآراء والأفكار والدلالات التربوية والنفسية عند سيدنا عمر بن الخطاب تجاه القدس.

أهداف الدراسة:

- إبراز معالم الفكر التربوي عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
- إبراز أهمية القدس عند الحضارات السابقة والحضارة الإسلامية.
- ما المعالم والدلالات التربوية والنفسية عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه تجاه القدس..
- إبراز الدور التربوي للصحابة الكرام والاستفادة منه في واقعنا المعاصر.

(١) سورة النحل، الآية ١٢٥.

- محاولـة تأصيل سبب الاهتمام بالقدس عنـد الصحابة الكرام ،وسيدنا عمر بن الخطاب خاصة.

أهمية البحث:

رغم أن المكتبة الإسلامية تحتوي بعض الدراسات التي اعتنت بحياة و فكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولكنها جميعاً تفتقد إلى إبراز الجانب التربوي والتعليمي والنفسي من سيرته ، إذ جميعُهـا أغفل هذا الجانب، وركزت على جانب الخلافة والورع والفقه والحديث والتفسير وغيرها من العلوم التي اشتهر بها.

ولقـد كان عمـر بن الخطاب نموذجاً فريداً في تربيته للأمة ، حيث كان يمارس ويطبق آراءه فـي المجال التربـوي، والنفسي، والتعليمي، والدينـي، والأخلاقي، في بيئة علميـة نقلت لنا كثيراً مـن أفـكاره الثاقبة، ونظره في فقه الموازنـات والمقاصد، وعلمه بأحـوالٍ الناس وفطنته وخبرته بأعراف البشر، وسبره للتاريخ ومعرفة البلدان وأحوالها، والمجالات التربوية والنفسية، وكيف كان يتعامل مع قضية القدس قبل الفتح وبعده ؟.

ويمكن أن نوجز أهمية هذه الدراسة فيما يلي:

١- مكانة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الإسلام وقربه من رسول الله ﷺ، وما امتاز به من علم وجهاد ودعوة إلى الله تعالى و تأثيره في مجريات عصره .

٢- إن شخصيـة سيدنـا عمـر بـن الخطاب رضـي الله عنه التربويـة والنفسيـة لم تحظَ بالدراسة المتكاملة، التي توضح أبعادها الكاملة في إطار شمولي متكامل.

٣- إن مدرسـة عمـر بن الخطاب رضي الله عنه في جانبهـا التربوي والنفسي لا تقل أهمية عـن الجوانب الأخرى، في الخلافة والإمامة، والشورى، والفقـه، والتفسير، والحديث ،والقراءات وغيرهـا مـن العلوم التـي اشتهرت بها هـذه المدرسة، والتـي حظيت باهتمـام الباحثين في تلك المجالات.

٤- إن كشـف علاقـة سيدنا عمر بن الخطـاب بالقدس وسرّ اهتمامه بهـا، يُعطينا التصور الكامـل في آليات تكوين منظومة من بذل الجهد والوسـع ،والحرص على الاهتمام بالقدس وعدم الغفلة عن أحقية المسلمين بمعالم المكان الطاهر المقدس.

٥- ضـرورة تأصيل الفكر التربوي الإسلامي المعاصر، وذلـك من خلال إعادته إلى أصوله الأساسية الكتاب والسنة، وفهم وتطبيق الصحابة لهذين المصدرين، ولعل فكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه التربوي خيرُ مثالٍ على ذلك.

٦- إن دراسـة تاريـخ التربية الإسلاميـة ودراسة شخصياتها التاريخيـة تُعد مصدرا حيويا يمدنـا بالحلول لكثير مـن المشكلات التي تصادف مشروعنا التربـوي المعاصر، وذلك في جميع جوانبـه النظرية أو التطبيقية، وإعداد الجيل وبناء المجتمع وتأهيله في توثيق آليات الحفاظ على

القدس الشريف وتخليصه من براثن وأوساخ اليهود ...الخ.

مشكلة البحث:

تعتبـر دراسة الفكر التربـوي الإسلامي من خلال التجربة العربيـة الإسلامية عملاً يكشف بوضوح ملامح تلك التجربة في إيجابيتها وسلبيتها، مع الكشف عن أبعاد تلك التجربة وآثارها، لا لإحلال الماضي محل الحاضر بل لإعادة بنية الوعي، واستمراريته عبر الماضي، وربطه بالحاضر، و إعادة تأسيسه في الوعي التربوي الإسلامي المعاصر.

مـن أعظـم شخصيات الإسلام التربويـة، وأكثرها أثراً و تأثيراً على مـرّ العصور شخصية الصحابـي الجليـل عمر بن الخطاب رضـي الله عنه، ولهذا فإبراز هـذه الآراء التربوية، ومحاولة إيجادهـا من خلال تتبـع آثار ومرويات هـذا الصحابي الجليـل، وتتبع أقوال وشهـادات أصحابه ومعاصريـه لرسم الشخصية التربوية للصحابي، ليسهـل على المربين المسلمين الاستفادة منها والتزود بها هي غاية هذه الدراسة.

منهجية البحث

يعتمـد الباحـث في دراسته على المنهج الاستقرائي التاريخـي ، تبعاً لطبيعة البحث بالعمل على جمع المعلومة من مظانّها من مصادرها القديمة والحديثة، وذلك لمعرفة ما أبرز الاتجاهات النفسيـة والوجدانية لسيدنا عمر بن الخطاب، إضافـة إلى المنهج الاستنباطي حيث قام الباحث بدراسـة النصوص دراسـة تحليلية للنصوص مـن السيرة النبويـة والتاريخ الإسلامـي، والكتب التربوية والنفسية؛ لاستخلاص البعد النفسي والتربوي في التعامل مع القدس والمسرى الشريف.

الدراسات السابقة :

جميـع الدراسـات التي كتبـت عن عمر بن الخطـاب رضي الله عنه اقتصـرت على الجانب التاريخـي، أو الـورع والزهد والفتوحات والخلافة والفقه، أو هـي دراسة سيرته أو صور من حياته ولـم تبـرز الفكر التربوي والنفسي عنده وصور تطبيقاته، و تهدف هذه الدراسة بمشيئة الله تعالى إلـى إبـراز ذلك، أمـا الدراسات التي وقـف الباحث عليها فهي أقـرب إلى دراسـة سيرته و إبراز الجوانب العلمية (الفقه – الحديث – التفسير، القراءات) ومن هذه الدراسات:

١- دراسـة للطالبـة انتصـار يوسـف عبـد القادر،بعنـوان «القيـم التربوية فـي حياة عمر بـن الخطـاب»، رسالة ماجستيـر لكلية التربية تخصـص أصول التربية، جامعـة السودان للعلوم والتكنولوجيا عام ٢٠١٠ وقد اشتملت الدراسة على تعريف بسيرة سيدنا عمر بن الخطاب وتحليل بعض المواقف التربوية في مسيرة حياته، لكن لم تتعرض الباحثة الى علاقته بالقدس والمواقف التربوية والنفسية في ذلك .

٢- محمـد رواس قلعه جـي: موسوعة فقه عمر بن الخطاب، دار النفائس، الرياض، ١٩٩٢م ضمـن سلسلة موسوعـات فقه السلف، يعرض المؤلف في هذه الموسوعـة فقه عملاقٍ من عمالقة

الفقـه الإسلامي، مرتباً على الطريقـة المعجمية، وهي طريقة إنفرد بها المصنِّف، تُيسر الوصول إلـى أي حكم شرعي ومعرفة رأي المجتهـد موضوع البحث بسهولة وسرعة ، ولم يتعرض للجوانب التربوية والنفسية وتحليل المواقف فيما يخص العلاقة مع القدس .

ونسـأل الله تعالـى أن يوفقنا إلى إبراز الفكـر التربوي عند هذا الصحابـي الجليل ، ومدى اهتمامه بالقدس وابرز المحطات في ذلك

المبحث الأول : عمر بن الخطاب رضي الله عنه

المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته وصفته وأُسرته وحياته:

أولاً: اسمه ونسبه وكنيته وألقابه:

هو عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العُزَّى بن رياح بن عبد الله بن قرُط بن رَزاح بن عدي بـن كعب بن لؤي، بـن غالب القرشي العدوي(١) ، يجتمع نسبه مع رسـول الله ﷺ في كعب بن لؤي بـن غالب(٢)، ويكنى بأبي حفص(٣)، ولُقـب بالفاروق(٤)،لأنه أظهر الإسلام بمكة ففرّق اللّه به بين الكفر والإيمان(٥). ثاني الخلفاء الراشدين بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه(٦).

ثانياً: مولده وصفته الخَلْقية:

ولد عمر رضي الله عنه بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة(٧) وأما صفته الخَلّقية، فكان رضي الله عنــه أبيضـ ، تعلوه حُمرة، حسن الخدين والأنف والعينين، غليـظ القدمين والكفين، مجدول اللحم، وكان طويلاً جسيماً أصلع، قوياً شديداً، لا واهناً ولا ضعيفاً(٨).

رابعاً: حياته في الجاهلية:

أمضى عمر بن الخطاب في الجاهلية شطراً من حياته، ونشأ كأمثاله من أبناء قريش، وامتاز

(١) يوسف بن الحسن بن عبدالهادي الدمشقي الصالحي الحنبلي، محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، دار أضواء السلف، الرياض، د.ت، ج١، ص١٣١.

(٢) مجدي فتحي السيد، صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق عمر بن الخطاب، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص١٥. جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار صادر، بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ص١٣٣.

(٣) صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق عمر بن الخطاب ص١٥ . يوسف بن الحسن بن عبدالهادي الدمشقي الصالحي الحنبلي، محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، مرجع سابق، ج٣، ص٨٤٠.

(٤) جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٣٣.

(٥) نفس المصدر ص١٥ . سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، مجلد سير الخلفاء الراشدين، ص ٦٩- ١٤٥ (مؤسسة الرسالة).

(٦) جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، مصدر سابق ،ص١٣٣، مجدي فتحي السيد، صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق عمر بن الخطاب، مرجع سابق، ص٣٠.

(٧) () تاريخ الخلفاء، للسيوطي، ص١٣٣ .

(٨) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعاني ص١٥ . تهذيب الأسماء (١٤/٢) للنووي، أوليات الفاروق للقرشي ص٢٤ . ترتيب وتهذيب البداية والنهاية خلافة عمر للسُّلمي، ص٧ . تاريخ الأمم والملوك للطبري (١٩١/٥). الكامل في التاريخ (٢١٢/٢)، الشيخان أبو بكر وعمر برواية البلاذري تحقيق الدكتور إحسان صدقي، ص٢٢٧ . فرائد الكلام للخلفاء الكرام، قاسم عاشور ص١١٢. الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب، فاروق مجدلاوي ص٩٠ .

عليهم بأنه كان ممن تعلّموا القراءة وهؤلاء كانوا قليلين جداً[1]، وقد حمل المسؤولية صغيراً، ونشأ نشأة صعبةً شديدة، لم يعرف فيها ألوان الترف، ولا مظاهر الثروة ،ودفعه أبوه الخطاب في غلظة وقسوة إلى المراعي يرعى إبله، وتركت هذه المعاملة القاسية من أبيه أثراً بالغاً في نفس عمر رضي اللّه عنه، فظل يذكرها طيلة حياته، فهذا عبد الرحمن بن حاطب يحدثنا عن ذلك فيقول: كنت مع عمر بن الخطاب بضجنان[2]، فقال: كنت أرعى للخطاب بهذا المكان، فكان فظّاً غليظاً فكنت أرعى أحياناً وأحتطب أحياناً..[3] ولأن هذه الفترة كانت قاسية في حياة عمر، فإنه كان يكثر من ذكرها فيحدثنا سعيد بن المسيب رحمه اللّه قائلاً: حجّ عمر، فلما كان بضجنان قال: لا إله إلا اللّه العلي العظيم، المعطي ما شاء، لمن شاء. كنت أرعى إبل الخطاب بهذا الوادي، في مدرعة صوف، وكان فظاً، يتعبني إذا عملت، ويضربني إذا قصرت[4]. يقول ابن سعد «إن عمر كان يقضي بين العرب في خصوماتهم قبل الإسلام»[5].

وكان رضي اللّه عنه، رجلاً حكيماً، بليغاً، حصيفاً، قوياً، حليماً، شريفاً، قوي الحجة، واضح البيان، مما أهّله لأن يكون سفيراً لقريش، ومفاخراً ومنافراً لها مع القبائل[6].

المطلب الثاني: إسلامه:

أولاً: بعد الإسلام:

أحد السابقين الأولين، وكان إسلامه فتحاً وعزاً ظهر به الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد أصهار رسول اللّه ﷺ، حيث تزوّج رسول اللّه ﷺ ابنته حفصة بنت عمر، وهو أحد كبار علماء الصحابة، وزهادهم[7].

وقد اتفق العلماء على أن سيدنا عمر شهد بدراً، وأحداً، وبيعة الرضوان، وكلّ مشهد شهده رسول اللّه ﷺ، ولم يغب عن غزوة غزاها رسول اللّه ﷺ، وتوفي رسول اللّه ﷺ وهو عنه راضٍ، وولي الخلافة بعَهْد من أبي بكر، وبويع له بها في حضرة أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه باستخلافه له في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بعدما استشار الصحابة في ذلك، وقد كثرت الفتوحات الإسلامية في خلافته، فقد فتح اللّه له الفتوح بالشام، والعراق، ومصر، ففي سنة أربع

(١) الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب، فاروق مجدلاوي ص٩٠ .

(٢) ضجنان جبل على مسيرة بريد من مكة وقيل على مسافة ٢٥كم.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٢٦٨/٥٢)، طبقات ابن سعد (٢٦٦/٣) وقال صحيح الإسناد.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٩٣/٣) وله شواهد تقويه. التاريخ الإسلامي العام، علي حسن إبراهيم ص٢٢٦ ، الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب ص٩٠ . عمر بن الخطاب، حياته، علمه، أدبه، د. علي أحمد الخطيب ص١٥٣ . عمر بن الخطاب، د. محمد أحمد أبو النصر ص١٧ .

(٥) الخليفة الفاروق د. العاني، ص١٦ .

(٦) نفس المصدر السابق، ص١٦ .

(٧) تاريخ خليفة، ص ١٥٣، والاستيعاب لابن عبد البر، ٣/ ١١٤٥. عمر بن الخطاب، حياته، علمه، أدبه، د. علي أحمد الخطيب، ص١٥٣

عشرة للهجرة فُتحت: دمشق، وحمص، وبعلبك، والبصرة[١].

وهــو الــذي دوّن الدواوين فى العطاء، ورتب الناس فيه على سوابقهم، وكان لا يخاف فى اللّٰه لومــة لائـم، وهو الذى نوَّر شهـر الصوم بصلاة الإشفـاع فيه (التراويح، فجمـع الناس على إمام واحـد)، وأرّخ التاريخ من الهجـرة ، وهو أوَّل من سُمِّي بأمير المؤمنين، فسار بأحسن سيرة وأنزل نفسه من مال اللّٰه بمنزلة رجل من الناس[٢].

ففي خلافته وعهده سنة خمس عشرة للهجرة فُتحت الأردن كلها، وفيها كانت وقعة اليرموك المشهـورة، والقادسية، وفي سنة ست عشرة فتحت الأهــواز، والمدائن، وفيها كانت وقعة جلولاء، وفيها أقيمت أول جمعة في العراق، وفيها فتحت تكريت وفي سنة تسع عشرة فتحت قيسارية، وفي سنــة عشرين فتحت مصر، وفيها فتحت تُستر، وفيهــا هلك قيصر عظيم الروم، وفيها أجلى عمر اليهــودَ عن خيبر، وعن نجـران، وفي سنة إحدى وعشريــن فُتحت الإسكندريــة، ونهاوند، وبُرقة، وغيرهــا، وفي سنــة اثنتين وعشرين فُتحــت أذربيجــان، والدِّينَوَرُ، وهمــذان، وطرابلس المغرب، والــري، وعسكر، وفــي سنة ثلاث وعشرين كان فتح كرمان، وسجستــان، ومكران من بلاد الجبل، وأصبهان ونواحيها، وغيرها.[٣]، وفيها سار عمر وفتح بيت المقدس، وفيها فُتحت حلب، وأنطاكية، وغيرهــا، وفي سنة سبع عشرة زاد عمر فــي المسجد النبوي، وفي سنة ثمان عشرة فتحت حلوان، وفيها فتحت الرها، وحران، ونصيبين، وطائفة من الجزيرة، والموصل ونواحيها .

وهــو الذي أثنى عليه النبي ﷺ بقوله: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»[٤]، وبشره النبي ﷺ بقصر في الجنة بقوله صلى الله عليه وسلم: «دَخَلْتُ الْجَنَّــةَ فَرَأَيْــتُ فِيهَا دَارًا، أَوْ قَصْرًا، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ ، فَذَكَــرْتُ غَيْرَتَــكَ فَبَكَى عُمَرُ، وَقَالَ : أَيْ رَسُــولَ الله أَوَ عَلَيْكَ يُغَارُ؟»، وفي لفــظ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَةَ عُمَرَ، فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَبَكَى عُمَرُ»[٥]، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّه تَعَالَى جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ»[٦].

(١) سيرة ابن هشام (٢١٦/١)، فضائل الصحابة للإمام أحمد (٣٤١/١) إسناد حسن. الاستيعاب ، ٣/ ١١٤٥.

(٢) سيرة ابن هشام (٢١٦/١)، مناقب عمر لابن الجوزي، ص ٩، وص ٨٩– ٩٢.، بحث على شبكة الإنترنت بعنوان عمر بن الخطاب ، للدكتور ناصر بن محمد الأحمد ، ص٦– ١٠.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٩٣/٣) وله شواهد تقويه. التاريخ الإسلامي العام، علي حسن إبراهيم ص٢٢٦ ، الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب ص٩٠ . عمر بن الخطاب، حياته، علمه، أدبه، د. علي أحمد الخطيب ص١٥٣ . عمر بن الخطاب، د. محمد أحمد أبو النصر ص١٧ .

(٤) رواه البخاري، كتاب المناقب ، باب مناقب عمر بن الخطاب، برقم ٣٢٩٤، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عمر بن الخطاب، برقم ٢٣٩٦.

(٥) رواه البخاري،كتاب المناقب الصحابة ، مناقب عمر بن الخطاب، برقم ٥٢٢٦، ورقم ٣٢٤٢، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، فضائل عمر بن الخطاب، برقم ٢٣٩٤. ٢٣٩٥.

(٦) فتح الباري (٤٧/٧–٤٨)، شرح النووي (١٦٥/١٥–١٦٧).مسند الإمام أحمد، برقم ٥١٤٥، وأبي داود، برقم ٢٩٦٤،=

قتلـه أبو لؤلؤة المجوسي، وهويصلي بالناس في مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، في صلاة الفجر، فُطعن لثلاثٍ بقين من ذي الحجة، فعاش ثلاثة أيام، ويقال سبعة أيام، وعن معدان بن طلحة قال: قُتل عمر يومَ الأربعاء لأربعٍ بقين من ذي الحجة، وهو ابن ثلاثٍ وستين سنة، وكانت ولايتهُ عشر سنين وستة أشهر وخمسة أيام أو تسعة(١).

المبحث الثاني: موجز عن تاريخ القدس

قبـل أكثر من خمسـة آلاف سنة، استوطـن الكنعانيون العرب في مدينـة القدس، وأسموها «أورسالـم» أي مدينة السـلام، وقيل إن الملك العربي الذي بناها اسمه سالم ، وقد أوردت التوراة ذكـر أحد حكامها من اليبوسيين العرب «ملكي صادق» الذي كان صديقاً لأبي الأنبياء إبراهيم(٢). ثم خضعت مدينة القدس للحكم الفرعوني من القرن ١٦ – ١٤ ق.م، وخلال هذه الفترة هاجر أبناء سيدنـا إسحاق والد سيدنا يعقوب عليهم أفضل الصلاة والسـلام، الذي يسمى كذلك «إسرائيل» إلى مصر حيث كان أخوهم يوسف قائمًا على خزائن الأرض حفيظاً لها وعالماً بأحوالها ، فاستقر الموحـدون المسلمـون في مصر وكثـر عددهـم، ولكنهم تعرّضـوا للاضطهاد على يـد الفرعون رمسيسـ الثاني الـوارد ذكره في القرآن الكريم فقرر سيدنا موسـى عليه الصلاة والسلام (وهو مـن نسل لاوي أحد الأسباط الاثني عشر) الخروج بهـم إلى أرض كنعان، فتبعهم فرعون وجنوده وغرقـوا في اليم(البحر) ، ومكث بنو إسرائيل فـي الصحراء أربعين سنة(مرحلة التيه) قبل أن يتمكنـوا من دخول فلسطيـن بقيادة داوود عليه الصلاة والسلام بعد مـوت موسى النبي، وعندما هـزم داوود جالـوت ودخل وقومه القدس، وأقاموا فيها مملكتهـم ٤٠ عاماً، ثم خلفه من بعده ولده سيدنـا سليمان الذي حكمها ٣٣ عاماً، والذي أعطـاه اللّه تعالى مُلكاً لم يكن لأحد من بعده ، وبعد وفاة سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام ، انقسمت الدولة بين مملكتي «إسرائيل» و«يهودا»، وقد أصبحت القدس جزءاً من مملكة «يهودا»، فاحتلها الفراعنة ثم الآشوريون ثم الكلدانيون.

ثـم بعـد ذلك حاول اليهود التمـرد والخروج على حكم بلاد ما بيـن النهرين، فهاجم الملك البابلـي نبوخـذ نصّر الثاني مدينة القدس عـام ٥٨٦ ق.م، ودمرها ونقل اليهـود أسرى إلى بابل، وتسمـى هذه الفترة لدى اليهود بـ «الأسـر البابلي» ، ومع سيطرة الفرس على بلاد ما بين النهرين سمح الملك الفارسي قورش عام ٥٣٢ ق.م لمن أراد من أسرى اليهود في بابل بالعودة إلى القدس، ثـم جاء عصر وحقبة الإسكندر الأكبر، وقـد سيطر على فلسطين بما فيها القدس عام ٣٣٣ ق.م،

=والترمذي، برقم ٣٦٨٢، وصححها الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٩٠٨.

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٣٧. ومناقب عمر لابن الجوزي، ص١٢-١٨، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ٣/١٢١-١٢٥.

(٢) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القدس.. قصة مدينة، تونس، ط١، ص ٢٤ .

– أنيس صايغ وآخرون، الموسوعة الفلسطينية، دمشق، ١٩٨٤، باب القدس، ج٣، ص ٥١٠ وما بعدها.

– موسوعة ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، القدس: ar.wikipedia.org

– موقع الجزيرة نت، المعرفة، القدس عبر التاريخ العربي الدائم: www.aljazeera.net/NR/exeres/0523578F

وبعد وفاته استمر خلفاؤه المقدونيون والبطالمة في حكم المدينة[1].

وفي عام ٦٣ ق.م سيطر الرومان على القدس، وخلال فترة حكمهم ولد السيد المسيح، وحوربت دعوته، وفيها تمرّد اليهود فقمعهم الحاكم الروماني «تيطس» بالقوة وأحرق المدينة وأسر كثيراً منهم عام ٧٠م، ثم عاود اليهود التمرد مرتين في عامي ١١٥ و١٣٢م ،وتمكنوا بالفعل من السيطرة على المدينة، إلا أن الإمبراطور الروماني «هدريان» قمعهم مجدداً وأخرجهم منها مبقياً المسيحيين، وأسفر ذلك عن تدمير القدس للمرة الثانية، ومع إعلان الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول المسيحية ديانة رسمية للدولة الرومانية، ثم انقسامها عام ٣٩٥م إلى قسمين متناحرين، أغار الفُرس على القدس وسيطروا عليها من ٦١٤م إلى ٦٢٨م، قبل أن يستعيدها الرومان مرة أخرى[2]

المبحث الثالث : منزلة القدس في الإسلام

في الحديث عن ميمونة، مولاة النبي صلى الله عليه وسلم، أنها قالت: «أفتنا يا رسول الله في بيت المقدس»[3]، قال: «أرض المحشر والمنشر، ائتوه فصلّوا فيه، فإنّ صلاةً فيه كألف صلاةٍ في غيره»، وفي رواية أخرى: «فإن لم تأتوه وتصلوا فيه فابعثوا بزيت يُسرج قناديله»[4].

وفضل الحج والصلاة في مسجد المدينة والمسجد الأقصى في عام واحد روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الصلاة في بيت

---

(١) أحمد فتحي خليفة، موسوعة بيت المقدس، (نابلس/فلسطين: مؤسسة سلسبيل للكمبيوتر) ١٩٩٩م

ـ أحمد فتحي خليفة، دليل أولى القبلتين/ثاني المسجدين وثالث المسجد الأقصيين (مؤسسة الأقصى /فلسطين)٢٠٠٢ ـ نشر في www.islamic- aqsa com

ـ دائرة الأوقاف الإسلامية، المسح الأثري لقسم الآثار (القدس) د ت

ـ المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى، دليل المسجد الأقصى الشريف (القدس: مطبعة بيت المقدس) د ت ـ الأرجح ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، ص٦٧.

ـ رائف نجم وآخرون، كنوز القدس(عمان: مطبوعات منظمة المدن العربية ومؤسسة آل البيت، ١٩٨٣م

ـ روحي الخطيب، تهويد القدس (عمان:لجنة إنقاذ القدس) ،ج١ / ١٩٧٠م، ج٢ / ١٩٧١م

ـ عارف العارف، تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك، ولمحة عن تاريخ القدس، القدس: مطبعة دار الأيتام الإسلامية، ١٩٥٥م

ـ عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس ط٢، القدس: منشورات مكتبة الأندلس ١٩٨٦ ،ص١٩

ـ عبد القادر الريحاوي، تاريخ المسجد الأقصى القدسي الشريف وآثاره، بحث مقدم إلى الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية (جامعة حلب) ١٩٨١م

ـ علي بركات، خطر التهدم الحضاري على المسجد الأقصى القدسي، دراسة في كتاب «يوم القدس»، الرابع (عمان)١٩٩٣

ـ عيسى محمود بيضون، دليل المسجد الأقصى المبارك (كفركنا/فلسطين المحتلة: مركز التخطيط والدراسات)١٩٩٣م

(٢) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القدس.. قصة مدينة، تونس، ط١، ص ٢٤ .

– أنيس صايغ وآخرون، الموسوعة الفلسطينية، دمشق، ١٩٨٤، باب القدس، ج٣، ص ٥١٠ وما بعدها.

– موسوعة ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، القدس: ar.wikipedia.org

– موقع الجزيرة نت، المعرفة، القدس عبر التاريخ العربي الدائم: www.aljazeera.net

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه، باب: ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس برقم (١٤٠٧) وهو صحيح إلى قوله: أرض المحشر والمنشر، وأما الزيادة فمنكرة .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، باب: الصلاة، حديث رقم ٣٨٦ .

المقدس خير من ألف صلاة فيما حواله إلا في المسجد الحرام ومسجدي هذا)[١].

عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (الصلاة في المسجد الحرام تفضل على غيره بمائة ألف صلاة وفي مسجدي ألف صلاة وفي مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة)[٢].

وفي حديث آخر عن أبي المهاجر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من صلى في بيت المقدس، غفرت ذنوبه كلها)[٣].

المسجد الأقصى المبارك، هو شقيق المسجد الحرام الذي يكبره بأربعين سنة. عن أبي ذر الغفاري ، رضي الله تعالى عنه، قال: قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال:» المسجد الحرام»، قال: قلت ثم أي؟ قال:» المسجد الأقصى»، قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة فصله، فإن الفضل فيه» [٤].

هو أُولى القبلتين، وثاني الحرمين الشريفين، وثالث المساجد التي تشد إليها الرحال، عليه توحدت الأجناس، والأعراق، والألوان، واللغات ، وإليه توجه المسلمون في الصلاة ستة عشر شهراً، إلى أن أمر الله بتغيير القبلة بقوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾[٥]، وقد زاده الله شرفًا بصلاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إمامًا بالأنبياء فيه، ليلة الإسراء والمعراج.

في الأقصى وحوله تعتصم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة، وقد قال رسول الله ﷺ عنهم «لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله»[٦]، وفيه تطلب البركة، ولفضله «ملائكة الله باسطة أجنحتها على الشام»، وفيه تضاعف الأجور، حيث الصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة. وهو من الأماكن التي يلوذ الناس بها ويحتمون في زمن فتنة المسيح الدجال.

المسجد الأقصى، إليه تهفو القلوب والأفئدة على مرّ العصور، وهو قرة عين الرسول ﷺ، ومن أجله ترك خليفة المسلمين عمر بن الخطاب دار الخلافة، ليدخله والمسلمون، وليضع بنفسه اللبنات الأولى للمسجد القبلي، وإكراماً له أذّن مؤذن الرسول ﷺ بلال بن رباح، أذاناً انقطع عنه

---

(١) الامام أحمد ، مسند ابن حنبل ، جزء ٢، ص٢٣٤. الْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ لِلْحَاكِمِ (٤٤٧٩) ومُسْنَدُ الشَّامِيِّينَ لِلطَّبَرَانِيِّ (١٨٣٠) حسن لغيره .

(٢) حديث: «فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة . . .». أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٤ / ٧) وعزاه للطبراني في الكبير ثم قال : " رجاله ثقات ، وفي بعضهم كلام ، وهو حديث حسن.وأخرجه النسائي ، سنن النسائي، كتاب المساجد ، باب فضل الصلاة في المسجد الحرام.

(٣) أخرجه النسائي ، سنن النسائي ، كتاب المساجد ، باب فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه ، كتاب المساجد رقم ٦٩٣ من دعاء سليمان عليه السلام بمعناه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: أحاديث الأنبياء، حديث رقم ٣٣٦٦.

(٥) سورة البقرة،الآية ١٤٤.

(٦) أخرجه مسلم في باب الإمارة، الحديث رقم ١٩٢٤ و ١٩٢٥، وابن ماجة في باب الفتن، حديث رقم ١٠، والإمام أحمد في مسند الأنصار، حديث رقم ٢١٣٦١.

منذ وفاة سيدنا محمد ﷺ.

فقد وضعت المدينة في أعلى درجات القداسة الدينية لدى المسلمين – عندما تم الربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى ، وهذا يعني أن المدينة هي مدينة عربية إسلامية خالصة ، والقرآن الكريم قد حدد خصوصية هذه المدينة ، وجعل لها رابطاً قوياً مع قبلة الإسلام الأبدية المسجد الحرام، والكعبة المشرفة بحيث لها البعد العقائدي والنفسي والروحي، ومضاعفة الأجور وواجب الدفاع عنها وخصوصية شد الرحال إليها[1]، قال تعالى ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[2].

وهذا يعني أن مدينة القدس ليست مجرد حجارة وعمارة وزخارف ، وإنما هي معيار حقيقي لثقافة دينية وسياسية وتاريخية ، وركيزة أساسية في تشكيل هوية القدس الدينية والعقائدية والروحية والنفسية الثقافية.

للبلدة القديمة في القدس مكانة دينية خاصة، فهي أرض الأنبياء، وموطن الرسالات، وهي عند المسلمين بوابة السماء، فإليها أُسريَ بالنبي محمّد صلى الله عليه وسلم ومنها عُرج به إلى السماء، ومسجدها الأقصى كان القبلة الأولى للمسلمين في صلاتهم، وهو أحد ثلاثة مساجد تُشدّ إليها الرحال، وفيها الصخرة التي ستكون أرض المحشر والمنشر، وهي الأرض المقدّسة والمبارك ما حولها[3].

كان الخلفاء يأخذون البيعة السياسية لهم في هذه المدينة ، كما فعل معاوية بن أبي سفيان الذي بويع سنة ٤١هـ في مدينة القدس، وكذلك فعل سليمان بن عبد الملك ، واهتم الخلفاء الأمويون والعباسيون بالمدينة المقدسة ، وعمارة المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، فالقدس مدينة عربية منذ أكثر من ستة آلاف سنة، أسسها اليبوسيون، في الألف الرابع قبل الميلاد، حيث سمّوها «يبوس»، وفي عهد أحد ملوكهم –ملكي صادق– ظهرت في المدينة أول جماعة موحدة[4].

وكان أول من اختطها هو سام بن نوح عليهما السلام ، واليه يسند كثير من العلماء ، مسؤولية بناء المسجد الأقصى ،فيما يرى علماء آخرون أن آدم عليه السلام هو الذي بناه، بينما ينفرد

(١) القدس ، جاسر العناني ، دراسات قانونية وتاريخية ، جمعية عمال المطابع التعاونية، ط١، ٢٠٠١، ص١٣، ص ٥٨.

(٢) سورة الإسراء / الآية ١

(٣) حقيقة القدس ، د. محمد حسين محاسنه ، الشركة الجديدة للطباعة والتجليد ، ط ١، ٢٠٠٤، نشر بدعم من أمانة عمان الكبرى ، ص، ٢٩٢. المسجد الأقصى الحقيقة والتاريخ ، علي القدومي ، كتاب مصوّر، ط٢ ، مركز بيت المقدس للدراسات والتوثيق ، ٢٠٠٨ ، ص١٦-٢٢.

(٤) د. حسن مصطفى خاطر، موسوعة القدس والمسجد الأقصى المبارك، مؤسسة الرسالة، القدس، ٢٠٠٤، ج٢ ص ١٠ وما بعدها.

– مخلص يحيى برزق، القدس من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، مؤسسة القدس، ص ٢٩ وما بعدها.

– موقع الفسطاط : http://www.fustat.com/I_hist/al-Quds.shtm

الإمـام أبو العباس القرطبي بالقول « ويجوز ان تكون بنته الملائكة بعد بنائها للبيت المعمور بإذن الله تعالـى » . وقـال ابن كثير : كانت البيوت قبلة ولكنه أول بيت وضع لعبادة الله في ذلك المكان ، وعـن خالـد بن عرعرة قال: قام رجل إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال « ألا تحدثني عن البيـت ، أهـو أول بيت وضع في الأرض؟قال لا ولكنه أول بيت وضع فيه البركة ، مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا»[١] .

ثـم إن منزلة القدس ومكانتها عند المسلمين لا تنتهي مهما وُصفت، بجمالها، وروحانياتها، وحجارتها، وأسوارها، والقباب التي فيها، ومساجدها ومصلياتها، وقبة الصخرة المشرفة[٢] .

وهنــاك دلالة لنا كمسلمين وعلاقة وطيدة أصّلت وأسست الحب للقدس والمسجد الأقصى، ألا وهــي الارتباط الوثيق بركـن الصلاة وفرضيته، حيث من هناك عُرج بالنبي ﷺ إلى السموات العليـا ، حيـث جاء من عنـد ربه بالركن الثانـي من أركان الإسـلام وهو الصلاة، فـي وقت كانت فلسطين ولاية من ولايات الرومان[٣] .

ولقـد أعطى الله سبحانه وتعالى القدسية للقدس، وأطلق القـرآن الكريم على هذه المدينة المقدسة مصطلح « مسجد » أي قبلة للساجدين[٤] .

وقـد حدث هذا من العام الثاني قبل الهجـرة النبوية، عند حدوث معجزة الإسراء والمعراج الشريفين[٥] .

وأيضاً ففي القدس :

الإسراء والمعراج الشريفين

قال تعالى ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٦] .

من أبرز الآيات والمعجزات معجزتا الإسراء والمعراج .

فالله سبحانه وتعالى ناصر رسول الله ﷺ، وعاصمه وقد أراه الآيات الكبرى العظام، وسخر له المعجزات المسرّية عنه والمثبتة له والمطمئنة له، على أنّ الله تعالى سيحفظ دينه ، بعد رحلة

(١) د. حسن مصطفى خاطر، مرجع سابق، ج٢ ص٢٩٧- الأهمية الدينية للقدس، مركز المعلومات الفلسطيني: http://www.pnic.gov.ps/arabic/alquds/city.html

(٢) حقيقة القدس ، د. محمد حسين محاسنه، الشركة الجديدة للطباعة والتجليد ، ط ١، ٢٠٠٤، نشر بدعم من أمانة عمان الكبرى ، ص، ٢٩٢.

(٣) المسجد الأقصى المبارك وما يتهدده من حفريات اليهود ، محمد علي أبو حمده ، مكتبة الرسالة الحديثة ، طبعة سنة ١٩٨٢، ص١١.

(٤) مجلة العربي ، العدد ٦٠٦، مايو ٢٠٠٩، وزارة الإعلام ، دولة الكويت ، مقالة من يعيد للقدس زمنها الأول ، ص٥٥.

(٥) القدس سيناريوهات مستقبلية ، جاسر علي العناني ، الشركة الجديدة للطباعة والتجليد ، ط١، ٢٠٠٤، ص١١٥

(٦) سورة الإسراء / الآية ١

طويلـة وشاقة ولا يستطيع أي واحد تحملها، لكن الرسول ﷺ خير الصابرين ، وأكثر الناس همةً، والدعـوةُ إلهيـةٌ عظيمـة وهي أعظمُ مـن كل شيء في الحيـاة ، وفي سبيلها وهــي سبيل الله الحق المبيــن تهون الأنفس والنفائس، والله عزوجل مع رسولـه ﷺ المؤيد والناصر له ، وقد رفعه الله تعالى المنزلة الأعلى.

والإســراء هــو السير برسول الله ﷺ ليلاً من المسجد الحرام بمكـة المكرمة إلى المسجد الأقصـى ببيـت المقدس، والمتدبـر والمتفكر في الآيـة الكريمة في قولـه تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(1) يقف على أسرارٍ عظيمة من أسرارِ الإسراء(2). لا مجال لذكرها خوفاً من اتساع البحث.

«وهنـاك بالمسجـد الأقصى بيـت المقدس الذي بإيليـاء معدن الأنبياء من لَـدُن إبراهيم الخليل عليه السلام، ولهذا جُمعوا له هناك كلهم فأمّهم (أي محمد ﷺ) في محلتهم ودارهم يدل على أنه الإمام الأعظم والرسول المقدم ، صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين»(3)

حائط البراق الشريف

من أبرز معالم قدسية بيت المقدس «البراق الشريف»، وهو مكان له قدسيته ، فقد ورد ذكره فـي الحديـث الشريف، وفي كتب السيرة النبوية المطهرة، وهـو المكان الذي مر به الرسول ﷺ، ليلة الإسراء، وربط البراق بحلقة من الحديد في الحائط وهو قسم من أقسام مسجد البراق .

وهو بذلك مكان له قدسيته ، لأنه جزء لا يتجزأ من الحرم القدسي ولصلته برحلة الإسراء، وهـو ملِـك للمسلمين كافـة، لأنه جزء لا يتجزأ مـن المسجد الشريف، ولكونه وقفـاً إسلامياً ، هو والرصيف معاً .

ويُعرف مدخل الحرم الشريف قرب جامع البراق بـ «باب محمد» و «باب البراق»، وقد ذكرت دراسـات فـي السيـرة النبوية أن طريـق محمد صلى الله عليـه وسلم ، هي المنطقـة التي أوقفها الأفضل بن صلاح الدين، وبهذا تكون هذه البقعة مرتبطة بالسيرة النبوية ، ويُشار في هذا المقام الى مصطلحين ورد ذكرهما في الحديث الشريف البراق، وهما :

- «حوش البراق» : ويؤكد الارتباط التاريخي بالإسراء.
- «حديقـة الأقصـى»: ويؤكد أن جميـع الأراضي المجاورة لجدران المسجـد الأقصى وقفٌ

(1) سورة الإسراء / الآية 1

(2) الفيوض الربانية في الرحلة النورانية ، معجزة الإسراء والمعراج ، محمد محمود صلاح (أبو الدرداء) ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط1، 1990، ص31وص54. مخلص يحيى برزق، القدس من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، مؤسسة القدس، ص 29 وما بعدها.

(3) الفيوض الربانية في الرحلة النورانية ، معجزة الإسراء والمعراج ، محمد محمود صلاح (أبو الدرداء) ، ص31وص54. تاريخ القدس ، عارف باشا ، دار المعارف ، ط2 ، القاهرة ، ص 66.

إسلامي عامٌ . وكان «الممر» لمرور القاطنين في حارة المغاربة الى مسجد البراق ثم الى المسجد الشريف ، والمنطقة التي يقطنها مسلمون ، وهي بذلك منطقة إسلامية تماماً[1] .

ومن الجدير بالذكر هنا أن الأفضل بن صلاح الدين ، كان قد أوقف حي المغاربة ، في سنة ٥٨٩هـ . على المغاربة ، وقام بإنشاء مدرسة إليهم نُسبت إليه فقيل المدرسة الأفضلية ، وقد ورد في نص الوقفية أن حدود ذلك الحي كانت كما يلي: (يحدها من الجنوب سور القدس، من الشمال طريق السلسلة المؤدي إلى الحرم الشريف ، ومن الشرق حائط الحرم الشريف ، ومن الغرب حارة الشرف) وعلينا أن نعلم أن مصادر التاريخ الإسلامي لم تتحدث عن أهمية الحائط عند اليهود ، ولم تتحدث عن زيارتهم له ، ولا نجد حديثاً فيها يُسمى (حائط المبكى) أو (الحائط الغربي) وهما اسمان لم يظهرا الا في رحلات الاوروبين فيما بعد، ويؤكد ما تقدم أن الرحالة ناصر خسرو مثلا، وقد قام بزيارة القدس في سنة ٤٣٨هـ ، لم يذكر مبكى لليهود ، ولم يشر الى بكائهم عنده ، ولم يشر الى ذلك الإمام الغزالي رحمه الله ، وقد زار القدس وأقام فيها نحو سنة ، وفي أواخر العصر المملوكي قام راهب الماني هو (فلكس فابري) بزيارة القدس ، في سنة ١٤٨٤م، دوّن رحلته، ولم يذكر فيها ما يسمى حائط المبكى[2] .

المعراج:

هي تلك الرحلة السماوية المجللة بقدرة الله تعالى لرسول الله ﷺ بنقل النبي ﷺ بالروح والجسد من بيت المقدس إلى السماوات العُلا ثم الى سدرة المنتهى ثم اللقاء بينه وبين الله سبحانه وتعالى[3])

قال تعالى ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا
وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ
قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ
﴿١٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾
مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾[4]

و قد جُمع الأنبياء للرسول ﷺ، فرأى منهم إبراهيم وموسى وعيسى وأمّ بهم فصلوا في المسجد الأقصى ، فكان هذا الاجتماع للأنبياء بهذا المكان تكريماً للنبي محمد عليه أفضل

(١) الفيوض الربانية في الرحلة النورانية ، معجزة الإسراء والمعراج ، محمد محمود صلاح (أبو الدرداء) ، ص٣١وص٥٤. مخلص يحيى برزق، القدس من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، مؤسسة القدس، ص ٢٩ وما بعدها.

(٢) الفيوض الربانية في الرحلة النورانية ، معجزة الإسراء والمعراج، محمد محمود صلاح (أبو الدرداء) ، ص٣١وص٥٤ ، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، ص ٣٦ ، تاريخ القدس ، عارف باشا ، دار المعارف ، ط٢ ، القاهرة ، ص ٦٦.

(٣) الفيوض الربانية في الرحلة النورانية ، معجزة الإسراء والمعراج ، محمد محمود صلاح (أبو الدرداء) ،ص٣١وص٥٤. الإسراء والمعراج، هاشم محمد علي المشهداني، موقع دار الإسلام الالكتروني ، حقيقة القدس ، د.محمد حسين محاسنة، ص١٢٣. فقه السيرة النبوية، البوطي، محمد رمضان،ط١، دار الفكر، دمشق،١٩٩١، ص٦٦.

(٤) سورة النجم / الآيات من ١-١٨

الصلاة والتسليم، وإيذاناً بعموم رسالته وخلود أمانته وإنسانية تعاليمه وهي تعاليم رسالة الإسلام مع صلاحيتها لكل زمان ومكان ، وعند عروجه صلى الله عليه وسلم إلى السماء، استقبله الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بكل حفاوة وتبجيلٍ احتفاءً بمَقدَمه وزيادةً في تكريمه صلى الله عليه وسلم ، وهناك فرض الله سبحانه وتعالى عليه وعلى المسلمين الصلوات الخمس، ثم عاد من هذه الرحلة المباركة إلى مكة وفي ليلته ، وعندما أخبر الناس بما حدث له أثار ذلك العجب والاستغراب لدى أهل مكة، ولم يصدقوا ذلك حتى أخبر أبو بكر فكان أول المصدقين له لما عرف عن النبي ﷺ أنه الصادق الأمين ، فقال أبو بكر : إنني أصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء، أفلا أصدقه بخبر الأرض، وكان النبي ﷺ يصلي هو وأصحابه وهم في مكة الى بيت المقدس والكعبة بين يديه ، أي بينه وبين بيت المقدس وإلى أن هاجر إلى المدينة فكان يصلي إلى بيت المقدس واستدبر القبلة ، وكان يحب أن تكون قبلته الكعبة لأنها قبلة إبراهيم عليه السلام ، وكان يكثر الدعاء الى الله تعالى حتى جاء أمر الله سبحانه وتعالى بتحويل القبلة الى الكعبة في السنة الثانية للهجرة ، قال تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾[(١)]

المبحث الرابع: القدس عند عمر بن الخطاب

لقد عرفنا أهمية القدس عند المسلمين باعتبارها أولى القبلتين وثالث المسجدين الشريفين، وأنها التي تشد إليها الرحال مع المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، وأنها مسرى نبينا محمد ﷺ ومنها عَرج إلى السموات العليا، ووصل إلى سدرة المنتهى وكان في الحضرة الإلهية وأخذ حينها الصلاة المفروضة على أمته صلى الله عليه وسلم، ورجع من السموات العليا إلى بيت المقدس، ليركب دابته البراق ليعود إلى بيت الله الحرام بعدما كان إماماً للأنبياء هناك ، وفيها الصخرة المشرفة وهي الأرض المقدسة التي بارك الله فيها للعالمين وهي المكان التي بورك فيها ومن حولها من رب العزة وأنه أرض المحشر والمنشر ...الخ .

وعلى هذا قد علم سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ هذا كله وهو من النفر القليل الذين كان لهم اطلاع على ثقافات الأمم الأخرى حول أهمية المكان وقدسيته كونه يعلم القراءة والكتابة ، كما أنه كان كثير الترحال والسفر، ولذلك كانت القدس لا تغيب عن مخيلته وقد ذكر فضلها رسول الله ﷺ في عدة مشاهد وأحاديث ، وقد كانت القدس تحت حكم الرومان واحتلالهم ، روى البخاري في صحيحه عن عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ[(٢)] — رضي الله تعالى – قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ

(١) سورة البقرة / الآية ١٤٤

(٢) عوف بن مالك (؟ – ٧٣ هـ = ؟ – ٦٩٢ م)

هو: عوف بن مالك بن أبي عوف، أبو عبد الرحمن، الأشجعي الغطفاني. صحابي من الشجعان الرؤساء رضي الله عنه. وأول مشاهده خيبر، وكانت معه راية أشجع يوم الفتح. روى عن النبي (وعن عبد الله بن سلام. وروى عنه أبو مسلم الخولاني وأبو إدريس الخولاني وجبير بن نفير وعبد الرحمن بن عامر وغيرهم. له ٦٧ حديثاً.

راجع: (الإصابة فى معرفة الصحابة لابن حجر العسقلاني، (٧٤٢/٤). و(سير أعلام النبلاء للذهبى، (٢ / ٤٧٨ – ٤٩٠). و(الأعلام للزرالي، (٩٦/٥).

تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغَنَمِ[1]، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لاَ يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»[2].

هكذا أتت البشارة النبوية بفتح بيت المقدس واضحة صريحة، وحددت بدقة أن الفتح لن يكون في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بل بعد لحاقه بالرفيق الأعلى، جاءت البشارة في زمن كان الروم لهم السطوة على المدينة المباركة، حتى إن الناظر إلى حالها يتيقن تماما أنهم لن يخرجوا منها، وظن الروم أن المدينة التي استرجعوها من بين أنياب الفرس لن تخرج من أيديهم مرة أخرى أبدا.. لقد خرجت البشرى من رحم الواقع الصعب، لكنها إلهية المصدر، وليست اجتهادا من النبي الكريم ﷺ، ولأنها إلهية فإن كثرة المعوقات،وصعوبة الطريق لن تحول بينها وبين التحقق قال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[3]

لقد كانت الذاكرة النبوية وهو في تبوك، على مقربة من بيت المقدس، تستحضر وضع المدينة المباركة، والأَسْر الطويل الذي وقعت فيه، فلا زالت القوى الغريبة عنها تسيطر عليها.. والملاحظ لشخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يرى أن هناك عوامل جعلت نظرَه يرنو تجاه القدس،علاوة على ما سمعه من النبي ﷺ واهتمام رسول الله ﷺ وارتباط المسجد الأقصى بحياة المسلمين، إلاّ أن عمر رضي الله عنه كان له اهتمام مسبق ببيت المقدس، فقد نشأ في قريشٍ، وامتاز عن معظمهم بتعلم القراءة. وعمل راعيًا للإبل وهو صغير وكان صاحب ذهن مفتق ، وكان يرعى لوالده ولخالاتٍ له من بني مخزوم. وتعلم المصارعة وركوب الخيل والفروسية، والشعر، وكان يحضر أسواق العرب وسوق عكاظ وسوق مجنة وسوق ذي المجاز، فتعلم بها التجارة، التي ربح منها وأصبح من أغنياء مكة، رحل صيفًا إلى بلاد الشام و شتاء إلى اليمن وزار بيت المقدس أثناء التجارة والترحال، وقد عرف وخبر طبيعة المكان، وتعرف إلى أحوال الناس في بلاد الشام، وعرف طباعهم وعاداتهم، مما أسهم في زيادة المخزون الثقافي والمعرفي عن المنطقة، مما كان له الأثر الكبير والبالغ في تكوين التغذية الراجعة في فتح البلاد، ونشر دعوة الإسلام في بلاد الشام والأردن والقدس الشريف، والعمل على إعداد الخطط الاستراتيجية والحربية، واستغلال

(١) قعاص الغنم: داء يأخذ الغنم فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجاءة وقال ابن فارس: القعاص داء يأخذ في الصدر أنه ياسر العنق. (عمدة القاري: باب الجزية والموادعة ٣٤١/٢٢).

راجع: (الإصابة فى معرفة الصحابة لابن حجر العسقلاني، (٧٤٢/٤). و(سير أعلام النبلاء للذهبى، (٢ / ٤٧٨ – ٤٩٠). و(الأعلام للزرالي، (٩٦/٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الجِزْيَةِ، بَابُ مَا يُحْذَرُ مِنَ الغَدْرِ، رقم الحديث: (٣١٧٦)، (١٠١/٤).

(٣) سورة النور / (٥٥)

الأوقـات المناسبـة لتسييـر الجيوش حيث أن هـذه المنطقة متعددة التضاريـس، وهي من البلاد البـاردة التي لم يعتد عليها الجند، فكان التخطيط وحسن الإدارة ونباهة القيادة والتزام الجيوش والجنـد والقادة بتعليمات قائدهم الأعلى، وأخذهم لمبدأ الشورى والاستعانة ببعض أهل المنطقة حينـذاك ، ومعرفـة طباع الناس هنا فـي هذه المنطقة لـه النتيجة الطيبة، وتخليص البشر من أوسـاخ ودرن الصليبيين، وبدايـة عهد النور والعلم والتوحيد وحرية الـرأي واحترام آدمية البشر ومعتقداتهـم ، وكان عمر مـن أشراف قريش، وإليـه كانت السفارة فهو سفيـر قريش، فإن وقعت حـرب بيـن قريش وغيرهم بعثـوه سفيراً فمن خلال تنقلـه وسفارته وتجارتـه وقراءته ومخالطته بأفـراد العرب وغيرهم ممن حضر تاجراً أو متنسـكاً إلى مكة المكرمة، وعلاقته ببعض أصدقائه وأصحابـه ممن كان لهم الثقافة الواسعة عن البـلاد والعباد فقد عرفت صحبته لعمرو بن العاص أذكـى أذكياء العرب، وصفوان بن أمية وعمرو بن وهب ،وهم من النفر أصحاب الفطنة والترحال فـي شرق البـلاد وعرضها ؛ فكان لـه الأثر الواسع في تكويـن ثقافة واسعة حـول طبيعة المنطقة وأهميتها وفضلها والآمال والتطلعات نحو المستقبل القريب المشرق(١) .

ومن المواقف الدالة على اهتمام الفاروق رضي الله عنه: «العهدة العمرية»:

لمـا كان جيشـ المسلميـن الفاتحين على أعتاب بيـت المقدس في منطقـة الجابية، وهي منطقـة قريبـة من الجـولان، جاء سـكان إيليا وهي القدس إلـى المسلمين وطلبـوا بعقد هدنة، والتسليم صلحاً للمسلمين وطلبوا تسليم مدينتهم للقيادة مباشرة ؛ لأنهم يعلمون من خلال كتبهم ووثائقهـم الأوصاف المتعددة لمن يتسلم مفاتيح المدينة المقدسـة، والتي يأمنون عليها أن تكون فـي عهدة المسلمين دون غيرهـم، لما يعلمونه ويسمعونه عن عدالة الإسلام ورحمته، ومدى تخلق أفراد وعامة المسلمين بالأخلاق التي ورثوها من مدرسة محمد ﷺ .....،جاء الخليفة من المدينة المنـورة مع مولاه وخادمه دون حرسـ أو مظاهر أو مراسم، حتى وصل بيت المقدس إلى الجابية، وهناك يعقد لهم العهد والميثاق وسمي ذلك العهد بـ «العهدة العمرية». ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

«هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، وأعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهـم ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تُسكن كنائسهم، ولا تُهدم ولا ينتقص منها ، ولا من حيزها ولا من صُلبهم، ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضـار أحد منهم، ولا يسكـن بإيلياء معهم أحدٌ من اليهود، وعلى أهـل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسـه ومالـه حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من يبلغوا

(١) عمر بن الخطاب، حياته، علمه، أدبه د.علي أحمد الخطيب ص ١٥٣ ، الخليفة الفاروق، تأليف: العاني، ص١٦٠.، فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب (الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٢)،علي محمد محمد الصلابي،مكتبة الصحابة، مكتبة التابعين. ،www.wikpedia.org عمر بن الخطاب على شبكة الإنترنت ويكبيديا .

الجزيـة ومن أحب مـن أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الـروم، ويخلي بِيعهم وصلبهم، فإنهم آمنـون على أنفسهم وعلى بِيعهـم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض فمن شـاء منهـم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع الـى أهلـه وأنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية».

شهـد على ذلك (خالـد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمـن بن عوف، ومعاوية بن أبـي سفيان) وكُتـب وحضَر سنه خمسـ عشرة للهجـرة[1]. وهنا يكمن التلاقي ضمـن واقعتين ، الأولـى معجزة الإسـراء والمعراج وبها كانت القدسـ المكان الذي أخذ بـه الرسول ﷺ فرائض الديـن الإسلامـي ، أما الواقعة الثانيـة فكانت وثيقة العهد العمرية، التـي منحها الخليفة عمر بن الخطـاب إلى بطريرك القدس (صفرينوس)، والتي اعتمـدت لتكون مرجعية للعلاقة العامة بين الأمة الإسلامية وأهل الذمة ليس فقط في القدس بل في كلّ أقطار الأرض التي فتحها المسلمون ، ومن هذا الواقع نقول لا توجد في الرسالة السماوية الخاصة بالأمة الإسلامية أي دعوة إلى التمييز والسيطرة على الأمم الأخرى، إلا بما أمر الله به رسوله الكريم ﷺ[2].

وبالمقابل فقد كتب أهل إيلياء أيضاً عهداً الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما روى عنه ذلك الإمام البيهقي وغيره، ويقول في كتابه الأنس الجليل إن هذه الشروط اعتمدها أئمة الإسلام وعمل بها الخلفاء الراشدون[3].

المبحث الخامس: آليات التعامل من قبل سيدنا عمر تجاه الأقليات وأهل الذمة

أخذ أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتجول في أسواق مدينة القدس، وكانـت لا تزال تُعاني من الفوضى والدمار الذي أحدثه الغزو الفارسي الذي سبق الفتح الإسلامي للقدسـ بسنوات قليلة، فبـدأ بالتنظيـم الإداري والقضائي وقسم البلاد الـى مناطق وعين عليها أمـراء ورتـب البريد، وعين مفتشاً يطوف علـى المأمورين ويحقق في الشكايـات، وأسس الحسبة لمراقبـة الموازين ومنع الغش وتنظيف الطـرق، ومما يذكر أنّ عمر رضي الله عنه وقف على رأس السـوق وقـال :لمن هذا الصـف ؟ (يعني صف سـوق البزازين) ، فقالوا: للنصـارى. فقال: لمن الصـف الغربي؟ (الذي فيه حمام السـوق) فقالوا : للنصارى . فأشار بيده وقال: هذا لهم، وهذا لهـم (يعني النصارى) وهذا لنا مباح (يعني السوق الأوسـط الذي بين الصفين) ، وبذلك أعطى

(١) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك،(دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١ ، ١٤٠٧هـ) ، ج٢ص٤٤٩.، السيف والبيان في تحرير قدس الرحمن،عدنان ساري الزين،مؤسسة الرسالة ، بيروت،ط١، ١٩٩٦، ص١٩.

(٢) المسجد الأقصى والصخرة المشرفة عبر الموروث الثقافي،د.إبراهيم الفنّي، منشورات أمانة عمان الكبرى،ط١، ٢٠٠٧،ص٢٨

(٣) مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة ، ص١٣ ، تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) ، ص ١٣٣، بيت المقدس المكانة والأمانة ، www.islamway.net، مقال على شبكة الإنترنت لزياد عابد المشوخي ، اليعقوبي ، بيت المقدس والمسجد الأقصى ، ص٨٨ .

عمر درساً لمنع الاعتداء على حقوق النصارى(١).

وبينمـا كان سيدنـا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبحث في شؤون المدينة، ويتفقد أحوال سكانهـا وما أصابهم من مكروه أثنـاء الفتح، أتاه رجل من النصارى له ذمةٌ (عهد) مع المسلمين فـي كرم عنب، فشكى قائـلاً : يا أمير المؤمنين إن المسلمين استباحـوا كرمي، وأنا رجل لي ذمة مـع المسلميـن، فركب عمر برذوناً (٢). له على عجل، وخرج يركض حتى آتى الكرم فنظره، فإذا هـو قـد أسرعت الناس فيه، فدعا عمر الذمي وقال له : كم كنت ترجو منه غلة كرمك هذا، فقال كذا، فقال فخلٍّ سبيله، ثم أخرج عمر ثمنه الذي قال، وأعطاه إياه ثم أباحه للمسلمين. فقد ثبت بهذا التصرف مبادئ الحق والعدالة بين سكان مدينة القدس.

نعـم هـذا هو الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنـه الذي قيل فيه (عدلت فأمنت فنمت) يا عمر(٣).

إن كتـاب الصلح الذي أبرمه عمر رضي الله عنه يشهد شهادة حق بأن الإسلام دين تسامح وليـس دين إكراه، وهو شاهد عدل بـأن المسلمين عاملوا النصارى الموجودين في القدس معاملةً لم تخطر على بالهم، إن عمر وهو الفاتح كان يستطيع أن يفرض عليهم ما يشاء، وأن يجبرهم على ما يريد، ولكنه لم يفعل لأنه كان يمثل الإسلام، والإسلام لا يُكره أحداً على الدخول فيه ولا يقبل من أحد إيماناً إلا عن طواعية وإذعان، إن الإيمان ليس شيئاً يُجبر عليه الناس، لأنه من عمل القلوب، والقلوب لا يعلم خباياها إلا الله سبحانه وتعالى، فقد يريك الإنسان أنه مؤمن وليس كذلك، وتكون مضرتـه لأهل الإيمان أكثـر ممن يجاهرون بالكفر والإلحاد ولهذا آثـر المسلمون أن يعطوا الناس حريـة العبادة، ويؤمنوهـم على كل عزيز لديهم على أن يعيشوا في كنف المسلمين، ويؤدوا الجزية مقابـل حمايتهم والذود عنهم، وفـي ظلال الحياة الهادئة الوديعة وفـي رحاب الصلات والجوار، وفي كنف المسلمين وعدالتهم، سيرى غير المسلمين عن قرب جمال الإسلام وسماحته وإنصافه وعدالتـه وسَيَرون فيـه الحقائق التي قد عميت عليهم لبعدهم عنـه، وعندئذٍ يدخلون في دين الله أفواجاً، كما حدث في كل البلاد التي فتحها المسلمون، وأعطوا أهلها مثل هذا الأمان(٤).

(١) القدس الشامخة عبر التاريخ، محمد هاشم غوشة، ص١٣، د.رعد شمس الكيلاني، القضاء في بيت المقدس، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد ١٧، ص١٦٧.

(٢) المعجم الوسيط، د.إبراهيم أنيس وآخرون، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، والبرذون: يطلق على غير العربي من الخيل والبغال، عظيم الخلقة، غليظ الأعضاء، قوي الأرجل، عظيم الحوافر(مج)للفظ الذي اقره «مجمع اللغة العربية» (ج) لبيان الجميع، ص٤٨.

(٣) اللقاء الإسلامي المسيحي الخامس السلام والعدل،بحث حول القدس: انموذج التعايش الديني السلمي على مدى العصور، عقد في شامبيزي(جنيف-سويسرا)١٢/٢-١٥/٢/١٩٨٨،أعده المهندس رأفت نجم،مطابع وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية،ص١٨-١٩. يُنظر: الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامي، للدكتور: محمد ياسين مظهر صديقي، ترجمة: دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم، (رابطة الجامعات الإسلامية، ط:١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ص١٠٦ وما بعدها. مجموعة الوثائق السياسية في العهد والخلافة الراشدة، طبع لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ص ١٩.

(٤) جولة في عصر الخلفاء الراشدين، محمد سيد الوكيل ص٢٠٠، ٢٠١. القدس الشامخة عبر التاريخ، محمد هاشم غوشة، ص١٣، د.رعد شمس الكيلاني، القضاء في بيت المقدس، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد ١٧، ص١٦٧.

عمر رضي الله عنه يصلي في المسجد الأقصى حيث قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنــه لكعــب: أين ترى أن أصلي؟ فقال: إن أخذت عنّي، صليت خلـف الصخرة فكانت القدس كلُّها بين يديك، فقال عمر: ضاهيت اليهودية، لا ولكن أصلي حيث صلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم إلى القبلة فصلّى، ثم جاء فبسط رداءه فكنس الكناسة في ردائه وكنس الناس[1] وقال ابن تيميــة: المسجد الأقصى اســم لجميع المسجد.. وقد صار بعض النــاس يسمي الأقصى المصلّى الــذي بنــاه عمر بن الخطاب فــي مَقدمِه، والصلاة في هــذا المصلى الذي بناه عمــر للمسلمين، أفضــل من الصلاة فــي سائر المسجد، فإن عمــر بن الخطاب لما فتح بيــت المقدس، وكان على الصخــرة زبالةٌ عظيمةٌ، لأنَّ النصارى كانوا يقصــدون إهانتها، مقابلة لليهود الذي يصلّون إليها، فأمــر عمر بإزالــة النجاسة عنها. وقــال كعب: أين تــرى أن نبني مصلى للمسلميــن؛ فقال: خَلْفَ الصخرة، فقال: يا ابن اليهودية: خالطت اليهودية بل أبنيه أمامها، فإنّ لنا صدور المساجد[2].

وهــذا موقــف آخر جليل وعظيم من مواقف أمير المؤمنين التي لا تحصى، والتي برهن فيها عملياً على أن الإسلام يحترم جميع الأديــان السماوية ويجعل كل المقدسات محترمة ولا يختصر شيئــاً منها، إن هــذه الصخرة التي أزال عنها عمر التراب والأوساخ بيده وحملها في قبائه لينفيها عنهــا هــي قبلة اليهــود والصخرة المعظمة عندهم التــي كلم الله عليها يعقــوب عليه السلام كما يعتقــدون، فكما كان موقف عمر من النصارى رائعاً وجليــلاً حين منحهم حرية الاعتقاد، وأمّنهم علــى صلبانهم وكنائسهم لم يَضنَّ على اليهود مــع ما ارتكبوه في حق المسلمين من الجرائم بمثل هــذا الموقــف الرائع الجليــل، حيث رفع التــراب عن الصخــرة، وأظهر عنايتهُ بهــا وحرصه على احترامها[3].

ويلاحــظ من العهدة العمرية نصها علــى (ولا يسكن بإيلياء معهم أحــدٌ من اليهود). وهذه حاشــى لله أن تكــون عبثية وللمتفكر فيها يجد ملمحاً مهماً وتاريخيــاً ،يدل على أن سيدنا عمر بن الخطــاب رضي الله عنــه كان له اطلاع على الثقافات القديمة والعهــد القديم والجديد ، وهذا له دلالــة على اهتمامه بقضية بيت المقدس وتاريخها وأهم الصراعات التي مرت على هذه المنطقة مما يكون مزيداً من استقراء المعلومات للتحضير لمرحلة في النفس فيها الآمال والتطلعات ، فلمَ جاءت هذه العبارة ؟ :

السبــب فــي ذلك لأن أهل القدس في تاريخهم يعلمون أن اليهود قد منعوا من دخول المدينة المقدســة منــذ سنة ١٣٥م ، لما أثــاروا الشغب على النصارى ، وقــام الإمبراطور من التنكيل بهم وقتــل الكثير منهم وسبى البعض منهم ودمــر مدينة أور سالم (أورشليم) ولم يسمح إلاّ للنصارى

(١) البداية والنهاية (٥٧/٧) هذا إسناد جيد.

(٢) بيت المقدس والمسجد الأقصى ، محمد شراب ، ص ٦٣ ، مجموعة الرسائل الكبرى (٥٧،٥٨/٢).

(٣) جولة في عصر الخلفاء الراشدين ص٢٠٣-٢٠٤ .

بسكنى المدينة وسمى المدينة (ايلياكابيتولينا) وهي اسم عائلة الامبراطور وأخذت المدينة اسمها من هذا الاسم .

وعندما حصل الغزو الفارسي لبلاد الشام عاث اليهود فساداً في هذه البلاد واستغلوا الفوضى المصاحبة للاوضاع ،وعلاوة على هذا أنهم كانوا يشترون الأسرى من النصارى ليذبحوهم حقداً وكراهية حتى جاء الامبراطور هرقل عام ٦٢٧م، وطردهم ونظف المدينة منهم ومنعهم من دخولها لما قاموا فيه من الفساد وذلك بمشورة رجال الدين النصارى[١].

فالخليفة سيدنا عمر كان مطّلعاً على هذا وعلى تاريخ القدس، وعنده المعلومات الكافية حول المدينة المقدسة وعنده من بعد النظر في آليات التعامل مع هذه المدينة، فهو دليل على اهتمامه ومراعاته لأحوالها النفسية والتاريخية درءاً للقهر والتذكير للدماء التي هدرت سابقاً .

والدليل على أنه كان يطلع على الثقافات والأديان السابقة والتوراة والانجيل ، ما ورد في الحادثة التالية :

وروى النسائي وغيره عن النبي ﷺ أنه رأى في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورقةً من التوراة فقال: «أمتهوكون[٢] يا ابن الخطاب ؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، ولو كان موسى حياً واتبعتموه وتركتموني ضللتم». وفي رواية: «ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي». فقال عمر: «رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً»[٣]، فهذا يدل دلالة واضحة على أنّ عمر رضي الله عنه منذ زمن الجاهلية وصدر الإسلام عنده الاطلاع على ما ورد في الكتب السماوية وتاريخ اليهود والنصارى والبلاد التي أفسدوا فيها ، فكان أحد الأسباب التي زادت من الاهتمام ببيت المقدس .

المبحث السادس : فتح القدس ١٦هـ وتصرفات الخليفة

كان على فلسطين قائدٌ رومانيٌ يدعى (الأرطبون) أي القائد الكبير الذي يلي الإمبراطور، وكان هذا أدهى الروم وأذكاها، وكان قد وضع بالرملة جنداً عظيماً، وبإيلياء جنداً عظيماً[٤]، وكتب

(١) عزت محمود فارس، بعنوان قراءات في العهدة العمرية ،مجلة جامعة دمشق ، م ٢٦، العدد الأول والثاني، ٢٠١٠م، ص ٢٠٦-٢٢٠ ، منزلة القدس في الإسلام، قاسم المجالي، محاضر في جامعة مؤتة، بحث منشور على شبكة الإنترنت، ص٦-١٥.

(٢) أمتهوكون: التهوك كالتهور، وهو وقوع في الأمر بغير رؤية.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٤٦٤١)، الدارمي في مقدّمة سننه (٤٤٠) ، و بوّب الإمام البخاري: باب قول النبي ﷺ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ، و قال ابن حجر في شرحه (١٥/ ٢٧٦): «هذه الترجمة لفظ حديث أخرجه أحمد وابن أبي شيبة و البزار من حديث جابر» أن عمر أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه عليه فغضب وقال: لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني «ورجاله موثقون إلا أن في مجالد ضَعفا»،خرّج الإمام الألباني هذا الحديث في إرواء الغليل (١٥٨٩) و حسّنه.

(٤) حروب القدس في التاريخ الإسلامي والعربي د. ياسين سويد ص٣٥ ، وقائع فلسطينية ، الفتح العمري لبيت المقدس ، الأستاذ سعود أبو محفوظ، إصدار اللجنة الاردنية للدفاع عن القدس، ص ٣٩. عزت محمود فارس، بعنوان قراءات في العهدة العمرية، مجلة جامعة دمشق ، م ٢٦ ، العدد الاول والثاني ، ٢٠١٠م ، ص ٢٠٦-٢٢٠ ، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، عبدالله التل، دار القلم ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٥، ص٢٧.

عمـرو بن العاص إلى عمـر رضي الله عنهما، يخبره بذلك، ويستشيره ويستأمره، فقال عمر كلمته الشهيـرة: قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب، فانظروا عما تنفرج[1] وكان يقصد بذلك، أن كلا القائديـن أدهـى الرجال في قومهما، وكانت معركة أجنادين الثانية (١٥هـ) التي انتصر فيها عمـرو على الروم قد مهدت الطريق إلى فلسطيـن[2]، وقد بدأت معركة القدس عملياً، قبل معركة أجناديـن الثانيـة (١٥هـ) ذلك أن أرطبون الروم كان قـد وزع (جنداً عظيماً) له في كل من إيلياء والرملـة كما سبـق أن قدمنا وبين الرملة وإيلياء أي القدس، ثمانيـة عشر ميلاً، وذلك تحسباً لأي هجـوم مـن قبل المسلمين، بقيادة عمرو بن العاص، على المدينتيـن اللتين كانتا أهم مدن (كورة فلسطيـن)، إذ كانت الرملة (قصبة فلسطين)، وكانـت إيلياء أكبر مدنها[3]، وكان على الروم في إيليـا حاكمهـا الأرطبون وهو الأرطبون نفسـه الذي كان قد لجأ مع جيشه إليهـا بعد هزيمتهم في أجناديـن، وكان عليهم في الرملة التـذارق[4] وكانت حامية إيلياء تصـد المسلمين عن أسوارها، وكان القتـال يستعـر حول المدينـة المقدسة بينمـا كان المسلمـون والروم يحتشـدون للقتال في أجنادين وكانـت معركة أجنادين عنيفة[5]، إذ يقول الطبري فيها: اقتتلوا -أي المسلمون والروم- قتـالاً شديداً كقتال اليرموك، حتى كثرت القتلى بينهم[6]، فقد نازل أرطبون العرب أرطبون الروم فـي أجنادين فهزمـه، وارتدّ أرطبون الـروم وجنده ليحتمـوا بأسوار المدينـة المقدسة فأفرج له المسلمـون حتى دخلها[7]، ويذكـر الطبري أن كلاً من علقمة ومسروق ومحمد بن عمرو وأبي أيوب التحقوا بعمرو بن العاص في أجنادين، وسار عمرو بجيشه جميعاً نحو إيلياء لمحاصرتها[8].

اجتمـع المسلمون، بقيادة عمرو بن العاص حول إيليـاء، وضرب عمرو على المدينة حصاراً شديـداً، وكانـت المدينة حصينـة ومنيعة، ويصف الواقـدي أسوار المدينة بأنهـا كانت محصنة بالمجانيـق والطـوارق والسيـوف والدرق والجواشـن والزرد الفاخـرة، ويذكر أن القتـال بدأ بعد ثلاثـة أيام من الحصار، حيث تقدم المسلمون نحو أسـوار المدينة فأمطرتهم حاميتها بوابل من السهـام والنبال التـي كان المسلمون يتلقونها (بدرقهم) وكان القتال يمتد من الصباح إلى غروب الشمس، واستمر على هذا المنوال عدة أيام، حتى كان اليوم الحادي عشر إذ أقبل أبو عبيدة على

(١) تاريخ الطبري، الطبري، (٤/٤٣١).

(٢) حروب القدس في التاريخ الإسلامي والعربي ص٣٥ . القدس الشامخة عبر التاريخ، محمد هاشم غوشة ، ص١٣، د.رعد شمس الكيلاني ، القضاء في بيت المقدس، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد ١٧، ص١٦٧ .

(٣) حروب القدس في التاريخ الإسلامي، ص٣٥-٣٦، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، عبدالله التل، ص٢٧.

(٤) تاريخ الطبري (٤/٤٣٢).

(٥) حروب القدس في التاريخ الإسلامي ، ص٣٦ ، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، عبدالله التل، ص٢٧.

(٦) تاريخ الطبري (٤/٤٣٣).

(٧) تاريخ الطبري (٤/٤٣٣).

(٨) حروب القدس في التاريخ الإسلامي والعربي ص٣٧ . عزت محمود فارس ، بعنوان قراءات في العهدة العمرية ،مجلة جامعة دمشق ، م ٢٦ ، العدد الأول والثاني ، ٢٠١٠م ، ص ٢٠٦-٢٢٠،

المسلميــن ومعه خالد وعبد الرحمن بن أبي بكر، ومعهم فرســان المسلمين وأبطال الموحدين[١] مما ألقى الجزع في قلوب أهل إيلياء، واستمر الحصار أربعة أشهر، ما من يوم إلا وجرى فيه قتال شديـد (والمسلمــون صابرون على البرد والثلج والمطر[٢]، إلــى أن يئس الروم من مقاومة حصار المسلميــن لمدينتهم، فقرر بطريقهم (البطريق صفرونيوس) القيــام بمحاولة أخيرة، وكتب إلى عمرو بن العاص، قائد جيش المسلمين، رسالة يغريه فيها بفك الحصار؛ نظراً لاستحالة احتلال المدينــة[٣]. وكتــب عمرو بــن العاص رضي الله عنه إلــى الخليفة سيدنا عمر بــن الخطاب يخبره بمــا جــاء على لسان الأرطبون أنــه لا يفتح المدينة إلا هــو، ويستمده، ويستشيره قائــلاً إني أعالج حربــاً كؤوداً صدوماً وبلاداً ادُّخرت لك، فرأيــك[٤]، فخرج الخليفة -بعد الاستشارة- إلى الشام، بعــد أن استخلف على المدينة علي بن أبــي طالب رضي الله عنه ونزل بالجابية، فجاءه أهل إيلياء (فصالحوه على الجزية، وفتحوها له)[٥].

وفــي روايــة أن أبا عبيدة ســرّح إلى بيت المقدس خمسة وثلاثين ألف مقاتــل بقيادة سبعة قادة، مع كلّ قائد خمسة آلاف، وهم: خالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، والمرقال بن هاشم بن أبي وقاص، والمسيّب بن نجيه الفزاري، وقيس بن هبيرة المرادي، وعروة بــن المهلل بن يزيد، سرّحهم في سبعة أيــام، كل يوم قائد، ثم لحق بهم بعد أن نشب القتال، عدة أيــام، بينهم وبين حامية المدينة[٦]، ويستطرد الواقدي فيقول إن أهل إيلياء جاءوا إلى أبي عبيدة يعرضــون عليه دخول المدينــة صلحاً، على أن يتم الصلح على يدي خليفــة المسلمين عمر، فسار الخليفــة إلى بيت المقدس ونزل عند أسوار المدينة، فخــرج إليه بطريقها وتعرف إليه وقال: هذا والله الذي نجد صفته ونعته في كتبنا ومن يكون فتح بلادنا على يديه[٧]. ثم عاد إلى قومه يخبرهم فخرجــوا مسرعين وكانوا قــد ضاقت أنفسهم من الحصار، ففتحوا البــاب، وخرجوا إلى عمر بن الخطاب يسألونه العهد والميثاق والذمة ويقرون له بالجزية[٨].

وبينما عمر في الجابية إذا بجماعة من الروم بأيديهم سيوف مسلولة، فسار إليهم المسلمون بالســلاح، فقال عمر: إن هؤلاء قــوم يستأمنون، فساروا نحوهم، فإذا هــم جند من بيت المقدس

(١) حروب القدس ص٣٨ . عزت محمود فارس ، بعنوان قراءات في العهدة العمرية ،مجلة جامعة دمشق ، م ٢٦ ، العدد الأول والثاني ، ٢٠١٠م ، ص ٢٠٦-٢٢٠

(٢) حروب القدس ، ص٣٨ . القدس الشامخة عبر التاريخ ، محمد هاشم غوشة ، ص١٣ ، د.رعد شمس الكيلاني ، القضاء في بيت المقدس ، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، العدد ١٧ ، ص١٦٧ .

(٣) القدس الشامخة عبر التاريخ ، محمد هاشم غوشة ، ص١٣ ، د.رعد شمس الكيلاني ، القضاء في بيت المقدس ، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، العدد ١٧ ، ص١٦٧ .

(٤) تاريخ الطبري (٤/٤٣٣).

(٥) تاريخ الطبري (٤/٤٣٤).

(٦) فتوح الشام (١/٢١٣-٢١٦).

(٧) المغازي ، الواقدي، محمد بن عمر، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٤م ، ص ٢٣٧ .

(٨) حروب القدس ص٤٠ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، المجلد الثاني ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص٥٠٠ .

يطلبــون الأمان والصلح من أمير المؤمنين حين سمعوا بقدومه، فأجابهم - رضي الله عنه - إلى ما سألوا، ثم واصل مسيره في جماعة من الصحابة ووجوه المسلمين نحو بيت المقدس[١].

وجاء وقت الصلاة، فتوجه أمير المؤمنين وصحبه إلى القبلة، وهم يقفون على قمة جبل يشرف علـى القدس، وعلا صوت عمر بن الخطاب بالتكبيـر، ومنذ ذلك اليوم سمى الجبل بجبل المكبِّر.

حال عمر عند سيره إلى بيت المقدس:

كان في ذاكرة عمر، وهو مرتحل من المدينة إلى بيت المقدس، أنه مسافر من مدينة النبي إلــى مدينــة الأنبياء، وهو حــال يستوجب التواضع والهيبــة، فظهرت على أميــر المؤمنين في هذه الرحلة علامات عبقرية الأمير، الذي يزداد بتواضعه رفعة وسموّا.

كان هــو وخادمــه يتناوبــان ركوب دابة واحدة فــي طريقهما التاريخي مــن المدينة إلى بيت المقدس، حتى إذا أتعب السير أحدهما ترجَّل له صاحبه عن بعيره ليركبه، وعلى مشارف القدس كان رفيــق عمــر هو صاحب الدَّوْر فــي امتطاء البعير، فأبــى أمير المؤمنيــن إلا أن يركب صاحب الدور، وإلى جانبه سار الخليفة الفاتح على قدميه.

وقــدم عمر الجابية على طريــق إيلياء على جمل أورق، وتظهر رأس الأمير للشمس ليس عليه قلنصــوة ولا عمامة، تهتز رجلاه بين شعبتي الرحــل بلا ركاب، معه كساء صوف يتخذه سرجاً إذا ركــب وفراشــاً إذا نزل، ومعه شملــة محشوةٌ ليفا يتخذهـا حقيبة إذا ركب ووســادة إذا نزل، وعليه مرقعة من الصوف فيها بضع عشرة رقعة بعضها من جلد[٢].

وعندما جاء ميعاد زيارة بيت المقدس وهمَّ الخليفة بالركوب بهيئته الزاهدة قال المسلمون: يا أمير المؤمنين، لو ركبت غير بعيرك جوادًا، ولبست ثيابًا لكان ذلك أعظم لهيبتك في قلوب القوم، فقال: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب بغير الله بديلاً». لكنهم أقبلوا يسألونه ويطوفون به إلى أن أجابهم إلى ما يريدون، ونزع مرقعته، ولبس ثيابًا بيضاء وطرح على كتفه منديلاً من الكتان ليس جديدًا ولا بالخَلِق، دفعه إليه أبو عبيدة وقدّم له بِرْذَوْنًا أشهب (وهو نوع من الحمير الكبيرة) من براذين الروم، فلما صار عمر فوقه جعل البرذون يَحْجِل، فنزل عنه مسرعًا، ثم صاح: أقيلوني أقــال الله عثرتكم يــوم القيامة، لقد كاد أميركـم يهلك مما داخله من الكبِر، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقــول: «لا يدخــل الجنة من كان فــي قلبه مثقال ذرة من الكبر».. فأتــي بجمله فركبه[٣].

(١) بيت المقدس والمسجد الأقصى، محمد شراب، دار القلم، دمشق، والدار الشامية ؟، بيروت، ص ٨٦.

(٢) تاريخ الطبري (٤٣٤/٤)، حروب القدس، ص٣٨. القدس الشامخة عبر التاريخ، محمد هاشم غوشة، ص١٣، د.رعد شمس الكيلاني، القضاء في بيت المقدس، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد ١٧، ص١٦٧. تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧، ص٧٨، الأوقاف الإسلامية في العصر الإسلامي، بحث مقدم لمؤتمر فلسطين الدولي للأوقاف الإسلامية، منشور على الإنترنت، للأستاذ عبد الحميد الفراني، والأستاذ عوني العلوي، ٢٠١١م، ص٨-١٩.

(٣) تاريخ الطبري (٤٣٤/٤)، حروب القدس، ص٣٨. القدس الشامخة عبر التاريخ، محمد هاشم غوشة، ص١٣، د.رعد شمس الكيلاني، القضاء في بيت المقدس، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد ١٧، ص١٦٧. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١، ص١٧، عزت محمود فارس، بعنوان قراءات في العهدة العمرية، مجلة جامعة دمشق، م ٢٦، العدد الأول والثاني، ٢٠١٠م، ص ٢٠٦-٢٢٠.

وحيـن قـدم عمر الشام عرضت لـه مخاضة ماء، فنزل عن بعيره ونزع موقيـه (وهو ما يلبس فوق الخفيـن)، فأمسكهما بيده، وخاض الماء ومعه البعير، فقال له أبو عبيدة: قد صنعت اليوم صنيعاً عظيمـاً عنـد أهل الأرض، فضرب عمر صدره برفق، وقال: «أولـو غيرك يقولها يا أبا عبيدة! إنكم كنتـم أذل الناس وأحقـر الناس وأقل النـاس، فأعزَّكم الله بالإسلام، فمهمـا تطلبوا العزة بغيره يذلكـم الله»..[1] وقـد خطب عمـر رضي الله عنه بالجابية، فقـال: إن رسول الله ﷺ قام في مثل مقامـي هذا فقـال: أحسنوا إلى أصحابي ثم الذين يلونهم، ثم الذيـن يلونهم، ثم يجيُ قوم يحلف أحدهم على اليمين قبل أن يُسْتَحْلَف عليها، ويشهد على الشهادة قبل أن يُستشهد، فمن أحب منكم أن ينال بُحْبُوحة الجنة، فليلزم الجماعة، فإنّ الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، ولا يخلونَ رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان، ومن كان منكم تسرُّه حسنته وتسوؤه سيئته فهو مؤمن[2].

ولمـا قـدم عمـر الشـام قال لأبـي عبيـدة رضـي الله عنه: اذهـب بنـا إلى منزلـك، قال: ومـا تصنع عنـدي؟ ما تريد إلا أن تعصر عينيك عليّ، قال: فدخل فلم ير شيئاً، قال: أين متاعك؟ لا أرى إلا لَبَداً وصحفة وشناً[3]، وأنت أمير أعندك طعام؟ فقام أبو عبيدة إلى جونة[4]، فأخذ منها كسيرات، فبكى عمر، فقال له أبو عبيدة: قد قلت لك إنك ستعصر عينيك عليّ، يا أمير المؤمنين يكفيك ما يُبلغُك المقيل، قال عمر: غيَّرتنا الدنيا كلّنا غيرك يا أبا عبيدة[5] وعلق الذهبي على هذه الحادثـة فقال: وهذا والله هو الزهد الخالص لا زهد من كان فقيراً معدماً[6]، وجاء في رواية عن هشـام بـن عروة عن أبيه قال: قدم عمر -رضي الله عنه- الشـام، فتلقاه أمراء الأجناد، وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: أين أخي؟ قالوا: من؟ قال: أبو عبيدة بن الجراح، قالوا: يأتيك الآن، فجاء علـى ناقة مخطومة بحبـل فسلم، عليه، فسأله ثم قـال للناس: انصرفوا عنا فسـار معه حتى أتى منزله، فنزل عليه، فلم ير في بيته إلا سيفه، وترسه، ورحله[7].

(١) محض الصواب ، لابن عبد الوهاب ، (٢/٥٩٠) إسناده صحيح.

(٢) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم ١٧٧ حديث صحيح ورجاله ثقات.

(٣) اللَّبد السرج والشنّ القربة القديمة.

(٤) ( ) الجونة: السلة.

(٥) سير أعلام النبلاء (١/١٧) ، تاريخ الطبري (٤/٤٣٤) ، حروب القدس ، ص٣٨ . القدس الشامخة عبر التاريخ ، محمد هاشم غوشة ، ص١٣ ، د.رعد شمس الكيلاني ، القضاء في بيت المقدس ، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، العدد ١٧ ، ص١٦٧. تاريخ الخلفاء ، جلال الدين السيوطي، دار صادر، بيروت ، ١٩٩٧ ، ص٧٨، الأوقاف الإسلامية في العصر الإسلامي ، بحث مقدم لمؤتمر فلسطين الدولي للأوقاف الإسلامية، منشور على الإنترنت ، للأستاذ عبد الحميد الفراني، والأستاذ عوني العلوي ، ٢٠١١م ، ص٨-١٩ .

(٦) سير أعلام النبلاء (١/١٧)

(٧) محض الصواب ، لابن عبد الوهاب ، (٢/٥٨٩، ٥٩٠) إسناده صحيح إلى عروة. تاريخ الطبري (٤/٤٣٤) ، حروب القدس، ص٣٨. القدس الشامخة عبر التاريخ، محمد هاشم غوشة، ص١٣، د.رعد شمس الكيلاني، القضاء في بيت المقدس، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، العدد ١٧، ص١٦٧ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١ ، ص١٧، عزت محمود فارس، بعنوان قراءات في العهدة العمرية ،مجلة جامعة دمشق ، م ٢٦ ، العدد الأول والثاني ، ٢٠١٠م ، ص ٢٠٦-٢٢٠.

المبحث السابع: الفكر التربوي والنفسي عند سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

كان المنهــج التربــوي الــذي تربى عليه عمر بن الخطــاب وكل الصحابة الكـرام هو القرآن الكريم، المنزّل من عند رب العالمين، فهو المصدر الوحيد للتلقي، فقد حرص الحبيب المصطفى علــى توحيد مصدر التلقي وتفــرده، وأن يكون القرآن الكريم وحده هــو المنهج والفكرة المركزية التــي يتربى عليها الفــرد المسلم والأسرة المسلمــة، والجماعة المسلمة، فكانــت للآيات الكريمة التي سمعها عمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة أثرها في صياغة شخصية الفاروق الإسلامية، وتطهّر قلبه، وزكت نفسه، وسَمت مشاعره وأهدافه وسلوكه وتطلعاته وتعاظمت فطرته، وتقلــب نظــره في آلاء الله تعالى، وعمــق يقينهُ بالله والغيب، وزاد حرصــهُ على محاربة الشيطان وأعوانه والفلتان من مصائده وحبائله ووساوسه....الخ[١].

تعتبــر العهدة العمرية وثيقةً تدل على بعد نظر عمر في مسائل الحكم والإدارة، وتفصح عن نهــج ونظــام حكم وإدارة متكامل[٢]، فقــد تضمنت الوثيقة أموراً غاية فــي الأهمية، فحق أن تكون وثيقــة نفيسة، لما احتوته من قواعد ومبادئ أساسيــة للحكم متكاملة الجوانب الدينية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية.

يظهر جلياً الحرص الشديد، على تقوى الله، والخشية منه في السر والعلن في القول والعمل، لأن مــن اتقــى الله وقاه ومن خشيه صانه وحماه، والالتزام بالعدل، لأنه أساس الحكم، وإن إقامته بين الرعية، تحقيق للحكم قوة وهيبة ومتانة سياسية واجتماعية، وتزيد من هيبة واحترام الحاكم في نفوس الناس.

العنايــة بالمسلمين الأوائــل من المهاجرين والأنصار لسابقتهم فــي الإسلام، ولأن العقيدة وما أفرزته من نظام سياسي، قام على أكتافهم، فهم أهله وحملته وحماته وهم الذين ساهموا في الفتوحــات وايصال دعوة الإسلام إلى البلاد والعبــاد، فكانت لفتةً، مباركة من سيدنا عمر رضي الله عنه أنه جعل كبار الصحابة يوقعون على الوثيقة والعهدة مع أهل القدس حتى يكون لها الهيبة واحترامــاً لجهود الصحابة الكرام في الفتوحات وحمل مشعــل الإسلام إلى الناس كافة دون هدر الدماء أو استنزاف الثروات وسرقتها. شهد على ذلك (خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان) وكتب وحضر سنه خمس عشرة للهجرة[٣].

يظهر فكر سيدنا عمر بن الخطاب في آلية التعامل مع أهل القدس وإعطائهم العهدة وكتابة الصلح معهم فيه ملمح بعيد اجتماعي ونفسي، هو أنّ هذه البلاد من البلاد الباردة وحصارها كان

(١) فتح الباري (٧/٤٧-٤٨)، شرح النووي (١٥/١٦٥-١٦٧). السيرة النبوية للصلاَّبي (١/١٤٥). الإدارة الإسلامية في عصر عمر بن الخطاب ص٣٨١.

(٢) الإدارة الإسلامية في عصر عمر بن الخطاب، فاروق مجدلاوي، ص٣٨١.

(٣) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، (دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤٠٧هـ)، ج٢ص٤٤٩.، السيف والبيان في تحرير قدس الرحمن، عدنان ساري الزين، غير معروف مكان الطبع، ط١، ١٩٩٦، ص١٩.

أكثـر من أربعـة أشهر، وطاقات الجند والجيوش والذين هم بشر لهـا حدود الطاقات البشرية مع عـدم انكار الهمم العالية، لكن الخليفة أراد إراحة الجنـد وتجنب إبقاء المقاتلين لمدة طويلة في الثغـور بعيداً عـن عائلاتهم وتلافياً لما قد يسببه ذلك من ملل وقلـق وهبوط في المعنويات، فمن الضـروري منحهم إجازات معلومة فـي أوقات معلومة يستريحون فيها ويجددون نشاطهم خلالها، من جهة، ويعودون إلى عائلاتهم لكي يحافظ على معنوياتهم ورباط الأسر الاجتماعي والعمل على سد كفاية الجند مالياً ونفسياً.

عدم تكليف أهل الذمة فوق طاقتهم إن هم أدوا ما عليهم من التزامات مالية للدولة ، وعدم التعـدي علـى أراضيهم ولا أملاكهم ولا كنائسهم وعدم امتهـان صلبانهم، والمحافظة على الأمن العام لبيت المقدس وتخليصها من الفساد الإداري والمالي، بحيث كان التصريح بضرورة إخراج اللصوص من المدينة المقدسة ؛ لأن ذلك يؤدي إلى الخلل بالسلم الاجتماعي.

اجتنـاب الأثـرة والمحابـاة واتباع الهوى، لما فيهـا من مخاطر تقود إلـى انحراف الراعي، وتـؤدي إلى فساد المجتمع واضطـراب علاقاته الإنسانية ، فكان التخييـر للعرب من أهل القدس البقـاء فيها مـع دفع الجزية والرومـان أيضاً آمنيـن على أنفسهـم وممتلكاتهم حتـى يصلوا إلى مأمنهم ولا يتعرض لهم أحد بسوء .

احتـرام الرعيـة وتوقيرهـا والتواضع لهـا، صغيرهـا وكبيرها، لمـا في ذلك مـن سمو في العلاقات الاجتماعية، تؤدي إلى زيادة تلاحم الرعية بقائدها وحبها له ، ولأن التربية بالقدوة كان سيدنـا عمر بن الخطاب رضـي الله عنه نعم القدوة هو والصحابة الكـرام ، رجلٌ مثله رضي الله عنـه يأتي يسوق الدابة بخادمه محافظة على الكرامة الإنسانيـة واحترام آدمية الإنسان واحترام حقـوق الآخرين حتى ولو بركوب الدابة ويمشي وتغطـس أرجله في الطين، ويحمل نعله تحت إبطه ويأتـي بثيابه الطبيعية غير المزركشـة ولا المزينة بالذهب ولا الياقوت، فيراه العالم أجمع فيذهل الحضـور ويتقـدم إليـه أبو عبيدة، يسرُ لـه يا أمير المؤمنيـن هؤلاء النـاس يريـدون تسليم مفتاح مدينتهم لك لو أنك ركبت ولبست النعل ....فتنطلق منه (لو قالها غيرك يا أبا عبيدة)[(١)].

اجتنـاب الظلم بكل صـوره وأشكاله، خاصة مـع أهل الذمة، لأن العدل مطلـوب إقامته بين جميـع رعايا الدولة مسلميـن وذميين، لينعم الجميع بعدل الإسلام ،واتبـاع الحق، والحرص على تحقيقـه في المجتمع، وفي كل الظروف والأحوال، لكونه ضـرورة اجتماعية لابد من تحقيقها بين النـاس[(٢)].

---

(١) تاريخ الطبري (٤/٤٣٤) ، حروب القدس ، ص٣٨ . القدس الشامخة عبر التاريخ ، محمد هاشم غوشة ، ص١٣ ، د.رعد شمس الكيلاني ، القضاء في بيت المقدس ، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، العدد ١٧ ، ص١٦٧ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج١ ، ص١٧ .المعالم الإسلامية في البلدة القديمة ، فادي عبد الغني شامية ، ٢٠٠٨ ، بحث منشور على شبكة الإنترنت ، ٥-١٨ .

(٢) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعاني ص١٧٣-١٧٥ ، عصر الخلافة الراشدة ص١٠٢.

يظهـر جلياً وواضحاً أنّ الخليفة رضـي اللّه عنه في فكره ونظرته تجاه أهل بيت المقدس لم يكن من باب الأقوى والأضعف بل كان من باب احترام الأديان وآدمية البشر وحفظ حقوقهم .

مـن خـلال النظر في أسلـوب سيدنا عمر بن الخطـاب مع أهل القدس نـراه أنه كتب العهد باللغـة العربيـة ، وهذا له بعيد نظـر إلى التأكيد على عروبـة المدينة تاريخيـاً وحضارياً ، وابتعد عـن المحسنات اللفظية والجناس والطباق وإدخال موضوعات أخرى على الوثيقة بل التزم وحدة الموضوع ؛ لاثبات أهمية ما أبرمهُ وإظهار جلالة الموضوع وأنه لا يقبل التشتيت مع مسائل أخرى .

مـن الأمور في الفكر التربـوي تأسيس ما يسمى المرجعية وفقـه الاستراتيجيات ، فالتعامل مـع أهل القدس بالتوثيق ووضع استراتيجيات التعامل مع النصارى كان التغذية الراجعة والمرجع الأساس لمن بعده في آليات التعامل مع النصارى في البلاد المفتوحة وخاصة نصارى الشام[1] .

التركيـز علـى مبدأ التعليـم بالقدوة حيث تكـون بالسلـوك والجمع بيـن الجانبين النظري والتطبيقـي، فـكان الخليفة رضـي اللّه عنه يتكلم ويخطـب بالناس والصحابة الكـرام ينضبطون بضوابط الشرع الحنيف ، والتطبيق بدءاً من النفس ثم على العامة ، واهتمام الخليفة بدُور العبادة لأن الأمـم التـي تهتم بالديـن لا تعيش في الفوضـى ، واهتمامه رضي اللّه عنـه بالجوانب العلمية والتدريس وتحفيظ كتاب اللّه وإنشاء المراكز في القدس الشريف .

الخاتمة

فإن من أهم النتائج والتوصيات:

النتائج:

القدس عربية تاريخياً منذ زمن الكنعانيين أكثر من خمسـة آلآف سنة، بناها الملك سالم وسميـت باسمه (أور سالم) أي مدينة سالم، وليست يهودية ولا يوجد لليهود فيها أصل ولا تاريخ، بل كانوا يفسدون في الأرض وعاثوا فيها فساداً منذ القدم.

القدس مكانتها فـي الإسلام بالغة الأثر في العقيدة والتاريـخ الإسلامي، فهي أول القبلتين وثالث المسجدين الشريفين وإليها تشد الرحال، والصلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة ضعف عـن غيـره ، وإليهـا كان مسرى النبـي ﷺ، وفيها صلى النبـي ﷺ إماماً بالأنبيـاء عليهم أفضل الصـلاة والتسليـم ، وفيها مـكان ربط البراق الشريف الـذي نقله صلى اللّه عليـه وسلم من مكة المكرمـة إلـى بيـت المقدس ليلاً في رحلـة الإسراء والمعـراج، ومن بيت المقدس عُرج به صلى اللّه عليـه وسلـم إلى السمـوات العلا حيث وصل إلى سـدرة المنتهى، وكان فـي حضرة رب العزة سبحانه وتعالى وتلقى حينذاك فرضَ الصلاة هي خمسٌ وهي خمسون لتفرض على أمته منذ ذلك الوقـت ، وفيهـا الصخرة التي عُرج من عليها الرسول ﷺ إلـى السموات العلا ، وإليها الرجوع من

(١) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد ، ابن النحاس الدمياطي ، تهذيب د. صلاح الخالدي ، دار النفائس، الأردن ، ١٩٩٩م، ص ٤٥١ ، الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعاني ص١٧٣-١٧٥ ، عصر الخلافة الراشدة ص١٠٢.

السمــاء للرجــوع إلى مكة في نفس الليلة بالروح والجسد تسريةً لــه صلى الله عليه وسلم لما عاناه مــن أذى قريشــ له ولأصحابه رضوان الله عليهم، وبسببها يخلد لأبــي بكر لقبه على مدار الزمان (الصديــق)؛ لأنه صدقهُ بخبــر الأرض فكيف بخبر السماء، وهي أرضــ المحشر والمنشر، وهي التــي ذكرهــا رســول الله ﷺ بأنها لو كان للشخصــ مثل حبل فرسه خير له مــن الدنيا وما فيها، ومنهــا تخــرج الطائفة المنصــورة لا يضرهم من خالفهم، وفــي أكنافها يُقتــل الدجال ويستريح العالم منه ومن فتنته.

اهتمــام الصحابة الكرام بالقدس والمسجد الأقصى، لأنهم سمعوا كثيراً من الأحاديث من رسول الله ﷺ حول أهميتها بعدما سمعوا بعض الآيات الدالة على تلك الأهمية.

اهتمــام سيدنا عمر بن الخطاب بالقدس وله اطلاع على تاريخها وحضارتها والمراحل التي مرت عليها وتطلعاته إلى تخليصها من كل الشوائب الحادثة عليها.

معالــم الفكر التربوي والنفسي مهمة جداً، وقد تبين اهتمام الخليفة عمر بن الخطاب بهذا الجانب بالتزامن مع الجانب العسكري والسياسي.

مراعــاة سيدنا عمر لأحوال الجند المسلم والتفكير بأحوالهم الاجتماعية والنفسية والمالية ومراعــاة الأوقات لغياب الجند عن بيوتهم وزوجاتهم وأهلهم للمحافظة على الدافعية لديهم؛ لأن الانهزام النفسي لا يصنع الفتوحات.

اهتمــام الخليفــة سيدنا عمر بن الخطــاب رضي الله عنه بأهل الذمة وعــدم التعدي عليهم والمحافظــة على أملاكهم وأماكن العبادة عندهم، وقد قرأنا في كتب التاريخ أنه رفض أن يصلي فــي الكنيسة؛ لأنه بفكره ونظره إلى المآلات خشــي أن يبنيَ الناسُ مكانهُ مصلى أو مسجداً وتهدم الكنيسة، وفعلاً حصل هذا وبني المسجد في المكان الذي صلى فيه وسمي بمسجد عمر وهو الآن خارج الكنيسة.

اهتمــام الخليفة تربوياً بمحاربة الفســاد والفاسدين وكانوا صنفيــن الصنف الأول اليهود؛ لأنهــم تاريخيــاً عاثــوا فساداً في بيــت المقدس وقتلوا النصــارى ودمروا البــلاد وأحرقوا الحرث والنســل، فوجب المحافظة على الأمن الاجتماعــي أن يخرجوا من البلد المقدس، والصنف الآخر هــم اللصوصــ وفي فكــر الخليفة لا يليق أن يبقى قطــاع الطرق واللصوص فــي بلد طاهر مقدس صلــى فيه الأنبياء وفيه قبورهم وشواهدهم، وفي هــذا أيضا الحفاظ على منظومة الأمان والسلم المجتمعي.

ضرب لنا الخليفة عمر بن الخطاب صورةً مشرقةً أن العزة لا تكون إلا بالإسلام، فمتى كانت العزة بغيره كان الذل حليفاً، وأن المظاهر الخادعة للدنيا لا تغير من الجوهر ومن النقاء الموروث مــن مدرسة محمد ﷺ، يقود خادمه بيــده دون مراسم ولا ترتيبات، ويمشي بالطين، ويضع نعله تحت إبطه، ويلبس ثيابه الطبيعية دون زركشة ولا تعطير، وإنما يلفها ويغلفها ذرات التعرق الناتجة

عن المسير تحت حر الشمس .... لله درك يا ابن الخطاب رضي الله عنك .

التوصيات :

ضرورة تعاون المجتمع الدولي ، للوقوف ضد تهويد مدينة القدس على كافة الأصعدة الإقليمية والدولية والمحلية والالتزام بالاتفاقيات الخاصة بمدينة القدس باعتبارها قبلة المسلمين الأولى، التـي ترنو إليها أفئدة مليار ونصف مليـار مسلم أي ما يعادل ثلث سكان العالم، وهذا الرقم يجب أن يُحترم من كل الدول التي تنادي بالحرية والديمقراطية والمساواة بين الشعب .

الاهتمـام بتدريس التاريخ الإسلامي للطلبة بجميع المراحل التدريسية والتركيز على أهمية القدس في حياة المسلم ، وشحذ الهمم للإبقاء على القضية حارّةً في أذهان الجيل ، وأن الصراع بيننا وبين اليهود هو صراع عقيدة .

ضـرورة الاهتمام بسيرة الأبطـال الذين كان لهم الجهود الواضحة في الفتوحات الإسلامية وفتـح القدس، كسيرة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والصحابي الجليل أبو عبيدة عامر بن الجراح ، وسيدنا خالد بن الوليد، وسيدنا معاذ بن جبل، وسيدنا شرحبيل بن حسنة رضي الله عنهـم ، والقائد المسلـم صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى، والسلطـان العثماني عبد الحميد الثاني الذي رفض التنازل عن شبرٍ من أرض القدس.

– مـن حـق الذمي اللجوء الـى القضاء الإسلامـي إذا تعرض للظلم أو الاعتـداء، ومن حقه الإقامـة حيـث شـاء في الـدول الإسلاميـة أينما شـاء دون أن تكون أحيـاء خاصة لأهـل الذمة لا يستطيعـون تجاوزهـا في الدول الإسلامية، ومن حقهم أن يعملـوا في التجارة وغيرها بحرية تامة باستثنـاء مـا حرم الله سواء كان يعمل لحساب نفسه أم لغيره ، ومـن حقه أن يستلم الوظائف في دولة الإسلام فلا يمنع من ذلك.

– الاهتمـام بالجانـب الإعلام الإسلامي والجانـب الدعوي، وغرسـ روح التسامح والمحبة والتعـاون واحتـرام الحرية الدينية والفكريـة، وتوظيف جميع الوسائل الإعلاميـة لخدمة أهداف الأمة والدفاع عن قضاياها المصيرية، وعلى رأسها القدس الشريف والقضية الفلسطينية، وحماية المسجد الأقصى من خطر الحفريات والتي تجريها قوات الاحتلال حول المسجد الأقصى، والتي باتـت تشكل خطراً عل أساساته ،والخوف كل الخوف من سقوطـه وانهياره ودعوة العالم للتحرك لإيقـاف هـذا العمل الإجرامي بحق المسجـد الأقصى، وتوجيه التهديد للصهاينـة بأنه إذا حدث مكروه لا قدر الله للأقصى فإن الأمة الإسلامية والعربية لن تقف حينها مكتوفة الأيدي.

– الوقوف مع اخواننا المرابطين في بيت المقدس ودعمهم مادياً ،للدفاع عن قضية القدس والأقصى والوقوف إلى جانبهم ضد ممارسات الآلة الصهيونية الغاشمة.

– دعـم المناضلين بالدعاء بظهر الغيـب لإخواننا المرابطين في بيت المقدس وهو السلاح الذي لا قِبَل للعدو به، والمحافظة على الدعاء في الأوقات المفضلة للاستجابة التي ينبغي للمؤمن

أن يتحراهـا، كوقـت السحـر ونزول المطر والسفـر وأثناء السجـود ودُبر الصلـوات وفي القنوت وغيرها.

-الدعـوة الى إقامـة مؤتمرات وندوات وحوارات ، وحلقات تلفزيونيـة وإذاعية ، والعمل على نشر الأبحاث وتشجيـع الباحثين للنشر حولً موضوعاًت القدسً وأهميتها ؛ لتبقى القدس حاضرة فـي أذهاننـا جميعاً كما كانت في فكر وذهـن وهمّ الصحابة الكرام ومـن تبعهم على ذلك ، وهذ الفكر يناقش تاريخ القدس ومستقبلها وما الذي يتوجب علينا القيام به لحماية بيت المقدس

نسأل أن يردنا إلى ديننا رداً جميلاً، وأن يحرر بلادنا من كل غاصب أو معتدي... آمين.

المصادر والمراجع

الإصابـة في تمييـز الصحابة،ابن حجر، أحمـد بن علي،ط١، دار الكتـاب العربي، بيروت، ١٩٧٨.

الأحكام السلطانية، الماوردي، علي بن محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م

الأحكام السلطانية، أبو يعلى الفراء، محمد بن الحسين، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م.

أحكام القرآن، ابن العربي، محمد بن عبدالله، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.

البداية والنهاية ،ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل، مكتبة دار المعارف، بيروت، ١٩٩٠م.

تاريخ الرسل والملوك ،الطبري، محمد بن جرير، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣. ودار الكتب العلمية، بيروت .

جامع الأصول، ابن الأثير، الناشر حلواني وصلاح، دمشق، ١٣٩٢هـ .

الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد، ط٢، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ.

حلية الأولياء، أبو نعيم ،أحمد بن عبدالله، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٨٨م.

الخراج، أبو يوسف،يعقوب بن إبراهيم، ط١، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٣٨٢هـ.

الرحيق المختوم ،المباركفوري، صفي الدين،ط١، المكتبة الثقافية، بيروت،١٩٧٦

زاد المعاد، ابن القيم، محمد بن أبي بكر،دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧.

سبل السلام، الصنعاني، محمد بن إسماعيل، ط٤، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٦٠م.

سنن الدارقطني ، الدارقطني، علي بن عمر، ط١، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٩٣.

سنن أبي داود، أبو داود، سليمان بن الأشعث، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢.

السنن الكبرى، البيهقي، أحمد بن الحسين، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٢.

سنن ابن ماجه، ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، ط١، دار الفك، بيروت.

سنن النسائي ،النسائي، أحمد بن شعيب، ط٢، دار البشائر، بيروت، ١٩٨٦.

السياسة الشرعية، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩١.
السيرة الحلبية، الحلبي، ابن برهان الدين ،بيروت ، دار إحياء التراث العربي ،١٩٨٨م.
السيرة النبوية ،مروان شيخ الأرض، سوريا ، المطبعة التعاونية ، ٢٠٠٣م.
السيرة النبوية ،ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، ط١، دار الجيل، ١٩٩١م.
صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل، ط١، دار الفكر بيروت،١٩٩١.
صحيح مسلم ،الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري،ط١، مؤسسة عز الدين، بيروت، ١٩٨٧.
الطبقات الكبرى، ابن سعد، ط١، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٠م.
فتح الباري، ابن حجر، أحمد بن علي، ط٢، دار الفكر، بيروت ١٩٢٢.
فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٣م.
فقه السيرة النبوية، البوطي، محمد رمضان،ط١، دار الفكر، دمشق،١٩٩١
الكامل في التاريخ، ابن الأثير ، علي بن محمد ، ط١، دار الفكر ، بيروت
كتاب الخراج ، يحيى بن آدم، ط٢، تحقيق أحمد شاكر، المطبعة السلفية .
كنز العمال، الهندي، علاء الدين المتقي بن حسام الدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.
لسان العرب ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، ط١، دار صادر وبيروت، ١٩٨٠.
مجمع الزوائد، الهيثمي، علي بن أبي بكر، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م.
المستدرك على الصحيحين،الحاكم النيسابوري، محمد بن محمد ،ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٨.
المسند، ابن حنبل، الإمام أحمد بن محمد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٩٦.
المصباح المنير، الفيومي، أحمد بن محمد، ط١، دار العلم، بيروت، بدون سنة نشر.
المصنف في الآحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ.
المعجم الأوسط، الطبراني، سليمان بن أحمد، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.
المعجم الكبير، الطبراني، سليمان بن أحمد، ط٢، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٩٨٣م.
معجم لغة الفقهاء، قلعجي، محمد رواس وقنيبي، محمد صادق، ط١، دار النفائس، عمان/ الأردن.
المغازي ، الواقدي، محمد بن عمر، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٤م.

المغني ،ابن قدامة ، عبدالله بن أحمد ، دار هجر للطباعة ، القاهرة ، ١٩٩٢م.

نيل الأوطار، الشوكاني، محمد بن علي، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٣

القدس ، جاسر العناني ، دراسات قانونية وتاريخية ، جمعية عمال المطابع التعاونية ط١ ، ٢٠٠١ .

حقيقة القدس، د. محمد حسين محاسنه ، الشركة الجديدة للطباعة والتجليد ، ط ١ ، ٢٠٠٤، نشر بدعم من أمانة عمان الكبرى .

د. حسن مصطفى خاطر، موسوعة القدس والمسجد الأقصى المبارك، مؤسسة الرسالة، القدس، ٢٠٠٤.

القدس الشامخة عبر التاريخ ، محمد هاشم غوشة ، د.رعد شمس الكيلاني ، القضاء في بيت المقدس ، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، العدد ١٧ .

مخلص يحيى برزق، القدس من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، مؤسسة القدس، ص ٢٩ وما بعدها.

- موقع الفسطاط : http://www.fustat.com/I_hist/al-Quds.shtm

الأهمية الدينية للقدس، مركز المعلومات الفلسطيني: http://www.pnic.gov.ps/arabic/alquds/city.html

المسجد الأقصى المبارك وما يتهدده من حفريات اليهود، محمد علي أبو حمده ، مكتبة الرسالة الحديثة ، طبعة سنة ١٩٨٢.

مجلة العربي ، العدد ٦٠٦، مايو ٢٠٠٩، وزارة الإعلام ، دولة الكويت ، مقالة من يعيد للقدس زمنها الأول .

الفيوض الربانية في الرحلة النورانية، معجزة الإسراء والمعراج ، محمد محمود صلاح (أبو الدرداء)، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط١، ١٩٩٠ .

فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب (الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٢). علي محمد محمد الصلابي. مكتبة الصحابة، مكتبة التابعين. www.wikpedia.org عمر بن الخطاب على شبكة الإنترنت ويكبيديا

عمر بن الخطاب، حياته، علمه، أدبه د. علي أحمد الخطيب .

السيف والبيان في تحرير قدس الرحمن،عدنان ساري الزين،غير معروف مكان الطبع، ط١، ١٩٩٦.

المسجد الأقصى والصخرة المشرفة عبر الموروث الثقافي،د.إبراهيم الفنّي، منشورات أمانة عمان الكبرى،ط١،

عزت محمود فارس ، بعنوان قراءات في العهدة العمرية ،مجلة جامعة دمشق ، م ٢٦ ، العدد الأول والثاني ، ٢٠١٠م ،

وقائـع فلسطينية ، الفتح العمري لبيت المقدس ، الأستاذ سعود أبو محفوظ ، إصدار اللجنة الأردنية للدفاع عن القدس ، ١٩٩٠.

مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد ، ابن النحاس الدمياطي ، تهذيب د. صلاح الخالدي ، دار النفائس ، الأردن ، ١٩٩٩م.

بحث على شبكة الإنترنت بعنوان عمر بن الخطاب، للدكتور ناصر بن محمد الأحمد .

المسجد الأقصى الحقيقة والتاريخ ، علي القدومي، كتاب مصور، ط٢، مركز بيت المقدس للدراسات والتوثيق ، ٢٠٠٨.

مجموعـة الوثائـق السياسية في العهد والخلافـة الراشدة ، طبع لجنـة التأليف والترجمة، القاهرة .

خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، عبدالله التل ، دار القلم ، القاهرة ، ط٢، ١٩٦٥ .

تاريخ القدس، عارف باشا، دار المعارف، ط٢، القاهرة .

أحمـد فتحي خليفـة، موسوعة بيـت المقدس، قرص ليـزري (نابلس/فلسطيـن: مؤسسة سلسبيل للكمبيوتر) ١٩٩٩م

- أحمـد فتحي خليفة، دليـل أولى القبلتين/ثانـي المسجدين (مؤسسـة الأقصى /)٢٠٠٢- www.islamic- aqsa. com

- دائرة الأوقاف الإسلامية، المسح الأثري لقسم الآثار (القدس) د ت .

- المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى، دليل المسجد الأقصى الشريف (القدس: مطبعة بيت المقدس) دت - الأرجح ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م

- رائـف نجـم وآخرون، كنوز القدس(عمـان: مطبوعات منظمة المدن العربيـة ومؤسسة آل البيت، ١٩٨٣م

- روحي الخطيب، تهويد القدس (عمان:لجنة إنقاذ القدس) ،ج١ /١٩٧٠م، ج٢ / ١٩٧١م

- عارف العارف، تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك، ولمحة عن تاريخ القدس، القدس: مطبعة دار الأيتام الإسلامية، ١٩٥٥م

- عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس ط٢، القدس: منشورات مكتبة الأندلس ١٩٨٦

- عبـد القادر الريحـاوي، تاريخ المسجد الأقصى القدسي الشريـف وآثاره، بحث مقدم إلى الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية (جامعة حلب) ١٩٨١م

ـ علي بركات، خطر التهدم الحضاري على المسجد الأقصى القدسي، دراسة في كتاب «يوم القدس»، الرابع (عمان) ١٩٩٣

ـ عيسى محمود بيضون، دليل المسجد الأقصى المبارك (كفركنا/فلسطين المحتلة: مركز التخطيط والدراسات) ١٩٩٣م

يوسف بن الحسن بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي الحنبلي، محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، دار أضواء السلف، الرياض، د.ت، ج١

مجدي فتحي السيد، صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق عمر بن الخطاب، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط١، ١٤١٧هـ .

السيف والبيان في تحرير قدس الرحمن، عدنان ساري الزين، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط١، ١٩٩٦.

المقدسي، محمد بن عبد الواحد بن أحمد (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م): «فضائل بيت المقدس»، تحقيق محمد مطيع الحافظ، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله، (ت٥٧١هـ/١١٧٥م):

«تاريخ دمشق الكبير»، تحقيق عبد السلام تدمري، ط١، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

«سير أعلام النبلاء»، ١٧جزء، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

«تذكرة الحفاظ»، طبعة ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م. «العبر في خبر من غبر»، ٤أجزاء، حققه وضبطه محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):

«تذكرة الحفاظ»، ٤أجزاء، وضع حواشيه الشيخ زكريا عميرات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

تاريخ الخلفاء ، جلال الدين السيوطي ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٧ ،

الأوقاف الإسلامية في العصر الإسلامي ، بحث مقدم لمؤتمر فلسطين الدولي للأوقاف الإسلامية ، منشور على الإنترنت ، للأستاذ عبد الحميد الفراني ، والأستاذ عوني العلوي ، ٢٠١١م.

القدس ، جاسر العناني ، دراسات قانونية وتاريخية ، جمعية عمال المطابع التعاونية ط١، ٢٠٠١ .

قاسم المجالي ، محاضر في جامعة مؤتة ، بحث منشور على شبكة الإنترنت .

المعالم الإسلامية في البلدة القديمة ، فادي عبد الغني شامية ، ٢٠٠٨ ، بحث منشور على

شبكة الإنترنت .

الإدارة الإسلاميـة فـي عهـد عمر بن الخطاب ، فـاروق مجلاوي ، الناشـر روائع مجدلاوي للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٣م.

رياض علي الحسين
طالب مرحلة الدكتوراه – جامعة الجنان

إدارة الوقت من منظور قرآني

المقدمة

الحمـد لله رب العالميـن، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

فـإنَّ الوقـت من أجل النعم، التـي امتنَّ بها على عباده، فقال فـي كتابه الكريم: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ﴾ (الفرقـان: ٦٢)، وقـال في موضع آخـر: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ (النحل: ١٢)، فهـذا التسخير الإلهي لليل والنهار المتعاقبين مدى حياة الإنســان مظهـر إرشادٍ إلى قيمة الوقت فـي حياته، ثمَّ إن الله عز وجل قد ربـط العبادات بأوقات محـددة لا تصـحُّ إلا فيهـا، كالصلاة، والصيـام، والحج، والـزكاة، وذلك لكي يتوجّـه العباد إلى استثمار الأوقات والمحافظة عليها، وحسن إدارتها.

وقد أقسم الله سبحانه وتعالى به في القرآن الكريم في مواطن كثيرة، وذلك لينبه عباده إلى عظمة الوقـت ونفاسته فقال: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٢﴾ (الفجر ١–٢)، ﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢﴾ (الضحى: ١–٢)، ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢﴾ (العصر: ١–٢).

ولـمَّا جعل الله القرآن الكريم دستور المسلم إلى الطمأنينة والسكينة، ومنهاجه إلى النجاة فـي الدَّارين، وسببًا لنيل مرضاته، والفـوز بجنَّته. ولما كانت ثقةُ المسلم أنَّ القرآن يعالج قضاياه المتنوعـة وجب عليه أن يتوجّه إليه تأمُّـلًا ودراسةً لإدارة الوقت، ليصل إلى شاطئ الأمان في دنيا الخوف من المستقبل.

أهميَّة الموضوع وأسباب اختياره: يعتبر موضوع الوقت من القضايا التي بُذلت فيها دراسات وأوقـات عظيمة ولكن لم أعثر علـى دراسة مستفيضة تحدَّثت عن الوقت من منظور قرآني أو مثلًا دراسـة موضوعيـة قرآنيَّة عـن قيمة الزمان في حيـاة الإنسان، فأردت أن أجعـل هذا البحث يثير اهتمام أحد الباحثين للقيام بذلك، ومن الأسباب أيضًا:

- الكشف عن أهمية الوقت وقيمته وخصائصه من منظور قرآني.
- تشجيع المسلم على حفظ الوقت وحسن استغلاله بالصالحات من الأعمال.

- تنبيــه المسلــم إلى الوقــت الذي يُذهِبُه بلا فائدة حيث يقتل وقتــه بما لا طائل منه، لا في درهم معاش، ولا حسنة معاد.

إشكاليــة البحث: كيف طرح القرآن للمسلم قضية الوقت من خلال اعتنائه به، ولفت النظر إلــى قيمتــه وأهميته، وما منهج القرآن فــي إرشاد المؤمنين إلى تنظيم الوقــت، وحسن استثماره، وبراعة إدارته ؟!! وما الطريقة المثلى لإدارة الوقت في أثناء الأزمات وفي أثناء الفراغ؟!.

الدراسات السابقة:

الوقت في حياة المسلم، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٩٩١م.

الوقت وأهميته في حياة المسلم، علي بن نايف الشحود، منشور على الشبكة.

إدارة الوقــت من المنظــور الإسلامي والإداري، د. خالد بن عبد الرحمن الجريسي، منشور على الشبكة دون تفاصيل أخرى.

إدارة الوقــت بين التــراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحادة، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٧ هـ.

وغالــب هــذه الدراسة كتيِّبات صغيــرة، نشرها أصحابهــا، وإن كانــت أسست من منطلق شرعــي من حيث حديثها عن قيمة الوقــت، وأهميته، ووجوب استثماره، إلا أنَّها قد قامت على رؤى شخصية، وتجارب من وحي الحياة، جعلوها قواعدَ عامة ليسير عليها غيرهم.

وقد قسمتُ هذا البحث إلى مبحثين الأول عن الوقت في القرآن الكريم، وتحدثت في الثاني: عن إدارة الوقت استنباطًا لقواعد ذلك من القرآن.

المبحث الأوَّل: الوقت في القرآنِ الكريم

لا بدَّ من تعريف الوقت، والحديث عن أهميته وخصائصه وميادنه وهي مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: تعريف الوقت لغةً واصطلاحًا:

الوقــت فــي اللغة مأخوذ من الواو والقاف والتاء، وهو يــدلُّ على حد شيءٍ وكنهه في زمان، قــال الخليل (ت ١٧٠هـ): «الوَقْــتُ: مقدار من الزمان، وكل ما قدرت له غايــة أو حينًا فهو مُوَقَّتٌ. والمِيقاتُ: مصدر الوقت، والآخرة مِيقاتُ الخلق. ومواضع الإحرام مَواقيتُ الحاج. والهلال ميقات الشهر»[(١)].

وفــي اللســان: «وقت: الوَقْــتُ: مقدارٌ مــنَ الزمانِ، وكلُّ شَــيْءٍ قَدَّرْتَ لَــهُ حيناً، فَهُــوَ مُؤَقَّتٌ، وَكَذَلِكَ مَا قَدَّرْتَ غايتَه، فَهُوَ مُؤَقَّتٌ. ابْنُ سِيدَهْ: الوَقْتُ مِقْدَارٌ مِنَ الدَّهْرِ مَعْرُوفٌ، وأَكثر مَا يُستعمل فِــي الْمَاضِــي، وَقَــدِ اسْتُعْمِلَ فِــي الْمُسْتَقْبَــلِ، ..... وَفِي التَّنْزِيــلِ الْعَزِيــزِ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى

(١) الخليل، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دون تفاصيل أخرى، ج٥، ص١٩٩.

﴿ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾ (النساء: ١٠٣)؛ أَي مُؤَقَّتاً مُقَدَّراً؛ وَقِيلَ: أَي كُتِبَتْ عَلَيْهِمْ فِي أَوقات مُوَقَّتَةٍ؛ وَفِي الصِّحَاحِ: أَي مَفْرُوضَاتٍ فِي الأَوْقَاتِ؛ وَقَدْ يَكُونُ وَقَّتَ بِمَعْنَى أَوْجَبَ عَلَيْهِمُ الإِحرامَ فِي الْحَجِّ، وَالصَّلَاةَ عِنْدَ دُخُولِ وَقْتِهَا. والمِيقاتُ: الوَقْتُ المَضْرُوبُ لِلْفِعْلِ وَالْمَوْضِعِ. يُقَالُ: هَذَا مِيقَاتُ أَهلِ الشأْم، لِلْمَوْضِعِ الَّذِي يُحْرِمُونَ مِنْهُ»[(١)].

وأمَّا اصطلاحًا فقد تفاوتت تعريفات الباحثين:

الوقت شرعًا: ما عيَّن الشارع لأداء الصلاة فيه من زمان[(٢)].

الوقت هو الحياة، فما حياة الإنسان إلا الوقت الذي يقضيه من ساعة الميلاد إلى ساعة الوفاة[(٣)].

الوقت: يتجسَّد في وجود علاقة منطقية لارتباط نشاط أو حدث معيَّن، بنشاط أو حدث آخر[(٤)].

وفيما يبدو أنَّ الوقت يمثل مفهومًا خاصًّا يختلف باختلاف العلوم، فعند الجغرافي يرتبط الوقت بالظواهر الجغرافية من زمن ومكان معينين ترتبط وهذه الظواهر، وعند النحوي يربط الوقت بالأزمان مقترنًا بزمن الماضي والحاضر والمستقبل، وأما علماء الطبيعة فيرون أنَّ الزمن والوقت يمثلان واحدًا من ثلاث كتل الكتلة والمسافة والزمن[(٥)].

وخلاصة التعاريف: الوقت هو الفترة الزمنية التي يحياها الإنسان على وجه الأرض والتي تبدأ بالولادة وتنتهي بالوفاة، والتي يجب استثمارها بما يعود عليه بالنفع الدنيوي والأخروي.

وقد جاءت هذه الكلمة ومشتقاتها في ثلاثة عشر موضعًا من القرآن الكريم، اثنتان في الآيات المدنية، والباقي في الآيات المكيّة. وجاء أيضًا عدد من المرادفات منها:

الدهر: أي مرور الزمان كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (الجاثية: ٢٤).

الحين: قال تعالى: ﴿وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾ (البقرة: ٣٦). وهو هنا وقت الموت.

الأجل: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾ (القصص: ٢٩). أي المدة المضروبة بينهما وهي عشر سنوات.

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ه، ج٢، ص١٠٧.

(٢) الكفوي، الكليات، تحقيق، عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤١٩ه، ص٩٤٥.

(٣) أبو شيخة، نادر أحمد، إدارة الوقت، دار مجدلاوي، عمان، دون تفاصيل أخرى، ص٢١.

(٤) عبد الله، شوقي، إدارة الوقت، دار المشرق الثقافي، عمان، ط١، ٢٠٠٦م، ص٤٨.

(٥) الشحود، علي بن نايف، الوقت وأهميته في حياة المسلم، دون تفاصيل أخرى، ص١١٩.

الأوان: قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ (الحديد: ١٦).

العُمُر: قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (النحل: ٧٠).

المطلب الثاني: أهمية الوقت وخصائصه:

أولًا: أهمية الوقت: إن من أَجَلِّ النعم وأعظمها نعمة الوقت، الذي هو من أصول النعم، فالوقت هو عمر الحياة، وميدان وجود الإنسان، وساحة ظله وبقائه ونفعه وانتفاعه، وقد أشار القرآن إلى عِظم هذا الأصل في أصول النعم، وألمح إلى عُلوّ مقداره على غيره، فجاءت آيات كثيرة ترشد إلى قيمة الزمن ورفيع قدره وكبير أثره. يقول الله عزَّ وجلَّ في معرض الامتنان على الإنسان وبيان عظيم فضله عليه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم: ٣٣-٣٤). فامتن سبحانه في جلائل نعمه بنعمة الليل والنهار، وهما الزمن الذي يمر به العالم من بدايته إلى نهايته(١).

وقد ورد التنبيه في القرآن الكريم إلى عظم الوقت، حيث أقسم الله به في مواطن كثيرة من كتابه العزيز، من ذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ (العصر: ١-٢)، وقوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ (الليل: ١-٢)، ولذا ارتبط التقويم الإسلامي بالأشهر القمرية التي تبدأ ببزوغ الهلال وتنتهي باختفائه وبزوغه من جديد ليعلن عن ميلاد شهر جديد، وقد سُئل النبيُّ ﷺ عن فائدة ذلك فأنزل الله عزَّ وجلَّ في كتابه العزيز: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٨٩). أي «هي مواقيت لكم، تعرفون بها أوقات صومكم وإفطاركم، ومَنْسَك حَجَّكم»(٢).

وقد ارتبطت العبادات جميعها بمواعيد ومواقيت محددة من قبل العزيز الحميد، مما يرفع من أهمية الوقت في حياة المسلم، وعلى رأس تلك العبادات الصلوات الخمس، التي قال الله فيهن: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ (النساء: ١٠٣). أي «مفروضة لوقت بعينه»(٣)، وكذلك الزكاة لا تجب إلا ببلوغ النصاب، والحول، والحج في أشهر معلومات، والصيام الواجب في شهر رمضان.

ثانيًا: خصائص الوقت: يتميز الوقت بعدة خصائص وردت في القرآن الكريم وهي:

الوقت ملك لله فهو المتصرف فيه، يقسم الأعمار بين عباده كيفما يشاء، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ

(١) أبو غدة، عبد الفتاح، قيمة الزمن عند العلماء، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٧، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ص١٧.

(٢) الصابوني، محمد علي، ورضا، صالح أحمد، مختصر تفسير الطبري، عالم الكتب، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٨٥م، ج١ ص ٨٩.

(٣) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ج٥، ص ٣٥٦.

﴿ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الزمر: ٤٢). ومعنى الآية: ومن الدلالة على أن الألوهية لله الواحد القهار خالصة دون كلّ ما سواه، أنَّه يميت ويحيي، ويفعل ما يشاء، ولا يقدر على ذلك شيء سواه، فجعل ذلك خبرًا نبههم به على عظيم قُدرته، فقال: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) فيقبضها عند فناء أجلها، وانقضاء مدة حياتها، ويتوفى أيضًا التي لم تمت في منامها، كما التي ماتت عند مماتها (فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ) ذكر أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام، فيتعارف ما شاء الله منها، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده وحبسها، وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها إلى أجل مسمى وذلك إلى انقضاء مدة حياتها[1].

الوقت محدود، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٤)، المراد أنه لا يتأخر عن ذلك الأجل المعين لا بساعةٍ ولا بما هو أقل من ساعة إلا أنه تعالى ذكر الساعة لأنَّ هذا اللفظ أقلُّ أسماء الأوقات.

سريع الانقضاء، وقد قال تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾ (يونس: ٤٥)، وكذا قوله تعالى: ﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴾ (الْمُؤْمِنُونَ: ١١٢، ١١٣)، فهم عالمون بمقدار عمرهم في الدنيا إلا أنهم لما قابلوا أعمارهم في الدنيا بأعمار الآخرة وجدوها في نهاية القلة فقال بعضهم: ما لبثنا في الدنيا إلا عشرة أيام وقال أعقلهم: بل ما لبثنا إلا يومًا واحدًا أي قدر لبثنا في الدنيا بالقياس إلى قدر لبثنا في الآخرة كعشرة أيام بل كاليوم الواحد بل كالعدم[2].

الوقت لا يعود، فهو فرصة لا تعوَّض، فإذا فارق الإنسان الدنيا لا يعود، ولذلك ذكر الله خبر أهل النار وهم يتمنون العودة؛ فقال: ﴿ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ (فاطر: ٣٧)، ولكنَّ فرصتهم قد انقضت، وحياتهم قد طويت، فقد أعطاهم أعمارًا من قبل، وأرسل إليهم النذر لكنهم غفلوا عن ذلك وانشغلوا بما لا ينفعهم في يوم الحساب[3].

المطلب الثالث: ميادين الوقت في القرآن الكريم

أولًا: الوقت في ميدان العقيدة: ارتبط الوقت بجانب عقدي، وهو الدلالة على وجوده وقدرته

(١) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠ه، ج٢١، ص٢٨٩.

(٢) الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠ه، ج٢٢، ص٩٩.

(٣) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩ه، ج٦، ص٤٩٣.

وحكمتـه، فخلق السموات والأرض في ستة أيام، وجعـل الأهلة مواقيت للناس والحج، وجعل القمر يسيـر في منـازل ليعلم المؤمن عدد السنين، ومـرور الشهور، وتحديد الأشهـر الحرم لتعظيمها، ومجانبة القتال فيها، كل هذه ما يتصل بمباحث العقيدة الإسلامية.

ثانيًـا: الوقـت في ميدان العبـادات: لا شكَّ أن العبـادات بدءًا من الطهـارة ترتبط بالوقت، فالوضـوء يرتبط بوقـت الصلاة، ويجتنب الزوج وطء زوجته وقـت الحيض، والمسح على الخفين يرتبـط بالوقت. والصلاة لها مواقيـت محددة، قال تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴾ (الإسـراء: ٩٢)، والـزكاة فـي الـزروع لهـا وقـت محدد قـال تعالـى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ (الأنعـام: ١٤١)، وزكاة المـال تجب بمـرور الحول وبلوغ النصاب، وصدقـة الفطر تجب في شهر رمضـان، والصيـام فرضٌ فـي شهر رمضـان، والحج له أشهره التـي لا يصحُّ إلا بهـا قال تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ ﴾ (ٱلۡبَقَرَة: ١٩٧).

ثالثًـا: الوقت في ميدان الأحـوال الشخصيّة: يتعلَّـقُ الوقتُ أيضًا بالحيـاة الأسرية فالحمل له مدة زمنيـة وكذا الرضاع، قال تعالـى: ﴿وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًا﴾ (ٱلۡأَحۡقَاف:١٥)، وقال أيضًـا: ﴿ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِ ﴾ (ٱلۡبَقَـرَة: ٢٣٣)، دلت الآيـة على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، لأنَّه لما كان مجموع مدة الحمل والرضاع ثلاثون شهرًا، فإذا أسقطت الحولين الكاملين وهي أربعة وعشرون شهرًا من الثلاثين، بقي أقل مدة الحمل ستة أشهر[١]. وكذلك يرتبط الوقت بعدَّة المرأة، فالمطلقة بعد الدخول عدتها ثلاثة قروء قال تعالى: ﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ ﴾ (البقـرة: ٢٢٨)، والمطلقة الصغيرة التي لا تحيض، والكبيرة الآيس من دم الحيضـ عدة كلٍّ واحـدة منهما ثلاثة أشهر، والحامل عدتها بالوضع كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ﴾ (الطـلاق: ٤)، وأما المتوفّى عنها زوجها فعدتها أربعة أشهر وعشرة أيام كما قـال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗا ﴾ (ٱلۡبَقَرَة: ٢٣٤).

والإيـلاء يرتبط بالوقـت، ويُقصَد بالإيلاء الحلف، فإذا حلـف الرجل أن لا يجامع زوجته مدة[٢]، قـال الله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٢٦ وَإِنۡ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ (البقرة: ٢٢٦-٢٢٧).

والاستئـذان داخـل البيـوت مخصص فـي أوقات العورة الثلاثة كمـا في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ

(١) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٨، ص١٥.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٤٥٤.

﴿تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ...﴾ (سورة النور: ٥٨)، أدب الله عز وجل عباده في هذه الآية بأن يكون العبيد إذ لا بال لهم، والأطفال الذين لم يبلغوا الحلم إلا أنهم عقلوا معاني الكشفة ونحوها، يستأذنون على أهليهم في هذه الأوقات الثلاثة، وهي الأوقات التي تقتضي عادة الناس الانكشاف فيها وملازمة التعري. فما قبل الفجر وقت انتهاء النوم ووقت الخروج من ثياب النوم ولبس ثياب النهار. ووقت القائلة وقت التجرد أيضًا وهي الظهيرة، لأنَّ النهار يظهر فيها إذا علا شعاعه واشتد حره. وبعد صلاة العشاء وقت التعري للنوم، فالتكشف غالب في هذه الأوقات[١].

رابعًا: الوقت في ميدان الآداب العامّة: يرتبط الوقت بأدب الوفاء مع الناس في المواقيت والمواعيد قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (القصص: ٢٩). أي: وفّى الأجل وأتمَّه ثم عاد إلى أهله.

وكذا من الآداب العامة الاستئذان في الانصراف، كالجندي من القائد، والمحكوم من الحاكم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة النور: ٦٢)، الأمر الجامع مثل: وقت حرب حضرت، أو وقت صلاة اجتمعوا لها[٢].

المبحث الثاني: منهج القرآن في إدارة الوقت

وردت عدة تعريفات في معاجم اللُّغة للإدارة، إذ جاء تعريفها في «لسان العرب» في مادة (دور): «وأداره عن الأمر وعليه، وداوره: لاوصه، ويقال: أدرت فلانًا عن الأمر إذا حاولت إلزامه إياه وأدرته عن الأمر إذا طلب منه»[٣]، كما جاء تعريف بـ «معجم الطلاب» في مادة (أدار): «أدار الوزير العمل: أشرف عليه»[٤].

وقد جاء في القرآن الكريم أحد مشتقاتها (تديرونها) في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

تعريف إدارة الوقت: الحكمة في استخدام الوقت استخدامًا أمثلًا وفعالًا، بحيث يستثمر الإنسان الوقت القليل في إنتاج العمل الصالح الكثير، باستخدام العمليات الإدارية من تخطيط، وتنظيم، وتوجيه، ورقابة.

---

(١) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص٤٠٣.

(٢) المصدر السابق، ج١٢، ص٣٢١.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (دور)، ج٤، ص٤٤٨.

(٤) صيني، محمود إسماعيل وحيمور حسن يوسف، معجم الطلاب، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩١م، مادة (أدار)، ص ٥٠.

وإدارة الوقت على أنواع:

الإدارة الذاتيـة: وهي قدرة الفرد على استخدام أفضل الوسائل المتاحة لزيادة الإنتاج بأقل وقت ممكن.

الإدارة بالأهداف: أي تحديد الأهداف، والفترة الزمنية اللازمة لتحقيق النتائج المحددة.

الإدارة بالتفويض: يعنـي تفويض بعض المهام مـن المدير إلى المرؤوسيـن، لعدم إضاعة الوقت في المهمة التي يستطيع المرؤوس عملها بدلًا من المدير.

الإدارة بالمشاركـة: أي إشـراك الأشخاص فـي الإدارة، والمشاركـة فـي تحمـل مسؤولية التخطيط والتنفيذ(١).

المطلب الأول: إدراة الوقت في بناء النفس وعمارة الكون

الإنسان خليفة رسل الله في الأرض، وقد أوجده فيها ليعمرها بالخير والإيمان، ويُقيم فيها شعائر الدين من إيمان وشريعة وأخلاق، ولذلك كانت حياة الفرد محطَّ عناية القرآن، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (غافر: ٦٧)، ففي عالم الأجنّة هو مسؤولية الأم في المحافظة على نفسها، وحماية ما في بطنها، وفـي مرحلة الطفولـة تُبنى شخصيته تحـت نظر أبويه، ويتركـز الأمر من خـلال النمو الجسمي والعقلـي والعاطفي بعيدًا عن أجواء الخصام، ولمَّا يصبح مميزًا تبدأ المرحلة الثانية في التربية، فيُنَشَّـأ نشأة صالحـة من خلال التزكية، والتعليم، والأسرة هي الحلقـة الأولى في عملية الإصلاح مـن خلال الرعاية والاهتمام قال تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ (التحريم: ٦)، وبعد بناء النفس وتربية الأهل على التقوى والصلاح، يتصدر المؤمن للدعوة إلى الله مقتديًا بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ (النحل: ١٢٥).

المطلب الثاني: إدارة الوقت عند المحن

الدنيـا دار البـلاء والامتحـان، وفيهـا الكثير مـن الشدائد التـي يمر بها الإنسـان، ولكنَّ الابتـلاءات ليست دليـل مقت، ولكنها تختلف باختلاف المبتلى فابتـلاء الأنبياء رفع درجات، قال تعالـى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة: ١٢٤)، وابتلاء المؤمنين تمحيص واختبار، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ (البقـرة: ١٥٥-١٥٦)، وابتـلاء الكفار قصم وهلاك

(١) شبير، حنان، واقع إدارة الوقت لدى العاملين، دون تفاصيل أخرى، ص٤٠-٤٣.

كما في قولـه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ (الكهف:٥٩)، وتكون إدارة المؤمن لوقته في الشدة:

الرضا بقضاء الله وقدره، مع أخذ المؤمن بأسباب النجاة من الأمراض والأوجاع والمصائب، فإن أصابه شيء فإنَّما بقضاء الله وقدره، فلا رادَّ لقضائه، ولامعقِّب لحكمه.

الصبـر والاحتساب، فيحبس نفسه عن الجزع المفضـي إلى التسخُّط، ويرغب بما عند الله مـن الأجر، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠)، بمـا لا يقدر على حصره حاصر، ولا يستطيـع حسبانه حاسب[١]. وتبدأ إدارة الوقت من اللحظة الأولى عند وقوع المصيبة، فقد مرَّ النبـي ﷺ بامـرأة تبكي عند قبر، فقـال: «اتقي الله واصبري» قالت: إليـك عني، فإنك لم تصب بمصيبتـي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنَّه النبي صلـى الله عليه وسلم، فأتت باب النبي ﷺ، فلم تجد عنده بوّابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «إنَّما الصبر عند الصدمة الأولى»[٢].

التقرب إلى الله بالطاعات، فتحصل له من الله المحبوبية، فيعيذه مما يكره، ويصرف عنه، ما لا يحب.

التضُّرع إلـى الله، ولذلك قال سبحانـه: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ٤٣).

المطلب الثالث: إدارة الوقت عند الفراغ

علمنـا أنَّ الوقت أثمن ما يملك الإنسان، لـذا يجب على المؤمن استثماره، وإدارته، وعدم التفريط فيه، فهو أمانة بين يديه، وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾، وأداء أمانـة الوقت تكون بإدراتـه واستثماره في الطاعات، خصوصًا وقت الفراغ، وأخص ذلك في مرحلـة الشبـاب حيث أغلب الشباب يهدر وقته بما لا نفع فيه، بلا تخطيط ولا وضع أهداف، وهذا غبـنٌ وخسارة قال رسـول الله ﷺ: «نعْمَتَان مَغْبُـونٌ فيهمَا كَثيرٌ منَ النَّاس: الصِّحَّـةُ وَالفرَاغُ»[٣]. ولذلك وجب عليه أن يلتفت إلى النعم التي أولاه الله إيَّاها وتكون إدارة الوقت مناسبة لها:

إدارة نعمـة الصحـة: فالصحة نعمة جليلـة لا يعرف قدرها إلا من فقدهـا، لذلك لا بدَّ من استثمارها بالطاعات والعبادات كالصلاة والصيام والحج، وإعانة من فقدها من ذوي الاحتياجات الخاصة.

إدارة نعمـة المـال: المال عصب الحيـاة وشريانها، وسبب نمائها، ولذلـك تكون إدارة هذه النعمة الجليلة على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: أن يجمعه من حلال طيب، لا من كسب خبيث، كالربا، والرشوة.

(١) الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٤١٤ه، ج٤، ص٥٢١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، (برقم: ١٢٨٣)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢ه، ج٢، ص٧٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب لا عيش إلا عيش الآخرة، (برقم: ٦٤١٢)، ج٨، ص٨٨.

المرحلة الثانية : ينفقه في المباحات ووجوه الخير، فينفق على نفسه وعياله، ويعين اليتامى والأرامل، ويشارك في المشاريع الخيريّة بقدر ما يستطيع.

المرحلة الثالثة : تطهير المال فيُخرج زكاته في الوقت المحدد، وليعلم أن الله استخلفه على هذا المال، فليجعله وسيلة للوصول إلى الأهداف النبيلة، والغايات السامية.

إدارة نعمة الذريّة: وهذه نعمة متفاوتة بين الخلق، فمنهم من رُزق الذكور، ومنهم من رُزق الإناث، ومنهم من جمع الله له الذكور والإناث كما قال: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (الشورى: ٤٩-٥٠)، ولذلك يجب على الوالد أن يحسن تربيتهم، وأن يعطيهم حقوقهم، ليكونوا جيلًا صالحًا، ولبنة في بناء الأمة الشامخ، والمستقبل المنشود.

إدراة نعمة العلم: إنَّ الله يصطفي للعلم أهلًا وحملة، ولذلك قال تعالى في شأن طالوت: ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾ (البقرة: ٢٤٧)، فتضمَّنت الآية بيان صفة الإمام وأحوال الإمامة، وأنَّها مستحقة بالعلم والدين والقوة لا بالنَّسب، فلا حظ للنَّسب فيها مع العلم وفضائل النَّفس وأنَّها متقدمة عليه، لأن الله تعالى أخبر أنه اختاره عليهم لعلمه وقوته، وإن كانوا أشرف منتسبًا[1]. وواجب الوقت في هذه النعمة الجليلة إنّما تكون بتطبيق ما تعلم، ونشره، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الثالث: القواعد القرآنية لإدارة الوقت

يتجلى المنهج القرآني لإدارة الوقت، في حسن استثمار العمر القصير بالنفع الكبير وقد جمعتُ من القرآن عدّة قواعد ليتمّ ذلك:

القاعدة الأولى: التخطيط، وذلك من خلال وضع خطة لها زمن محدد، تبيّن العمل لكل مكلف لإنجازه، وهذا يمكن استنباطه من خطة سيدنا يوسف في التخطيط للخروج بمصر من القحط المحتّم، فاستثمر سني الرخاء، واستفاد منها للخروج من المحنة، قال تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (يوسف: ٤٦-٤٩)، فقال: السبع من البقرات السمان والسنبلات الخضر سبع سنين مخصبات، وأما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجدبات، ثم وضع الخطة الزمنية فأمر المزارعين بالزراعة، وأمر بحفظ الكثير من السنابل الممتلئة بالحَبِّ، ووازن بين الإنتاج الزراعي والاستهلاك، وبذلك أخرج البلاد من

(١) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج٣، ص٢٤٦.

القحـط[1]. وقـد مر التخطيط بعدة مراحـل: تحديد الأهداف، ثم البـدء بالأولويات، ثم استثمار النعم الموجودة، ثم الأخذ بالأسباب، ثم التوكل على الله.

القاعـدة الثانيــة: التنظيـم، وتنظيم الوقت أنجـح الوسائل فـي حسن إدارته، لـذا تجد أنَّ العبـادات قـد ارتبطت بأوقات محددة، فإذا حافـظ المسلم على عباداته، يتعـوّد على النظام في جميع أحيانه، ويحسن إدارة وقته والتنظيم يرتكز على عدة مبادئ:

مبـدأ تقسيم العمل: ولذلك تجـد سيدنا يوسـف ﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴾ (يوسـف: ٥٥)، فالحفـظ والعلم صفتان بارزتان في نفســه، فرشَّح نفسه من مبدأ تقسيم العمل، وهو ما يعينه على حفظ الوقت لإنجاز العمل بطريقة منظّمة.

مبـدأ التفويض: ونعنــي به توكيل المهمة إلــى شخص، ومنحه الصلاحيــة، لتنفيذ المهمة، وتحقيق الأهداف، ولذلك تجد الملك فوَّض سيدنا يوسف بحفظ خزائن الدولة.

مراعــاة حــال المكلَّف: فكلُّ عمل له صفات خاصة، وابنة شعيــب طلبت من أبيها أن يستأجر سيدنا موسى لما رأت من قوته وأمانته.

القاعـدة الثالثة: التوجيه، ولأهميته فإنَّــه وجه عباده بالمنهج الذي أنزله عليهم من شريعة، لئلا يغفلوا عن الغاية من خلقهم، ويتركوا عمل الخير. فأرشدهم إلى الطاعات، ودلهم على طريق الهداية لأن أعمارهم قصيرة، وعمرهم في هذه الحياة محدود.

القاعـدة الرابعـة: الرقابة، وهي المرحلــة المكمِّلة لسلامة إدارة الوقـت، وهي عند المؤمن تنبـع مـن معين استشعار مراقبــة الله له، وأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، قال تعالــى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ (سبـأ: ٣)، فيحافظ على وقته، ويعمل بجد ونشاط، لينال سعادة الدَّارين.

الخاتمة

يعتبر الزمان وعاء الأحداث، فكلُّ حدث يحتاج إلى زمن ما قصر أو طال، ولذلك تجد أن الله سبحانه وتعالى أعطى اليوم الواحد متساويًا لجميع الخلق، لا يمكن للمسلم بيعه، ولا تأجيره، وإنَّما يمكنه استثماره والانتفاع بـه، فالناجح يحفظه ويستغله، والمستهتر يضيّعه ويقتله، وهذه الدراسة المصغّرة، خلصت فيها إلى نتائج مهمة وهي:

- الوقـت هو مدة وجـود الإنسان على الأرض، ولأهميته فقد اعتنــى به القرآن الكريم عناية فائقة، ورد من مشتقات (وقت) في ثلاثة عشر موضعًا، جلها من الآيات المكية.

- الوقت له خصائص منها: أنه ملك لله، وأنه قصير، يمضي ولا يعود.

(١) يُنظر: القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج٩، ص٢٠٣.

- يدخل الوقت في القرآن في عدة ميادين: العقيدة، والعبادات، والمعاملات الأسرية، والآداب العامة.

- يمكن استنباط منهج متكامل من القرآن الكريم لإدارة الوقت لعمارة الكون، ومنهج في المحن، وفي وقت الفراغ.

أسس القرآن لإدارة الوقت من خلال عدة قواعد وهي: التخطيط، والتنظيم، التوجيه، والرقابة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

إدارة الوقت، شوقي عبد الله، دار المشرق الثقافي، عمان، ط١، ٢٠٠٦م

إدارة الوقت، نادر أحمد أبو شيخة، دار مجدلاوي، عمان، دون تفاصيل أخرى.

تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

صحيح البخاري، البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

فتح القدير، الشوكاني، دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٤١٤ه.

قيمة الزمن عند العلماء، عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٧، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

كتاب العين، الخليل، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دون تفاصيل أخرى.

الكليات، الكفوي، تحقيق، عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤١٩هـ.

لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

مختصر تفسير الطبري، محمد علي الصابوني، صالح أحمد ورضا، عالم الكتب، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٨٥م.

معجم الطلاب، محمد إسماعيل الصيني، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩١م.
مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
واقع إدارة الوقت لدى العاملين، حنان شبير، دون تفاصيل أخرى.
الوقت وأهميته في حياة المسلم، علي بن نايف الشحود، دون تفاصيل أخرى.
والحمد لله رب العالمين

أ.م.د. محمد فؤاد ضاهر
باحث أكاديمي وأستاذ جامعي مساعد في كلية الشريعة جامعة بيروت الإسلامية وجامعة الجنان صيدا

جدليَّةُ العَلاقة بينَ الزَّندقة والوَضع في الحَديثِ عندَ عَبدِ الكريمِ بنِ أبي العَوجاءِ

مستخلص البحث:

تناول هذا البحث العَلاقة القائمة بين الزَّندقة والوضع في الحديث النَّبويِّ الشَّريف، مُتَّخذًا من عبد الكريم بن أبي العوجاء نموذجًا عمليًّا تطبيقيًّا لئلاَّ يبقى البحثُ في إطاره النَّظريِّ. مُتَّبعًا المنهجَ التَّاريخيَّ والوصفيَّ في دراسة حياة ابن أبي العوجاء الشَّخصيَّة والفكريَّة وأثرها في حركة المجتمـع المسلم كمظهر من مظاهر تجليَّات الزَّندقة ونشاط جماعتها في الدِّعاية إليها ومكايدة الدِّيـن وأهله. مُنطلقًا من واقع مدينة البصرة حيث كان يقطن، ومعرِّجًا على دور الفلسفة المنويَّة والثَّنويَّـة فـي اصطياد الأفـراد وتعبئتهم للقيـام بدورهم. وانتهـى البحث إلـى الإجابة عن بعض التَّساؤلات حول الموقف من حُرِّيَّة الرَّأي والتَّعبير، وإمكانيَّة تمييز الحديث المقبول من المردود لا سيَّما الموضوع بغيةَ طمأنة المجتمع المسلم إلى ما بين أيديهم من الحديث والوثاقة به.

الكلمات المفتاحية: علم الحديث، الزَّندقة، الزَّنادقة، الوضَّاعون، الوضع في الحديث، عبد الكريم ابن أبي العوجاء.

Extract:

This research discusses the relation between heresy and false referencing of Prophet Mohamad’s Hadith. It takes Abdul Kareem Bin Abi Al Awja’a a practical example to avoid limiting the research to its theoretical approach. It follows the historical and descriptive methods in analyzing the personal and intellectual biography of Bin Abi Al Awja’a highlighting its impact on the Islamic community and the rise of heretic groups that fed the anti-Islamic propaganda. It takes the status of Al Basra City where he lived as a benchmark with a thorough analysis to the role of philosophy in manipulating people’s minds. The research ends with an answer to the queries about freedom of thought and expression in Islam. It also distinguishes between approved and inadmissible Hadith to assure the Muslim community about the Ahadith they believe in and trust.

Keywords: Alhadith, Heresy, heretic, Hadith Emplacement, Abdul Kareem Bin Abi Awja’a.

المقدِّمة

تأطَّر الجوُّ العام الذي عاشه العراقُ في عصر العبَّاسيين الأوَّل بالحرِّيَّة الفكريَّة. فانشغل العلماء في الدَّعوة والتَّعليم، والكتابة والتَّصنيف، والتَّرجمة والتَّعريب، وعقد المناظرات والمجالس في مختلف العلوم الإنسانيَّة؛ الأدبيَّة منها والشَّرعيَّة، حتى تلك التي لها تعلُّق بالسِّحر والكِهانة والتَّنجيم، ما صحَّ إطلاقُه على ذلك العصر بالعصر الذَّهبيِّ للعلوم. شكَّل هذا الواقع فرصة سانحة ودافعيَّةً مقتنصَة لتدلوَ الزَّندقةُ بآرائها وتبشِّر بأفكارها عن طريق عدد من رجالاتها، كان من بينهم: عبد الكريم بن أبي العوجاء، الذي تكرَّر اسمُه في مصنَّفات علم أصول الحديث وتراجم الرِّجال والرُّواة. واتَّفقت كلمةُ الرِّجاليين من فرق المسلمين على رميه بمجامع الشَّرِّ: الزَّندقة، والوضع في الحديث النَّبويِّ الشَّريف.

أسباب اختيار البحث:

رغبتُ في إعداد هذا البحث لأسباب منها:

جمع مختصر عن سيرة هذا الرَّجل بحسب ما انتهى إلينا من خبره، تجليةً لحقيقة أمره، ودفعًا لمن حاول تلميع صورته ونعته بشهيد الفكر والحرِّيَّة.

الوقوف على كنه العَلاقة بين الزَّندقة والوضع في الحديث، وما تسبَّبت به زندقةُ ابن أبي العوجاء، محاولاً الإجابة عن الإشكاليَّة الآتية.

إشكالية البحث:

تبرز إشكاليَّة البحث في تأثير كلٍّ من حركة الزَّنادقة وحركة الوضَّاعين في بعضهما، وكيف استفادت الحركتان من تواجدهما في البصرة للكيد من الإسلام والعمل على إضعاف المسلمين وإشغالهم عن التفرُّغ التَّامِّ للنُّهوض بهذا الدِّين. وتجيب الدِّراسةُ عن الإشكالية الرَّئيسة وهي: من عبد الكريم بن أبي العوجاء؟ ولماذا هذا الاهتمام بدراسة شخصيَّته؟ ثمَّ تتفرَّع عنها أسئلة تابعة، وهي:

هل تمكَّن أهلُ العلم والدِّراية من تتبُّع الرِّوايات التي كذبتها الزَّنادقةُ على رسول الله ﷺ وتمييِّزها عن الأحاديث النَّبويَّة الصَّحيحة؟

وهل يوجد اليومَ أحاديث مكذوبة يعمل بها المسلمون يظنُّونها صحيحةً؟

ثمَّ أليس في التعرُّض للأشخاص انتهاكٌ للصِّفة الإنسانيَّة وتقويضٌ للحرِّيَّة العامَّة وقمعٌ للتَّفكير المشترَك لدى البشر؟!

أهداف البحث:

أهدف إلى تقديم رؤية مقتضبة عن حياة ابن أبي العوجاء، والاطِّلاع على المخطَّطات القديمة في ضرب الإسلام ووحدة الأمَّة، ليكون المسلمون أكثرَ حذرًا وأوفرَ تماسُكًا، وأدعى تعاونًا

على المتَّفَق عليه وألزمَ تناصحًا في ما بينهم على المختلَف فيه. ولمَّا كانت أخباره موزَّعةً بين كتب الفرق الإسلاميَّة فقد أخذتُ منها ما يشكِّل وحدةً موضوعيَّة متناسقة الأطراف.

هيكليَّة البحث:

انتظم البحث في مقدِّمة، هي هذه، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع. وأسميتُه: جدليَّةُ العَلاقةِ بينَ الزَّندقة والوَضعِ في الحَديثِ عِندَ عبدِ الكَريمِ بنِ أبي العَوجاءِ.

التمهيد: إلماعة عن واقع البصرة.

المبحث الأول: حياة ابن أبي العوجاء.

المبحث الثاني: عَلاقة ابن أبي العوجاء بالزَّندقة.

المبحث الثالث: دور ابن أبي العوجاء في وضع الحديث.

المبحث الرابع: تساؤلات فلسفيَّة.

الخاتمة، وتضمَّنت: النَّتائج، والتَّوصيات.

منهجية البحث:

اتَّبعتُ في إعداد هذا البحث المنهجَ التَّاريخيَّ في تتبُّع أحوال ابن أبي العوجاء ودراسة شخصيَّته الفكريَّة والعَقديَّة بالاستناد إلى مواقفه وتصريحاته. ثمَّ المنهج الوصفيَّ التَّحليليَّ لقياس متلازمة العَلاقة الثُّلاثيَّة ين الزَّندقة والوضع وعبد الكريم، وأثر ذلك في المجتمع المسلم ومآلاته على صعيد الموقف الشَّرعيِّ منه.

الكلمات المفتاحية: علم الحديث، الزَّندقة، الزَّنادقة، الوضَّاعون، الوضع في الحديث، عبد الكريم ابن أبي العوجاء.

التَّمهيد:

إلماعة عن واقع البصرة

الإنسان ابن بيئته، ولطالما حصل التَّأثُّر والتَّأثير بين تفاعلات الزَّمان والمكان والإنسان، وعمارة الأرض هي نتاج الثَّقافة والعمران. وبما أنَّ ابن أبي العوجاء عاش في بصرة العراق، فكان حتمًا علينا أن ننطلق من الجذور إلى عالم الأفكار، لنرى طبيعة الانسجام بينهما، ونقف على العوامل الخفيَّة التي صنعت عبد الكريم وأثَّرت في تكوينه. فجاء هذا التَّمهيد في مطلبين، هما:

المطلب الأوَّل: ظروف نشأة البصرة وتسميتها.

المطلب الثَّاني: تداعيات زنادقة الفرس على البصرة.

المطلب الأوَّل: ظروف نشأة البصرة وتسميتها:

البصــرة العظمى من أشهر مدن العراق، وثالث أكبر مدنه، وهي المركز الإداريُّ والسِّياسيُّ لمحافظة البصرة. تبعد عن العاصمة بغداد حوالي ٤٤٦ كم، وعن المدينة المنوَّرة حوالي ١,٣٤٩ كـم. تقع فـي أقصى جنوب العراق علـى الضِّفَّة الغربيَّة اليمنى لنهر شطِّ العـرب الذي يتكوَّن من التقـاء نهـري دجلـة والفرات، وهـو المعبر المائـيُّ الأوَّل في العـراق ويصبُّ في الخليـج العربيِّ. والبصــرة أوَّل مدينة إسلاميَّة بُنيت خــارجَ الجزيرة العربيَّة زمنَ الفتوحـات الإسلاميَّة، وصارت مصــرَ الإسلام ومحلَّ الصَّحابة والتَّابعين والمجاهدين، وبلغـت من الفضل أنَّه «كان يقال: الدُّنيا والبصرة»[١]، و«مدينة الدُّنيا ومعدن تجاراتها وأموالها»[٢].

يعود تاريخ البصرة -كحضارة وجغرافيا- إلى ما قبل تاريخ بنائها الجديد، حيث ثبت تاريخيًّا أنَّها كانت عبارة عن حيين: (الخريبة، والأُبُلَّة)، وفيها بقايا من الكلدانيين[٣]، وكانت محطَّ أنظار الهنـود ورِحـال الفرس، الذين حوَّلوها إلى معسكرٍ حربيٍّ سمَّوه (بَسْ راهْ)[٤]. ثمَّ أصبحت قاعدةً لمواصلة العربِ فتحَهم للعراق مع تراجع القُوَّات الفارسيَّة، لتتحوَّل بعد ذلك إلى مدينة آهلة كثيرةِ السُّكَّان، ما ساعد بشكل خاصٍّ التُّجَّارَ والحِرفيين من الفرس والهنود على التَّوافد إليها منً جديد بدافع الأعمال والتِّجارة.

فــي عام ١٤-١٥هـ نزلهــا القائدُ عُتبة بن غزوان المازنيُّ (ت١٥هــ) الذي استشعر الحاجة إلى بناء مصرٍ فيها، فكتب إلى أمير المؤمنين عمر ابن الخطَّاب يستأذنه في تمصيرها قائلاً: «لا بـدَّ للمسلمين من منــزلٍ إذا شتوا، شتوا فيه. وإذا رجعوا من غزوهم سكنوا فيه». فكتب إليه عمرُ: «ارتـد لهـم منزلاً قريبًا من المراعي والمــاء، واكتبْ إليَّ بصفته». فأجابـه: «إنِّي قد وجدتُ أرضًا كثيــرة القضَّة[٥] فــي طرف البَرِّ إلى الرِّيف، ودونَها مناقعُ فيها مــاء وفيها قصباء». فلمَّا قرأ عمرُ كتابَـه قال: «هذه أرضٌ بصرةٌ قريبةٌ من المشارب والمراعــي والمحتطب». وكتب إليه: أن انزلها. فنزلها وبنى مسجدَها، وبنى دار إمارتها[٦]. وُشيِّدت البصرةُ على أرض غليظة ذات حجارة رِخوة

(١) ابن عبد المنعم، أبو عبد الله: محمد بن عبد الله الحميري (ت٩٠٠هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، ط٢، ١٩٨٠م، ص ١٠٦.

(٢) اليعقوبي، ابن وضاح، أحمد بن إسحاق (ت٢٩٢هـ)، البلدان، اعتنى به: محمد أمين ضناوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ، ص ١٥٩.

(٣) العباسي، عبد القادر باش أعيان (ت١٣٦٥هـ)، البصرة في أدوارها التاريخية، بغداد، دار البصري، ط١، ١٣٨١هـ/١٩٦١م، ص ٧.

(٤) الحموي، شهاب الدين، أبو عبد الله: ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ط٢، ١٩٩٥م، ٧ج، ١/٤٣٠.

(٥) القضة: أرض ذات حصى. الجوهري، أبو نصر: إسماعيل بن حماد الفارابي (ت٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ٦ج، ٣/١١٠٢، مادة: قضض.

(٦) ( ) ابن الفقيه، أبو عبد الله: أحمد بن محمد الهمداني (ت٣٦٥هـ)، البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ٢٢٩-٢٣٠.

بيضاء فاتخَّذت اسمَها[١].

شهدت البصرةُ نهضةً علميَّة عظيمة هي من نتاج علماء الصَّحابة وأجلاَّء التَّابعين[٢]. وكان لمسجدهــا الجامع الدورُ الأبــرز في نشر ثقافة العلم والوعي والدِّين إلى مشارق الأرض ومغاربها. وعُــرف فيها العلمــاء والأدباء، واشتهر مجلــس سيِّد التَّابعين الإمام الفقيــه الزَّاهد الورع الحسن البصــريِّ (ت١١٠هـ). وقامت فيها حــركاتٌ فكريَّة وفرق عقائديَّة كالمعتزلــة، وبرز من علمائهم الصَّاحبــان: عمرو بــن عبيد (ت١٤٤هـ)، وواصل بــن عطاء (ت١٣١هـ)، اللــذان كانا من طلاَّب الحسن البصريِّ ثمَّ اعتزلاه.

المطلب الثَّاني: تداعيات زنادقة الفرس على البصرة:

بالعــودة إلــى تاريــخ الحضــارات نجــد أنَّ الحضــارة الفارسيَّة التــي ازدهرت زمــنَ الدَّولة السَّاسانيَّــة، قد سيطرت فيهــا الزَّرادشتيَّة، وكانوا في أوَّل أمرهم صابئــة يعبدون الشَّمس والقمر وسواهما، ثمَّ غلبت عليهم المجوسيَّةُ فعبدوا النَّارَ حتى صارت الدِّيانةَ الرَّسميَّة للإمبراطوريَّة، ثمَّ فشــت فيهــم الثَّنويَّةُ بمذاهبها كلِّها، وهذا يومض إلى بــروز التَّناقضات العقائديَّة العميقة الجذور فــي أوساط المجتمــع الفارسيِّ التي تركت انعكاساتِها على النِّظــام الاجتماعيِّ. وبعد أن مكَّن اللّه المسلميــن مــن فتح بــلاد فارس وقوَّضــوا عرش الكِسرويَّة؛ دخــل بعضُ الفرس فــي دين الإسلام وهــم يبيِّتون الكيد منه ومــن أهله، وأدخلوا معهم طائفةً من عقائدهــم وهرطقاتِهم. ومِن ثَمَّ كان لتأثير الفرس انعكاساتٌ خاصَّة على البصرة، بحيث إنَّ هذا التَّأثير لم يحوِّلها إلى بؤرة للتَّمرُّدات والانتفاضات المعاديــة للسُّلطة والدِّين فقط، وإنَّما جعلها مهدًا للخلافات التي حصلت في العالم الإسلاميِّ أيضًا[٣].

ثمَّ في العهد الأمويِّ ازدادت مناهضة الفرس للحكم العربيِّ عنفًا مع اقتراب الأسرة الأمويَّة من السُّقوط، ليبرز دورُهم بجلاء مع بناء أبي جعفر المنصور لمدينة بغداد سنة ٧٦٢م والاستعانة بهم ولا سيما البرامكة الذين ينتمون إلى أسرة فارسيَّة قديمة من كهنة بلخ، و«كانوا يُرمَون بالزَّندقة إلاَّ من عصم اللّه تعالى منهم»[٤]. وعلى إثر انقلاب العبَّاسيين على العلويين، وجد الفرسُ الفرصةَ سانحــةً فــي التَّحريش بين الطَّرفين والإسهــام في إلهاب هذا الصِّراع العربــيِّ- العربيِّ[٥]، فكان لذلك دور فاعل في تغلغل الأفكار الفارسيَّة في المجتمع العراقيِّ شيئًا فشيئًا.

(١) البَلاذُري، أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ط١، ١٩٨٨م، ص ٣٣٢.

(٢) ينظر: العباسي، البصرة في أدوارها التاريخية، ص ٤٧-٥٠.

(٣) ينظر: الأعظمي، علي ظريف، متخصر تاريخ البصرة، تحقيق: عزت رفعت، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، ص ٨٨-٩١.

(٤) الدينوري، أبو محمد: عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٩٢م، ص ٣٨٢.

(٥) أداموف، ألكسندر، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، تعريب: هاشم صالح التكريتي، بغداد، دار ميسون، ٢ج، ٧/٢، ٨، ٩، ٢٩، ٣٢، ٣٦.

إبَّـان هـذه التَّجاذبـات السِّياسيَّة استعـر نشـاط الزَّنادقة الذين لـم يكونوا برئـوا من أثر المجوسيَّـة والمانويَّة والزَّردشتيَّة والمزدكيَّة، وكان همُّهم إشغالَ السَّاحة الدِّينيَّة بإحداث القلاقل والبلابـل وإفساد عقائـد المسلمين، عن طرق عديدة منها: صناعة الكـذب على رسول الله ﷺ، واستغفال بعض المحدِّثين فيدسُّون في مصنَّفاته الرِّوائيَّة ما ليس من حديثه، فيرويه ذلك الشَّيخ ظنًّا منه أنَّه من حديثه[٦]، «ولقد أدخل جماعةٌ من الزَّنادقة في أحاديث الصِّفات أشياء يقصدون بها عيبَ الإسلام وإدخالَ الشَّكِّ في قلوب المؤمنين»[٧].

وتعاظمـت حركتُهـم ونشطت زمنَ الخليفـة المهديِّ العبَّاسـيِّ (ت١٦٩هـ) الـذي أقرَّ عنده «رجـلٌ مـن الزَّنادقة أنَّه وضع أربـع مائة حديثٍ، فهي تجول فـي أيدي النَّاسـ»[٨]. وانتشرت كتب الفلاسفـة الأقدمين من ملاحدة الهند والفرس ككتب ماني وابن دَيَصان ومرقيون، ممَّا نقله عبدُ الله بـن المقفَّـع وغيرُه، وتُرجمت من الفارسيَّة والفهلويَّة[٩] إلـى العربيَّة. كذلك ما صنَّفه ابنُ أبي العوجاء، وحمَّاد عجرد، ويحيى بن زياد، ومطيع بن إياس: من تأييد المذاهب المانيَّة والدَّيَصانيَّة والمقرقيونيَّـة. فكثر بذلك الزَّنادقة، وظهرت آراؤهم فـي النَّاس. فانبرى لتطهير دولته من هؤلاء المخالفين وشدَّد التَّنقيب عليهم وتتبَّعهم وأفنى منهم خلقًا كثيرًا، وعمل جاهدًا «على إماتة نزعة التَّظاهـر بالعصبيَّة الفارسيَّـة والشُّعوبيَّة»[١٠] التي كانت متجلِّيَّةً فـي الزَّندقة. وكان ذلك في سنة ١٦٦هـ وما بعدهـا[١١]. ورسم في نجاح مَهمَّته خطَّة ابتناها على المنهـج العلميِّ والدَّعويِّ، وتوجَّه بخطـاب رسمـيٍّ إلـى أهل البحث مـن المتكلِّميـن، بتصنيف كتب الجـدل في الـرَّدِّ المحكَم على الزَّنادقة والملحدين ممَّن ذكرنا من الجاحدين وغيرهم. فأقام النُّظَّار والمتكلِّمون البراهين على المعاندين، وأزالوا شُبَه الملحدين، فأوضحوا الحقَّ للشَّاكين لئلاَّ تكون لهم شائبة شبهة[١٢].

---

(٦) ابن الجوزي، جمال الدين، أبو الفرج: عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ)، الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ط١، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، ٣ج، ١/٣٨، ١٠٠.

(٧) ابن الجوزي، الموضوعات، ١/١٢٦، ٢٤١، ٢٥٨.

(٨) الخطيب البغدادي، أبو بكر: أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ)، الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أبي عبد الله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، المدينة المنورة، المكتبة العلمية، ص ٣٦، ٤٣١.

(٩) الفهلوية: لغة فارسية قديمة، منسوبة إلى فَهْلَة، مُعرَّب بَهْلَة: اسمٌ يقع على خمسة بلدان: أصبهان، والري، وماه، ونهاوند، وأذْرَبيجان. وبها كان يجري كلام الملوك في مجالسهم وكلام الموابذة. الخوارزمي، أبو عبد الله: محمد بن أحمد الكاتب البلخي (ت٣٨٧هـ)، مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، ص ١٣٨.

(١٠) بشار بن برد (ت١٦٧هـ)، الديوان- مقدمة الشارح، شرحه: محمد الطاهر ابن عاشور، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، ٤ج، ١/٢٥-٢٦.

(١١) السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج، جدة، دار المنهاج، ط٢، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص ٤٤٣.

(١٢) المسعودي، أبو الحسن: علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، صيدا، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ٤ج، ٤/٢٥١. الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله: محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ٥٢ج، ١٨/٢٤. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٤٠، ٦٠٠.

ثمَّ أخذ العهدَ على ابنه موسى الهادي (ت١٧٠هـ) أن يتابع على منهجه، وممَّا جاء في وصيَّته: «يا بُنيَّ، إنْ صار لك هذا الأمر، فتجرَّد لهذه العصابة»، ثمَّ شرع يبيِّن له مقالاتهم السَّيِّئةَ وكيف أنهم يحتالون فيظهرون بمظهر يغشُّون به النَّاس ومخبرُهم أسوأ من خَبرِهم، «فإنَّها فرقة تدعو النَّاسَ إلى ظاهرِ حسنٍ... ثمَّ تخرجها من هذه إلى عبادة اثنين؛ أحدهما: النُّور، والآخر الظُّلمة...»، ثم ختم برؤيا رآها فيها استئناسٌ بما هو آخذ بناصيته، فقال: «فارفع فيها الخشب، وجرِّد فيها السَّيف، وتقرَّب بأمرها إلى الله لا شريك له؛ فإنِّي رأيتُ جدَّك العبَّاس في المنام قلَّدني بسيفين، وأمرني بقتل أصحاب الاثنين». فقال موسى -بعد أن مضت من أيَّامه عشرة أشهر-: «أمَا واللهِ، لئن عشتُ، لأقتلنَّ هذه الفِرقة كلَّها حتى لا أترك منها عينًا تطرف»[1].

المبحث الأوَّل:

حياة ابن أبي العوجاء

اتَّصفت حياةُ ابن أبي العوجاء بكثيرٍ من التَّناقضات، ولم تخلُ من المشاحنات والمناظرات، وعمرت بالأحداث والسِّجالات. يهمُّنا في هذا الصَّعيد أن نسلِّط الضَّوء على حياته الشَّخصيَّة، وارتباطها بمجالاته العلميَّة والدِّعائيَّة، فجاء هذا المبحث في مطلبين، هما:

المطلب الأوَّل: التَّعريف بابن أبي العوجاء.

المطلب الثَّاني: نشاطه العلميُّ والدِّعائيُّ.

المطلب الأوَّل: التَّعريف بابن أبي العوجاء:

عبد الكريم بن أبي العوجاء، واسم أبيه: نويرة، الذُّهْليُّ[2]، من بني عَمْرو بن ثعلبة بن عامر. والذُّهْليُّ -بضمِّ الذَّال المعجمة، وسكون الهاء، في آخرها لام-: هذه النِّسبة إلى قبيلة معروفة، وهو: ذُهْل ابن ثعلبة، وهم بطن من بكر بن وائل، من العدنانيَّة[3]. كان منهم جماعة كثيرة من العلماء والكبراء، كأبي المغيرة: سِماك بن حَرْب (ت١٢٣هـ). والعدنانيُّون شعب عظيم، يتَّصل نسبُهم بإسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السَّلام باتِّفاقٍ من النَّسَّابين. كانت مواطنُهم مختصَّةً بنجد. وكلُّهم باديةٌ رحَّالة، إلاَّ قريشًا أقاموا بمكَّة، ثمَّ انتشروا في تهامة والحجاز، ثمَّ في العراق والجزيرة، ثمَّ افترقوا في كثير من بقاع الأرض[4]. من هنا ندرك السَّببَ في كون عبد

---

(١) الطبري، أبو جعفر: محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، بيروت، دار التراث، ط٢، ١٣٨٧هـ، ١١ج، ٨/٢٢٠.

(٢) البَلاذُري، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار- ورياض زركلي، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ١٣ج، ٤/١٣١.

(٣) ابن حزم، أبو محمد: علي بن أحمد الظاهري (ت٤٥٦هـ)، جمهرة أنساب العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٣١٦. السمعاني، أبو سعد: عبد الكريم بن محمد (ت٥٦٢هـ)، الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، ١٣ج، ٦/٢١، رقم: ١٧٠٦.

(٤) كحالة، عمر بن رضا الدمشق (ت١٤٠٨هـ)، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، بيروت، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ٥ج، ٢/٧٦١.

الكريم ذُهْليًّا بصريًّا.

لم تحفظ لنا كتب التَّاريخ والتَّراجم شيئًا عن أسرة ابن أبي العوجاء وتاريخ ولادته، غيرَ أنَّنا عرفنــا أنَّه نشأ في البصرة، وقيل: تتلمذ للحسن البصــريِّ[1]. والحسنُ من مواليد سنة ٢١هـ، انتقــل إلــى البصرة سنة ٣٧هـ، ثمَّ خرج منهــا للغزو سنة ٤٣هـ، ليعود فيستقــرَّ بها في حدود سنة ٥٣هـ. وفي عهده كان إمام أهل البيت أبو عبد الله جعفر بن محمد الصَّادق المدنيُّ (٨٠-١٤٨هـ)، والصَّاحبــان المعتزليَّان البصريَّان: أبو حذيفة واصل ابــن عطاء (٨٠-١٣١هـ) وأبو عثمان عَمْرو بــن عُبيد (٨٠-١٤٤هــ)، اللذان اعتزلا مجلس الحســن. ونرجِّح أنَّ ابن أبــي العوجاء وُلِد بعدهم فــي حدود سنة ٩٠هــ، والله تعالى أعلم. وعليه، يكون عبد الكريم شاهدًا على العهدين الأمويِّ من نصفــه الثَّانــي، وأوَّل العبَّاسيِّ. وتوالى عليه مــا لا يقلُّ عن ثمانيةٍ من خلفاء بنــي أميَّة هم مع مدَّة خلافتهــم: سليمــان بن عبد الملك بن مــروان (٩٦-٩٩هـ)، عمرُ بن عبــد العزيز (٩٩-١٠١هـ)، يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ)، هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ)، الوليد بن يزيد بن عبد الملــك (١٢٥-١٢٦هـ)، يزيد النَّاقصــ (١٢٦هـ)، إبراهيم بن الوليد ابــن عبد الملك (١٢٦هـ)، ومــروان الحمــار (١٢٧-١٣٢هــ). واثنيــن أو ثلاثة من خلفاء بنــي العبَّاس هــم: السَّفَّاح (١٣٢-١٣٦هـ)، المنصور (١٣٧-١٥٨هـ)، والمهديُّ (١٥٨-١٦٩هـ).

تجمع عبدَ الكريم بن أبي العوجاء قرابةٌ ببعض الأعلام الذين اشتهر بهم، منهم:

الرَّاوية الشَّهير حَمَّاد بن سَلَمة: الإمام القدوة الحافظ المتقن، أبو سلمة البصري، النَّحْويُّ. مــن العُبَّــاد المجابي الدعوة فــي الأوقات. وُلد سنة ٩١هـ. كان يقول: «مــن طلب الحديث لغير الله مُكر به». قال الإمام أحمد بن حنبل: «إذا رأيتَ الرجلَ يغمز حمَّاد بن سلمة؛ فاتَّهمه على الإسلام، فإنَّــه كان شديــدًا على المبتدعــة». ولم يكن يَثلِبــه إلا معتزليٌّ أو جهميٌّ لمــا كان يظهر من السُّنن الصَّحيحة. ولمَّا طعن في السِّنِّ ساء حفظُه، فلذلك لم يحتجَّ به البخاريُّ، وأما مسلم فاجتهد فيه وأخرج له من حديثه عن ثابت ممَّا سمع منه قبل تغيُّره وهو أثبتُ النَّاس فيه، وما كان عن غير ثابت فأخرج له في الشَّواهد دون الاحتجاج. مات في المسجد أثناء الصَّلاة سنة ١٦٧هـ. وقال الحافظ ابن عديٍّ: «وفي هذه الأحاديث التي ذكرتُها لحمَّاد؛ منه ما يتفرَّد به إمَّا متنًا وإمَّا إسنادًا، ومنه ما يشاركــه فيــه النَّاس. وحمَّاد من أجلَّة المسلمين، وهو مفتي البصــرة ومحدِّثها ومقرئها وعابدها. وقــد حــدَّث عنه الأئمَّــة ممَّن هو أكبرُ سنًّا منــه». ولم يكن له سوى كتاب عن قيســ بن سعد، وكان يحفظ علمه، يحدِّثهم عن ظهر قلب[2].

---

(١) الصدوق، ابن بابويه، أبو جعفر: محمد بن علي القمي، (ت٣٨١هـ)، الأمالي، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ٤٤٠، المجلس ٦٠.

(٢) ابن عدي، أبو أحمد: عبد الله بن عدي الجرجاني (ت٣٦٥هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل عبد الموجود- علي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ٩ج، ٣٥/٣، رقم: ٤٣١. الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ورفاقه، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ٢٥ج، ٤٤٤/٧، رقم: ١٦٨. وينظر تفصيل الحكم فيه: المعلمي، عبد الرحمن بن يحيى اليماني (ت١٣٨٦هـ)، التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، بيروت، المكتب=

عُرف عن عبد الكريم أنَّه ربيبُه، والرَّبيب هو ابن الزَّوجة من زوج آخر(١)، ولربَّما كان حمَّادٌ أصغرَ منه، وهذا وارد وممكنٌ.

والأميـر معن بن زائدة: أبو الوليد الشَّيبانيُّ، ينتهي نسبُه إلى ذُهْل بن شيبان، وهو ابن أخت عبد الكريم بن أبي العوجاء. من أشهر أجواد العرب، وأحد الشُّجعان الفصحاء، أدرك العصرين الأمويَّ والعبَّاسيَّ، أخلص للمنصور فحفظه وأكرمه وجعله في خواصِّه، وولَّاه اليمن، ثمَّ سِجِستان، فأقام فيها وابتنى دارًا، فدخل عليه الخوارج في زيٍّ الفعلة فقتلوه غيلةً سنة ١٥١هـ(٢).

بناءً عليه، اتَّسم ابنُ أبي العوجاء بالحظوة والنُّفوذ، وهذا متدلٌّ بوضوح من جهة القرابة فهو خـال الأميـر معن، وربيب حمَّاد بن سلمة، بالإضافة إلى ما انطبع عليه من مخايل الذَّكاء والنَّباهة مع ما أوتيه من حظٍّ في اللِّسان والقوامة.

المطلب الثَّاني: نشاطه العلميُّ والدِّعائيُّ:

تتلمـذ ابـنُ أبي العوجاء للإمام الفقيه الحسن البصريِّ، ثـمَّ انحرف عن التَّوحيد! فقيل له: تركـتَ مذهـب صاحبك ودخلتَ في ما لا أصل له ولا حقيقة؟ فقال: «إنَّ صاحبي كان مخلِّطًا، يقول طـورًا بالقـدَر، وطـورًا بالجبْر. وما أعلمـه اعتقد مذهبًا دام عليـه»(٣). يبدو أنَّ عبـد الكريم كان يتـردَّد إلى مجالس الحسـن في البصرة صغيرًا لـم يتضلَّع بعلم التَّوحيد والسُّنَّـة، لكن بدت عليه مخايـل النَّباهة، فكان محطَّ أنظار الزَّنادقة، فاشتغلوا عليـه ليسحبوه من مجلس الحسن ويجرُّوه إليهـم، ثـمَّ يقلبونه كما يشاؤون، وهـذا ما حصل. وإلاَّ فالحسن البصريُّ سيِّـد التَّابعين في زمانه بالبصرة. كان ثقة في نفسه، حُجَّة رأسًا في العِلم والعَمل، عظيم القدْر. بدت منه هفوةٌ في القدَر لـم يقصدْهـا لذاتها، فتكلَّموا فيه، فما التُفت إلى كلامهم، لأنَّه لمَّـا حُوقِق عليها تبرَّأ منها. وسئل عـن آدمَ: أخُلق للجنَّـة أم للأرض؟ قال: «بل للأرض». قيل: أكان يستطيـع أن يكون من أهل الجنَّة ولا يصيـر إلى الأرض؟ قال: «لا». فهـذا هو سرُّ المسألة، فإنَّ العبد لا يقدر أن يستقيم إلاَّ أن يشاء اللَّه له أن يستقيم(٤).

أتقـن عبد الكريـم عِلم الكلام، وصنَّف فيه لأجـل الزَّندقة على طريقته التـي يموِّه بها على

=الإسلامي، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ٢ج، ٤٥٢/١، رقم: ٨٥.

(١) بينما نسبه د. العمري إلى ابن ابنته، فيكون ابنُ أبي العوجاء سبطَ حمَّاد! وما أدري الوجه في ذلك، وهذا لا يتأتَّى. العمري، أكرم بن ضياء، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، المدينة المنور، مكتبة العلوم والحكم، ط٥، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص ٢٨.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ، ٢٤ج، ٢٣٦/١٣، رقم: ٧٢٠٤. ابن خَلِّكان، شمس الدين، أبو العباس: أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس بيروت، دار صادر، ط١، ١٩٩٤م، ٧ج، ٢٤٤/٥، رقم: ٧٣٢.

(٣) الطبرسي، أبو منصور: أحمد بن علي (ت٦٢٠هـ)، الاحتجاج، منشورات الشريف الرضي، ط١، ١٣٨٠هـ، ٢ج، ٦٦/٢.

(٤) الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م، ٤ج، ٥٢٧/١، رقم: ١٩٦٨.

النَّاس، وعُدَّ واحدًا من متقنيه[1]. وكان يختلط بمن اشتهر بمعاقرة الخمر، «يجتمعون على الشُّرب وقول الشعر، ويهجو بعضهم بعضًا، وكلٌّ منهم متَّهم فى دينه»[2]، لكنَّه لم يُرمَ بها. ويمتاز بخاصيَّة السُّؤال والاستفهام عمَّا لا يتبادرُ إلى فهمه لدى الوهلة الأولى، ولا يأنف عن سؤال أصحابه، ما يدلُّ على نزعتهم التَّجريبيَّة واتِّصافهم بالفكر والرَّأي. ثمَّ تراه لا يسلِّم للإجابة دون أن يختبر معناها على المحسوس لديه سماعًا أو عيانًا، وقد حُبِّب إليه الجدال واللِّجاج في الكلام، كما حصل في موسم الحجِّ حين كان جالسًا مع بعض أصحابه ممَّن هم على شاكلته في المسجد الحرام، فقال ابنُ المقفَّع: ترونَ هذا الخلقَ، وأومأ بيده إلى موضع الطَّواف- ما منهم أحدٌ أُوجِبُ له اسمَ الإنسانيَّة إلاَّ ذلك الشَّيخُ الجالس، يعني: أبا عبد الله جعفر بنَ محمَّد، فأمَّا الباقون فرَعاعٌ وبهائمُ! فقال له ابنُ أبي العوجاء: وكيف أوجبتَ هذا الاسمَ لهذا الشَّيخ دون هؤلاء؟! قال: لأنِّي رأيتُ عنده ما لم أره عندهم. فقال له ابن أبي العوجاء: لا بدَّ من اختبار ما قلتَ فيه منه. فقال له ابنُ المقفَّع: لا تفعلْ، فإنِّي أخاف أن يفسد عليك ما في يدك. فقال: ليس ذا رأيك، ولكنْ تخاف أن يَضعُفَ رأيُك عندي في إحلالك إيَّاه المحلَّ الذي وصفتَ»[3].

دخل مكَّةَ تمرُّدًا وإنكارًا على من يحجُّ، وساعيًا في نشر مذهبه. وكان البعضُ يكرهون مساءلته إيَّاهم ومجالستَه لهم، لخُبث لسانه وفساد ضميره. فأتى جعفرًا الصَّادق، فجلس إليه في جماعة من نظرائه، ثمَّ قال له: يا أبا عبد الله، إنَّ المجالس بالأمانات، ولا بدَّ لكل من به سعال أن يسعل، أفتأذن لي في الكلام؟ فقال الصَّادق: «تكلَّم بما شئتَ». فقال ابن أبي العوجاء: إلى كم تدوسون هذا البيدر، وتلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر، وتهرولون حوله هرولةَ البعير إذا نفر[4]؟! إنَّ من فكَّر في هذا وقدَّر، علم أنَّ هذا فعل أسَّسه غيرُ حكيمٍ ولا ذي نظرٍ»[5].

واجتمع ذات نهار هو وأبو شاكر الدَّيَصاني، وعبد الملك البصريُّ، وابن المقفَّع، عند بيت الله الحرام، يستهزؤون بالحُجَّاج ويطعنون بالقرآن. فقال ابن أبي العوجاء: «تعالَوا ننقض كلُّ واحد منَّا ربعَ القرآن، وميعادُنا من قابل في هذا الموضع، نجتمع فيه وقد نقضنا القرآن، فإنَّ في

---

(١) الأصفهاني، أبو الفرج: علي بن الحسين الأموي (ت٣٥٦هـ)، الأغاني، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط١، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م، ٢٥ج، ١٤٦/٣.

(٢) المرتضى، علي بن الحسين (ت٤٣٦هـ)، غرر الفوائد ودرر القلائد- الأمالي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، ٢ج، ١٣١/١.

(٣) الكليني، أبو جعفر: محمد بن يعقوب الرازي (ت٣٢٩هـ)، الكافي- الأصول، تحقيق: قسم إحياء التراث، دار الحديث، ٨ج، كتاب التوحيد، باب حدوث العالم وإثبات المحدِث، ١٨٥/١، رقم: ٢.

(٤) كأني بهذه المقالة كانت ألسنة الزنادقة تلوكها مما تعاهدوه في ما بينهم، ففي سنة ١٦٩هـ قتل موسى الهادي عليَّ ابن يقطين الزنديق وكان قد حجَّ فنظر إلى الناس في الطواف يهرولون، فقال: «ما أشبهَهم ببقر تدوس في البيدر!». الطبري، التاريخ، ١٩٠/٨. المقدسي، المطهر بن طاهر (ت بعد ٣٥٥هـ)، البدء والتاريخ، تحقيق: المستشرق كليمان هوار، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، ٦ج، ١٠٠/٦.

(٥) الصدوق، الأمالي، ص ٤٤٠.

نقض القرآن إبطالَ نبوَّة محمَّد، وفي إبطال نبوَّته إبطالُ الإسلام، وإثباتُ ما نحن فيه»[1]. ذلك أنَّ الزَّنادقـة في حواضن الإسلام ومراكز المسلمين «لم تتجاسـر أن ترفض الشريعة»[2]. فينطلقون مـن قاعدة إبطال النُّبوَّة لإنكار الإله، لأنَّ النَّبيَّ وسيطُ الأمَّة بربِّها في أداء الأمانة وتبليغ الرِّسالة، فليس بوسع هذا الزِّنديق أن يتَّجه مباشرة إلى إنكار الألوهيَّة دون النُّبوَّة، لذلك يجتهد في تشكيك النَّاس بالنُّبوَّة والقرآن لينطلق تاليًا إلى الخالق سبحانه.

نخلص إلى القـول: إنَّ عبد الكريم بن أبـي العوجاء كان نهمًا ونشيطًا علـى صعيد الدِّعاية إلـى نِحلتـه التي كرَّس لها جلَّ وقته، حتى رأيناه في مكَّـةَ يناظر العلماءَ في تشريع الحجِّ، والقرآن، ويستهـزئ بالحجيج. وفي البصرة يدعو إلى الزَّندقة ويفسـد الأحداث، ويكذب على الرَّسول ﷺ ويضع الأحادث التي تحلِّل الحرام وتحرِّم الحلال.

المبحث الثَّاني:

عَلاقة ابن أبي العوجاء بالزَّندقة

لـم تكـن الزَّندقة وليدةَ العصر الـذي عاش فيه ابن أبي العوجاء، بل هـي قديمة ضاربة في بطن التَّاريخ الثَّقافيِّ والحضاريِّ لشعوب العالم، والزَّندقةُ متواجدة ومتوافرة في مختلِف الأمصار والعصـور، وشهـد زمنُ عبد الكريـم نشاطًا قويًّا حتى ألقـت به في شَرَكها ولـم يسلمَ منها، وكان مخلصًـا لهـا قد وظَّف نعمةَ الله عليه في الشَّـرِّ والخراب والإلحاد والكيد للدِّيـن وأهله، حتى قيل فيه: إنَّه من أوائل الزَّنادقة والملحديث في التَّاريخ الإسلاميِّ والمشهورين بالتَّهاون في أمر الدِّين. فجاء هذا المبحث في ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأوَّل: مفهوم الزَّندقة.

المطلب الثَّاني: واقع الزَّنادقة زمنَ عبد الكريم بن أبي العوجاء.

المطلب الثَّالث: هل ثبتت الزَّندقة على ابن أبي العوجاء؟

المطلب الأوَّل: مفهوم الزَّندقة:

ليـس في الشَّرع ولا فـي اللُّغة تحديدٌ جامع مانـع لمفهوم الزَّندقة. والحـقُّ أنَّ الزِّنديق لفظ غامـض مشترَك لم يُطلَـق بمعنًى واحد في كلِّ عصر، ولا على قوم بخصوصهم، بل تعدَّدت معانيه واختلفـت إطلاقاته؛ فأطلقه المسلمون كوصف على كلِّ مَن اعتنق دينًا فارسيًّا يعتقد بوجود قُوَّتين أزليَّتيـن فـي العالَم هما: النُّـور والظُّلمة. والزَّنادقـة، أو الزِّنديقية جماعة رفضـوا تعاليم الأديان الإلهيَّة بداعي تحرير الفكر من لوثة العبوديَّة لبارئ البريَّة، و«قالوا: ليس لأحد أن يثبت لنفسه ربًّا، لأنَّ الإثبات لا يكون إلاَّ بعد إدراك الحواسِّ، وما يُدرَك فليس بإله، وما لا يُدرَك لا يثبت»[3].

(١) الطبرسي، الاحتجاج، ٢/١٢٣.

(٢) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص ٣٢٩.

(٣) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص ٢١.

ونـراه أيضًا أُطلق علـى الدَّجَّالين، ومدَّعي النُّبوَّة. ثمَّ بدأ هذا المصطلح يُطلَق تدريجيًّا على أصحاب البِدع، وعلى كلِّ مَن يحيا حياةَ المجون والتَّرَف واللَّهو من الشُّعراء والكُتَّاب[1]، حتى اشتهر على ألسنة الأدباء زمنَ المهديِّ العبَّاسيِّ (ت١٦٩هـ) قولُهم[2]: «تيه مغنٍ، وظَرْفُ زِنديق»[3]. وكان الجاهل من أهل ذلك العصر يتطفَّل على الزَّندقة ينتحلها ليُعَدَّ من الظُّرفاء! كما قال الشَّاعر:

تــزندق مُعلنًا ليقولَ قــومٌ ... مـن الأدبـاء: زِنـديقٌ ظريـف

فقد بقي التَّزندقُ فيه وَسْمًا ... وما قيل: الظَّريف ولا الخفيف[4]

المطلب الثَّاني: واقع الزَّنادقة زمنَ عبد الكريم بن أبي العوجاء:

اشتهـر من بيـن حاملي لواء الإلحاد في تلك الحقبة نفرٌ عُرفـوا بأسمائهم وكناهم، شاركوا فـي ميادين العلم كافَّةً، ونبغ بعضهم في الشِّعر والفلسفـة خاصَّةً. فكانوا يتواصلون ويتزاورون في مـا بينهم وكأنَّهم نَفْسٌ واحـدة[5]، ويختلفون إلى أهل العلم، ويدخلون علـى السَّلاطين، وينظِّمون المناظـرات. ولربَّمـا ارتـاد بعضُهـم المساجدَ، أو حضـر مع أهل الحـجِّ في الموسـم، يعرضون بِضاعتهـم، ويدعـون النَّاسَ إلى أهوائهـم وبِدعهم يصطادون الأحداثَ منهـم. ومنهم من اشتغل إلـى جانب زندقته بوضع الأحاديث والرِّوايات التي تشغِّـب على أهل الإيمان دينَهم وتشوِّش عليهم عقولَهـم. وقـد نشطوا في حركة التَّأليـف والتَّصنيف ولهم طرقُهم الملتوية التـي يلبِّسون بها على السُّـذَّج والبسطاء. ومن يُضبط عليه ذلك ينتهي أمـرُه -في الغالب- إلى المِصقَلة وتُضَقُّ عنقُه أو يصلب.

يستعرضـ أبو الحسن سعيد بن سلام العطَّار البصريُّ مَن كان بالبصرة منهم، فيعدِّد ستَّةً مـن أصحاب الكلام، وهم: عَمرو بن عبيـد، وواصل بن عطاء، وبشَّار بن برد الأعمى (ت١٦٧هـ)، وصالح ابن عبد القدُّوس (ت١٦٠هـ)، وعبد الكريم بن أبي العوجاء، ورجل من الأزْد[6].

---

(١) بدوي، عبد الرحمن، من تاريخ الإلحاد في الإسلام، بيروت، المؤسسة العربية، ط٢، ١٩٨٠م، ص ٢٨.

(٢) المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد، ١٤٣/١. الميداني، أبو الفضل: أحمد بن محمد النيسابوري (ت٥١٨هـ)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة، ٢ج، ١٢٤/١، رقم: ٦٢٧.

(٣) هو عجز بيت على بحر المنسرح، وصدره: وصيف كأس محدثه ملك. لأبي نُواس، الحسن بن هانئ الحَكَمي (ت١٩٨هـ)، الديوان، تحقيق: إيفالد فاغنر، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، ٢٠٠١م، ص ٢١٠/١. أخذه من قول والبة بن الحُباب: «لهو أظرفُ من الزنديق»، يقوله لكلِّ ظريف، ويعني به: يحيى بن زياد الحارثي وكان يرمى بالزندقة. وينظر: المَعري، أبو العلاء: أحمد بن عبد الله التنوخي (ت٤٤٩هـ)، رسالة الغفران، تصحيح: إبراهيم اليازجي، مصر، مطبعة أمين هندية، ط١، ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م، ص ١٤١.

(٤) الثعالبي، أبو منصور: عبد الملك بن محمد (ت٤٢٩هـ)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، القاهرة، دار المعارف، ص ١٧٦-١٧٧. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم: الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، بيروت، شركة دار الأرقم، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢ج، ١٧٧/١، وفيه: الظريف ولا اللطيف.

(٥) الجاحظ، أبو عثمان: عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، ١٣٨٤-١٣٨٥هـ/١٩٦٥-١٩٦٦م، ٨ج، ٤٤٨/٤.

(٦) المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد، ١٢٨/١. الأصفهاني، الأغاني، ١٤٦/٣. الكتبي، صلاح الدين، محمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ)، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط١، ١٩٧٤م، ٤ج، ١٤٦/٤. ابن حجر، شهاب=

والواقـع العـام زمنَ ابن أبي العوجاء غلب عليه علمُ الكلام تأثُّـرًا بحركة التَّرجمة والتَّعريب ومـا خلَّفته في صفوف المسلمين. فضلاً عن انفتاح الدُّنيـا على مجتمع ذلك العهد ورغبة الحُكَّام باللَّهـو والتَّنـدُّر، فكانوا يقرِّبون إليهم أهل الأدب والمجون، وبالتَّالـي خفَّ الدِّينُ و«دخلَت الآفةُ من قـوم دهريِّينَ ملحدين، ركبـوا مطيَّة الجدل والجهل، ومالوا إلى الشَّغَـب بالتَّعصُّب، وقابلوا الأمور بتحسينهم وتقبيحهم وتهجينهم. وجهلوا أنَّ وراء ذلك ما يفوت ذرعهم، ويتخلَّف عن لحاقه رأيُهم ونظرهـم، ويعمـى دون كنه ذلك بصرُهـم... طاحوا في أوديـة الضَّلالة، واستجـرُّوا إلى جهلهم أصحابَ الخلاعة والمجانة»[١].

وتكشـف لنا كتب الأدب مـا كان يتميَّز به هؤلاء من الاهتمام الواضـح بملبسهم ومظهرهم، والعناية المفرطة بجودة كلامهم وتقويم لسانهم، على حدِّ تعبير أبي منصور الثَّعالبيِّ (ت٤٢٩هـ): «فمـا منهم في الظَّاهـر إلاَّ نظيفُ البَـزَّة، جميل الشَّكل ظاهـر المروءة، فصيـح اللَّهجة، ظريف التَّفصيل والجملة. والله أعلم ببواطنهم وضمائرهم»[٢].

«ولهـؤلاء كتـبٌ مُصنَّفة في نُصـرة الاثنين ومذاهبِ أهلهـا، وقد نقضوا كُتبًـا كثيرة صنَّفها المتكلِّمون في ذلك»[٣]. ويهتمُّون بتزيين كتبهم وترتيب صُحفهم ويغالون في ذلك من جهة الشَّكل، حتـى «قال إبراهيم ابن السِّنـديِّ مرَّة: وددتُ أنَّ الزَّنادقة لم يكونـوا حرصاء على المغالاة بالورق النَّقـيِّ الأبيض، وعلى تخيُّر الحِبْـر الأسود المشرق البرَّاق، وعلى استجـادة الخطِّ والإرغاب لمن يخطُّ. فإنِّي لم أرَ كوَرَق كتبهم ورقًا، ولا كالخطوط التي فيها خطًّا»[٤].

ولغة كتابتهم تواضعوا عليها في صناعتهم فهم «أصحاب ألفاظ في كتبهم، وأصحاب تهويل؛ لأنَّهم حين عدموا المعاني ولم يكن عندهم فيها طائل، مالوا إلى تكلُّف ما هو أخصر وأيسر وأوجز كثيًرا»[٥].

أمَّـا من جهـة المضمون، فالحال على ما وصف أبي عثمـان الجاحظ (ت٢٥٥هـ): «ليس في كتبهم مَثَلٌ سائر، ولا خبرٌ طريف، ولا صنعة أدب، ولا حِكمة غريبة، ولا فلسفة، ولا مسألة كلاميَّة، ولا تعريـف صِناعـة، ولا استخراج آلة، ولا تعليم فلاحـة، ولا تدبير حرب، ولا مقارعة عن دِين، ولا مناضلـة عن نِحلة. وجـلُّ ما فيها: ذِكر النُّور والظُّلمة، وتناكح الشَّياطين، وتسافُد العفاريت، وذكر

= الدين، أبو الفضل: أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٢م، ١٠ج، ٨٨/٨، رقم: ٧٧٨٩.

(١) التوحيدي، أبو حيان: علي بن محمد (ت٤٠٠هـ)، الإمتاع والمؤانسة، صيدا، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٤هـ، ص ١٧١.

(٢) الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ١٧٧.

(٣) النديم، أبو الفرج: محمد بن إسحاق الورَّاق البغدادي (ت٤٣٨هـ)، الفهرست، تحقيق: رضا تجدد ، ص ٤٠١.

(٤) الجاحظ، الحيوان، ٥٥/١.

(٥) الجاحظ، الحيوان، ٣٦٥/٣.

الصنديد، والتَّهويل بعمود السنخ، والإخبار عن شقلون[1]، وعن الهامة والهمامة. وكلُّه هَذْرٌ وعِيٌّ وخرافة، وسخرية وتكذُّب، لا ترى فيه موعظةً حسنة، ولا حديثًا مونقًا، ولا تدبير معاش، ولا سياسة عامَّة، ولا ترتيب خاصَّة...»[2].

مِن جهة أخرى، تمتَّعوا بمال وفير، وسلطة ونفوذ، كل ذلك في نشر عقائدهم واستنساخ كتبهم ومصنَّفاتهم، والدِّفاع عن أصحابهم وأهل ملَّتهم، حتى استطاعوا أن يحوموا حول بلاط الأمراء بله الخلفاء ويتَّصلوا بحواشيهم كما بان جيِّدًا في موقف أصحاب ابن أبي العوجاء حين أراد الوالي قتله، وكيف أنَّه حاول أن يفتدي نفسه بمال وفير، على ما سيأتي معنا. وكيف كان له حظوة عند الوجهاء وأهل الشَّأن، يدخل عليهم فيرفعونه ويدنونه ويكرمونه ويتندَّر به من هم على شاكلته، كما حصل في مجلس حسين بن عبيد بن برهمة -وهو من أخصِّ النَّاس بخالد بن عبد الله- أتاه عبدُ الكريم بن أبي العوجاء وعنده عبد الرَّحمن بن يزيد بن المهلب، فرفع ابنَ أبي العوجاء وعبدُ الرَّحمن جالس على البساط، فقال ابن صُدَيقة وكان ماجنًا: عبدُ الرَّحمن على البساط وابنُ أبي العوجاء على الفراش[3].

المطلب الثَّالث: هل ثبتت الزَّندقة على ابن أبي العوجاء؟

لضمان تماديها في إفساد النَّاس، وللمحافظة على مخطَّطاتها كي تؤتي نتائجها، تتبع الزَّندقة في اختيار ممثِّليها والدَّاعين إليها السِّرِّيَّة والخفاء، ثم تعمل على عاملين مهمين وهما: إبقاؤهم في تجمُّعات صغيرة مع بعضهم، بغيةَ تشكيل رأي عام في المجتمع وحالة لا يُستهان بها. كذلك ضمان تواصلهم مع بعضهم ثمَّ مع المركزيَّة، لمتابعة الأوضاع والمستجدَّات وآلية الدَّعوة ومنهجيَّة الدِّعاية إلى فكرهم، وكيفيَّة اصطياد الأغرار والسُّذَّج. كلُّ ذلك بجودة عالية ومهارة وحرفية في منتهى الدِّقَّة والانتظام.

من هذا القبيل، وقع اختيار الزَّنادقة على عبد الكريم بن أبي العوجاء، لمزايا اجتمعن فيه، فكان محطَّ أنظارهم، وجهدوا في تدريسه ودعمه، حتى أثَّروا فيه عن بعد، فتمكَّنوا أوَّلاً من زرع الشُّكوك في نفسه تُجاه أستاذه، فضربوا بهذه الخطَّة ثقته بقُدوته وما يشكِّل له كرمز ومرجعيَّة في الدِّين. حتى إذا جانبه وخرج من مجلسه تلقَّفوه بالشَّحن والتَّعبئة، حتى إذا أصبح جاهزًا لتنفيذ مخطَّطاتهم قذفوا به في صفوف النَّاس. وكان قد تشرَّب هذه العقيدة وآمن بفكر جماعته الجديدة، فشرع يعمل بهدوء على موجتين:

الأولى: بثُّ الشُّكوك في الدِّين، والتَّهكُّم بشعائر الإسلام، وضرب رموزه وزعزعة الثِّقة بهم.

الثَّانية: صناعة النُّصوص الدِّينيَّة واختلاق الأحاديث النَّبويَّة وتلفيق الأسانيد لمتون يكذبها،

(١) من أسماء الجن.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ١/٥٧.

(٣) البَلاذُري، جمل من أنساب الأشراف، ٩/٥٥.

تفتك في مباني الإسلام لناحية صفاء العقيدة، من أجواء المحاور التي تَشَكَّلَ النِّقاشُ حولَها يومذاك، واتَّخذ صفة المباحثات الكلاميَّة حول الأسماء والصفات الإلهيَّة. إلى جانب ضرب المنظومة التَّشريعيَّة لا سيما جانب العبادات منها، ليضمن إحداث خلل في تكاليف النَّاس الشَّرعيَّة وإفساد عباداتهم.

ولا يخفى ما لاعتقاد الرَّجل وتكوينه الفكريِّ من أثر في حياته العلميَّة والاجتماعيَّة على السَّواء، وهو الذي ما فتئ يتحيَّن الفرصة للتَّبشير بنِحلته والدَّعاية إلى عقيدته، وإن أدَّى ذلك إلى تكبُّد المشاقِّ والوقوع في المهالك، والانتهاء إلى الوفاة. وإذا ما سمعْتَ إلى ابن أبي العوجاء وهو يسترسل في حديثه، أو يعترض على فكرة، أو ينقد رأيًا؛ استطعت أن تشْتَمَّ ما يداخله من حقد على الدِّين، قفز عن حدود إبداء رأي مستساغ في بعض المسائل الاعتقاديَّة أو الفتاوى الفقهيَّة التي ربَّما يتأرجح القول فيها نظرًا لمآخذها وأصول الاستدلال عليها، إلى كونه خروجًا عن الانتظام العام لمبادئ الإسلام، وتهكُّمًا بأبنائه والمتتسبين إليه، في نحو قوله للإمام جعفر الصَّادق، وقد سأله عن سبب مجيئه إلى مكَّةَ؟ فقال: «عادةُ الجسد وسنَّة البلد، ولِننظر ما النَّاسُ فيه من الجنون والحَلْقِ ورمي الحجارة»[٤].

إذًا، إنَّ عبد الكريم بن أبي العوجاء معروف بزيغه وضلاله، قد اتَّفقت كلمة الرِّجاليِّين على زندقته[٥]. وجمع بين مفسدتين عظيمتين ومضرَّتين جسيمتين، تفرَّخ منهما أنواع من الضَّلالات[٦]:

أُولاهما: أنَّه كان يرى في السِّرِّ دِينَ المانويَّة من الثَّنويَّة، فنتج عن ذلك قوله بالتَّناسخ[٧]. والذي يتراءى من مجموع تتبُّع أخباره في مصادر التَّاريخ والتَّراجم، أنَّ للرجل رأيًا في الإلحاد والزَّندقة جعله يدعو إلى نِحلته. ويبدو أنَّه قد أوتي فصاحة في لسانه وقُوَّةً في حُجَّته وبيانه، حتى شرع يستجيب له النَّاس، بل ادَّعى فيه جماعتُه النُّبوَّة[٨]. وهو في العموم يرى رأي الثَّنوية، ووافق المانويَّة في أنَّ النُّورَ خالقُ الخير، والظُّلمةَ خالقُ الشَّرِّ، وأنَّهما قديمان حيَّان حسَّاسان، وأنَّ فِعلَهما في الخلق اجتماعُهما وامتزاجُهما بعد أن لم يكونا ممتزجين، فحدث هذا العالم من نفس الامتزاج. فأقرَّ بحادث حدث في القديم من غير سبب أوجبه ولا إرادة منه، فضاهى المجوسَ في

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ١٣١/٤. الكليني، الكافي- الأصول، ١٩٣/١، رقم: ٢.

(٥) ابن نقطة، معين الدين، أبو بكر: محمد بن عبد الغني الحنبلي البغدادي (ت٦٢٩هـ)، إكمال الإكمال، تحقيق: د. عبد القيوم عبد رب النبي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ط١، ١٤١٠هـ، ٥ج، ٢١٢/٤، رقم: ٤٢٣٦.

(٦) البغدادي، أبو منصور: عبد القاهر بن طاهر (ت٤٢٩هـ)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٧م، ص ٢٥٥.

(٧) التناسخ: تعلُّق الروح بالبدن بعد المفارقة من بدن آخر، من غير تخلل زمان بين التعلقين، على سبيل العقاب والثواب، جرَّاء عدم إيمانهم بيوم القيامة ولا بالحساب ولا الجزاء في الآخرة، ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، القاهرة، مكتبة الخانجي، ٥ج، ٧٧/١. الجرجاني، الشريف علي بن محمد (ت٨١٦هـ)، التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٦٨.

(٨) المقدسي، البدء والتاريخ، ٨/٣.

قولهم: إنَّ الخيرَ حدَث منه الشَّرُّ بلا إرادة منه ولا مشيئة[١]!

الأخرى: إظهاره الإسلام وتبنِّيه رأيًا في الإمامة، فنتج عنه:

أن حاول معارضة القرآن؛ بأن يأتي بمثل آياته، ففُضح أمرُه[٢]. ومن منثوره في وصف قوم: «واللهِ، لَلحِكمةُ أزلُّ عن قلوبهم من المِداد عن الأديم الدَّهِين[٣]»[٤].

وقال بالقدر في أبواب التَّعديل والتجوير، فشكَّك ضعاف الغرائز في الواحد الأوَّل، وأمالهم إلى الثَّنويَّة، وزيَّن لهم سيرة ماني[٥] حتى اعتصموا بحبله[٦].

وكان يكذب في الحديث عمدًا.

من جهته، ينبِّه العلاَّمة الحسن بن موسى النُّوبختيُّ إلى أنَّ بعض من انتسب إلى المتابعة لآل الرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم تلطَّى تحت هذا الشِّعار ليكيد للإسلام وهو يحمل في قلبه الغلوَّ، بيد أنَّه لم يخرج عن آثار مَن مضى من أصناف الزَّنادقة الأوَل «المتَّفقين على نفي الرُّبوبيَّة عن الجليل الخالق، تبارك وتعالى عن ذلك عُلوًّا كبيرًا، وأنَّ الله تعالى نور وروح ينتقل في هذه الأبدان، تعالى الله عن ذلك. إلاَّ أنَّهم مختلفون في رؤسائهم الذين يتولَّونهم؛ يبرأ البعضُ من بعض، ويلعن بعضُهم بعضًا»[٧].

كما يوضِّح الفقيه محمَّد بن الحسن الدَّيلميُّ المتكلِّمُ (ت٧١١هـ) البرنامجَ العمليَّ الذي يتَّبعه الزَّنادقة في خطَّة مدروسة ومحكمة، ينزِّلونها بحسب الظُّروف الاجتماعيَّة وحال المخاطَبين. ويضرب على ذلك عدَّة نماذج من واقعهم، فيلتقي مع الشَّيخ النُّوبختيِّ في ما نحن بصدد تقريره عن حال عبد الكريم. كل ذلك لهدف واحد وهو غواية الخلق وإضلال المسلمين، وتفتيت عَضُد الأمَّة وإبقائها مشرذمة ومتفرِّقة ومتخاصمة. فمتى كان المدعوُّ من أهل الدِّين جاءه الزِّنديق بما

(١) المقدسي، البدء والتاريخ، ١/٩٠-٩١.

(٢) الجاحظ، رسائل الجاحظ، ٣/٢٧٧-٢٧٨.

(٣) الأديم الدهين: الجلد الأحمر الأملس الذي لا يكاد يثبت عليه شيء لغلبة الدهن عليه. يريد أنَّ بعض الناس مثل قلبه في عدم الإفادة من الحكمة والموعظة مثل الورق الزلق لا يثبت عليه حِبرٌ.

(٤) التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق: د. وداد القاضي، بيروت، دار صادر، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ١٠ج، ٨/٥٢. الزمخشري، جار الله، أبو القاسم: محمود بن عمرو (ت٥٨٣هـ)، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط١، ١٤١٢هـ، ٥ج، ٢/١٩، رقم: ١٦، دون نسبة.

(٥) ماني بن فاتك الحكيم، وُلد زمنَ سابور بن أردشير بن بابك سنة ٢١٦م. كان نقَّاشًا خفيف اليد رسَّامًا. بدأ يدعو إلى نحلته سنة ٢٤٠م وصولاً إلى بالوشستان، ثم في الإمبراطورية الساسانية في عهد شاهبور الأول. ناظره إذرباذ بن ماركسفند بحضرة بهرام الأول بن هرمز بن سابور في مسألة قطع النَّسْل وتعجيل فراغ العال، فظهر إذرباذ عليه وانقطع ماني، فأعدم مع بعض جماعته سنة ٢٧٧م، وبقيت منهم بقايا اتبعوا مزدك. له: الرسائل، والفصول، وكتاب المزامير والصلوات. النديم، الفهرست، ص ٣٩١. ابن حزم، الفصَل في الملل والأهواء والنحل، ١/٣٧. الرازي، فخر الدين، أبو عبد الله: محمد بن عمر الشافعي (ت٦٠٦هـ)، اعتقادات فرَق المسلمين والمشركين، تحقيق: علي سامي النشار، بيروت، دار الكتب العلمية، ص ٨٨.

(٦) البيروني، أبو الريحان: محمد بن أحمد الخوارزمي (ت٤٤٠هـ)، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، بيروت، عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٣هـ، ص ١٩٦.

(٧) النوبختي، أبو محمد: الحسن بن موسى، فرق الشيعة، بيروت، منشورات الرضا، ط١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص ٨٨.

يليق بمذهبه على وجه التَّفصيل؛ فإن كان من الموالين لآل البيت قرَّر عنده تعظيم أهل البيت، وأظهر التألُّم من الحُكَّام لظلمهم إيَّاهم، كذلك في كلِّ مذهب من مذاهب أهل القِبلة([1]).

كذلك عدَّه الشَّريف المرتضى ممَّن كان يتستَّر بإظهار الإسلام، ويحقن -بإظهار شعائره والدُّخول في جملة أهلِه- دمَه ومالَه، وكان في الباطن زنديقًا ملحدًا. وأنَّ هؤلاء «منعهم عزُّ الإسلام عن المظاهرة والمجاهرة، وألجأهم خوفُ القتل إلى المساترة». ويفيد أنَّ «بليَّة هؤلاء على الإسلام وأهله أعظم وأغلظ»، معلِّلاً رأيه «بأنَّهم يدغِلون فى الدِّين، ويموِّهون على المستضعفين، بجأشٍ رابطٍ، ورأيٍ جامعٍ؛ فِعلَ مَن قد أمن الوحشة، ووثق بالأنسة، بما يظهرُه من لباس الدِّين، الذي هو منه على الحقيقة عارٍ، وبأثوابه غير متوار»[2].

المبحث الثَّالث:

دور ابن أبي العوجاء في وضع الحديث

تزاوجت العَلاقة بين الوضع في الحديث النَّبويِّ الشَّريف وبين الإلحاد والزَّندقة، ولمع على هذا الصَّعيد اسمُ عبد الكريم بن أبي العوجاء الذي تواردت معاجمُ الرِّجال على بيان خبره والتَّحذير من خطره. وقد أوتي علمًا وجدلاً وفصاحة وذكاء، لكنَّ مثلَه كحاطب ليل قام إلى أفعى ظنَّها حطبًا فلسعته فمات، حتى ضُرب مثالاً على كذب الزَّنادقة ووضعهم الحديثَ على رسول الله ﷺ، ما عرَّض بسببه نفسَه إلى الهلاك في الدُّنيا والنَّار في الآخرة. فجاء هذا المبحث في مطلبين، هما:

المطلب الأوَّل: جهد ابن أبي العوجاء في الوضع.

المطلب الثَّاني: الوشاية بابن أبي العوجاء إلى الوالي.

المطلب الأوَّل: جهد ابن أبي العوجاء في الوضع:

اصطبغت حركةُ عبد الكريم بن أبي العَوجاء، وعبد الله بن المقفَّع (ت١٤٢هـ) ورفاقهما بالنَّزعة العلميَّة التَّجريبيَّة التي تحاكم الدِّينَ والنُّبوَّةَ بالاستناد إلى مبدأ المظاهر والمادَّة، متأثِّرين بما يُعرَف بالحركة التَّنويريَّة. ولو أنَّهم اصطلحوا مع أنفسهم وتصادقوا مع عقولهم؛ لدلَّتهم الأفهامُ والأذواق والعقول والأذهان على الرَّبِّ الصَّانع المعبود!

وينصُّ الجاحظ على أنَّ من الزَّنادقة مَن «كانوا يصنعون الآثار، ويولِّدون الأخبار، ويبثُّونها في الأمصار، ويطعنون في القرآن، ويسألون عن متشابهه، وعن خاصِّه وعامِّه، ويضعون الكُتبَ

(١) الديلمي، محمد بن الحسن (ت٧١١هـ)، بيان مذهب الباطنية وبطلانه، عني به: ر. شدوطمان، لاهور، إدارة ترجمان السنة، ص ٢٦.

(٢) المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد، ١/١٢٧.

على أهله»[١]. حتى سار فيهم المثل الدَّوَّار على حدِّ قول الأصمعيِّ[٢]:

إذا ذُكر الشِّركُ في مجلس   أضاءت وجوهُ بني برمك

فإنْ تُليت عندَهم آيةٌ   أتَوا بالأحاديثِ عن مزدك[٣].

وربَّما اتَّصلوا بملوك العجم يتقرَّبون إليهم في الحطِّ من العرب والإسلام ويتكسَّبون بذلك، كما صنع يونس بن هارون، قال الجاحظ: «كان كتب كتابًا لملك الرُّوم في مثالب العرب وعيوب الإسلام، بزعمه»[٤]، «فأخذ منه مالاً»[٥].

وقد امتطى هذه الرَّاحلة عبد الكريم بن أبي العوجاء، فجمع إلى القول بالزَّندقة الكذبَ في الحديث عمدًا عن خبث طويَّة وسوء نيَّة، ليلبِّس على النَّاس دينهم[٦]. وهو معدود «من الزَّنادقة الذين قصدوا إفسادَ الشَّريعة، وإيقاعَ الشَّكِّ في قلوب العوام، والتَّلاعبَ بالدِّين؛ بوضع أخبارٍ أحلُّوا فيها الحرام وحرَّموا فيها الحلال»[٧].

وقيل: دسَّ في كتب حمَّاد بن سلمة أحاديث[٨]. وإن تطرَّق الاحتمال والشَّكُّ إلى هذا الفعل بالذَّات[٩]، لكنَّه لا مرية يثبت أصل الفكرة الذي لا ينفيها رأسًا، وهي أنَّ عبد الكريم كان معروفًا في ذلك الوسط بالكذب والوضع والدَّسِّ في مصنَّفات المحدِّثين. ووضع أحاديث كثيرة بأسانيد يغترُّ بها من لا معرفة له بالجرح والتَّعديل. وتلك الأحاديث التي وضعها كلُّها ضلالات في التَّشبيه

---

(١) الجاحظ، رسائل الجاحظ (حجج النبوة)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ٤ج، ٢٧٧/٣-٢٧٨.

(٢) البيتان على بحر المتقارب، للأصمعي، أبي سعيد: عبد الملك بن قريب البصري (١٢٢-٢١٦هـ). الجاحظ، البيان والتبيين، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ، ٣ج، ٢٢٨/٣. الدينوري، عيون الأخبار، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ، ٤ج، ١١٣/١. وينظر في ذمِّ المتبجِّح بالميل إلى الزندقة والتمجُّس: الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٤٣٧/٢.

(٣) مزدك بن نامدان، الموبذ، أي: العالم القدوة. ظهر بفارس أيَّامَ قباذ بن فيروز بن يزدجرد سنة ٤٨٧م. ادَّعى النبوة وأظهر الاشتراكية والإباحية في المال والأبضاع، وحصل له مناظرة في ذلك مع أنوشروان بن قباذ انقطع فيها مزدك وطُبِّق عليه الشرط فأُعدم. وأصحابه هم المزدكية وقولهم كقول المانويَّة في الكونين والأصلين، إلاَّ أنَّ مزدك انفرد بأنَّ النُّور يُفعَل بالقصد والاختيار، بينما الظُّلمة تُفعل على الخبط والاتِّفاق. والنُّور عالم حسَّاس، والظَّلام جاهل أعمى. النديم، الفهرست، ص ٤٠٦. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥١١. الشهرستاني، أبو الفتح: محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ)، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، ٣ج، ٥٤/٢. الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ٨٩.

(٤) الجاحظ، الحيوان، ٤٤٨/٤.

(٥) المرتضى، الأمالي، ١٣٢/١.

(٦) الجاحظ، الرسائل، ٢٧٨/٣. ابن جماعة، بدر الدين، أبو عبد الله: محمد بن إبراهيم الكناني الحموي الشافعي (ت٧٣٣هـ)، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي، مصر، دار السلام، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ٢١٠.

(٧) سبط ابن الجوزي، شمس الدين، أبو المظفر: يوسف بن قِزْأُوغلي (ت٦٥٤هـ)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد بركات ورفاقه، دمشق، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ٢٣ج، ٢٦١/١٢-٢٦٢، ١٤٨/١٧.

(٨) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ٤٧/٣، رقم: ٤٣١.

(٩) الذهبي، أحاديث مختارة من موضوعات الجورقاني وابن الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، المدينة المنورة، مكتبة الدار، ط١، ١٤٠٤هـ، ص ٣٧، رقم: ١٤.

والتَّعطيـل وفي بعضها تغيير أحكام الشَّريعة[١]. وخبره منتشر في كتب الموضوعات[٢]، وضُرب به المثل فيمن يضع الحديث للكيد من الدِّين في كتب «المصطلح»[٣].

وأفسد على بعض الطَّوائف المسلمة صوم رمضان بالهلال، وردَّهم عن اعتبار الأهلَّة بحساب وضعه لهم ونسب ذلك الحساب الى جعفر الصَّادق[٤].

وكان عبـد الكريم داعية إلى ضلاله، يفسد الأحداث ببدعته وأهوائه، قال له عمرو بن عبيد يزجـره: «قـد بلغني أنَّك تخلو بالحـدَث من أحداثنا فتفسـده فتدخله في دِينك! فـإنْ خرجت من مِصرنا، وإلاَّ قمْتُ فيك مقامًا آتي فيه على نفسك»، فلحق بالكوفة[٥].

لقـد أيقن عبد الكريـم أنَّ عمرو بن عبيد لن يقف عند حدود التَّهديـد والتَّخويف، وهو يرى الخطر الفكريَّ يداهم الحصون الآمنة من لوثة الزَّندقة والإلحاد، وأدرك أنَّه فعلاً يعني ما قاله إذ أعـرب له صراحةً عن حنقه وغيظه عليه، كما لمس منه الجِدِّيَّة في توعُّده وأنَّه سيأخذه بالحزم لا محالـة؛ عندئذ عاين حجم المخاطرة التـي يستجرُّها على نفسه إن هو بقي على حاله من الدَّعوة إلـى زندقته وإلحاده، والتَّغرير بالأحداث مـن حوله، وأنَّه إن مكث في البلد فلن يسلم حيث سيشي بأمره إلى الوالي، ولم تعد البصرة دار أمان بالنِّسبة إليه، فخرج على الفور ولجأ إلى الكوفة.

ويظهـر من خـلال الأحداث أنَّها ليست المـرَّة الأولى التي يدخل ابن أبـي العوجاء فيها إلى الكوفـة، فقد جاءهـا قبلُ مرارًا ينشر فيها رأيـه ونِحلته. لكنَّ المرَّة هذه تختلـف عن كلِّ المرَّات؛ فحياتُـه مهدَّدة بإنـزال أشدِّ العقوبات في حقِّه وهي القتل، وهذا الطَّلَـبُ قد لحق به، فالويل له إن أشرقت الشَّمس عليه في مخدعه!

---

(١) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٢٥٦.

(٢) ابن الجوزي، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، باكستان، إدارة العلوم الأثرية، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ٢ج، ١/٢٣، رقم: ١٨. الذهبي، أحاديث مختارة، ص ٣٧. السيوطي، اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق: صلاح عويضة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ٢ج، ١/٣٠، ٢/٣٨٩. الكناني، ابن عراق، نور الدين، علي بن محمد (ت٩٦٣هـ)، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف- عبد الله محمد الصديق الغماري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٩٩هـ، ٢ج، ١/١١، ١٥، ٨١، ١٤٤. الفَتَّني، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي (ت٩٨٦هـ)، تذكرة الموضوعات، مصر، إدارة الطباعة المنيرية، الطبعة، ط١، ١٣٤٣هـ، ص ٧. اللكنوي، أبو الحسنات: محمد عبد الحي ابن محمد عبد الحليم الأنصاري الهندي (ت١٣٠٤هـ)، الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، بغداد، مكتبة الشرق الجديد، ص ١٢.

(٣) العراقي، زين الدين، أبو الفضل: عبد الرحيم بن الحسين (ت٨٠٦هـ)، شرح التبصرة والتذكرة، تحقيق: عبد اللطيف الهميم- ماهر ياسين فحل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٢ج، ١/٣٠٧-٣٠٨. ابن حجر، النكت على كتاب ابن الصلاح، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، المدينة المنورة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ٢ج، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ٢/٨٥٧. البقاعي، برهان الدين، إبراهيم بن عمر (تهـ)، النكت الوفية بما في شرح الألفية، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ٢ج، ١/٥٥٠، ٥٥٦. السخاوي، شمس الدين، أبو الخير: محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ)، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، تحقيق: علي حسين علي، مصر، مكتبة السنة، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٤ج، ١/٣١٦.

(٤) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٢٥٦.

(٥) الأصبهاني، الأغاني، ٣/ ١٤٦.

وفيه يقول الشَّاعر بشَّار بن برد يهجوه[١]:

قل لعبد الكريم: يا ابن أبي العَوْ ... جاء، بِعتَ الإسلامَ بالكفر مُوقا[٢]

لا تصلِّي، ولا تصوم، فإنْ صُمْـ ... ـتَ فبعضَ النَّهار صومًا رَقيقا[٣]

ما تُبالي إذا أصبْتَ مِنَ الخمـ ... ـرِ عَتيقًا، ألاَّ تكونَ عَتيقا[٤]

ليتَ شِعري غداةَ حُلِّيتَ في الجيـ ... ـدِ، حَنيفًا حُلِّيتَ، أم زنديقا[٥]

المطلب الثَّاني: الوشاية بابن أبي العوجاء إلى الوالي:

بما أنَّ الأحاديث قد تواترت[٦] عن صاحب الرِّسالة ﷺ بالتَّحذير من الكذب عليه، بداعي أنَّ الكذب عليه ليس كالكذب على أحد من النَّاس، لما فيه من تغيير وتحريف للشَّرع الحنيف، حتى عدَّ العلماءُ الكذب على النَّبيِّ ﷺ من أكبر الكبائر، وشملوه في مصنَّفاتهم الخاصة في هذا الباب[٧]. وبما أنَّ امتهان الكذب قد ثبت على ابن أبي العوجاء بما لا يدع مجالاً للشكِّ فيه، لذلك أنزلوا فيه أشدَّ العقاب.

الفرع الأوَّل: إرهاصات مقتله:

بعد أن ولي أبو عبد الله محمَّد بن سليمان (ت١٧٣هـ) البصرة، قدمت إليه جماعةٌ من أهل السُّوق، وتكاثروا عليه، وشهدوا عنده على عبد الكريم بن أبي العوجاء بعدَّة شهادات، كانت سببًا في استدعائه وإيداعه السِّجنَ، رجاء توبته. لكنَّه لمَّا لم يفعل، وازداد عتوًّا وعنادًا وتمسُّكًا برأيه وتماديًا في باطله وإظهارًا لسوء صنيعته؛ كانت التُّهم الموجَّهةُ إليه كفيلةً باتَّخذ حكم الإعدام فيه.

خلال إقامته في السِّجن، جاءت جماعةٌ تُكلِّم الوالي في شأنه، ويشفعون له عنده. كما بلغ خبرُ سجنه أصحابَه ببغداد، فتكاثروا، ثمَّ ألحُّوا على حاشية الخليفة بالشَّفاعات فيه، حتى يوعز

(١) الأبيات على بحر الخفيف، وهي خمس، غضضنا الطَّرْفَ عن الأخير منها لما فيه من البذاءة، وهو «في غاية المهاجة، وبخاصة إذا كان بعد موت المهجوِّ، ولكلِّ مقام مقالٌ». ينظر: بشار بن برد، الديوان، ١١٠/٤-١١١، قافية: القاف. الأصفهاني، الأغاني، ١٤٦/٣. المرتضى، الأمالي، ١٣٧/١-١٣٨.

(٢) الموق: الحمق في غباوة، وصاحبه مائق. الجوهري، الصحاح، ج٦، ١٥٥٧/٤، مادة: موق.

(٣) صومًا رقيقًا: يعني أنه يمسك عن المفطرات الواضحة كالطعام والشراب دون الخفية لوقوعه في كبائر الذنوب؛ كالزندقة والإلحاد.

(٤) في عجز البيت جناس، إذ قصد بعتيق الأول: الخمر المعتَّقة، أي: القديمة المخزَّنة في الدنان. وبعتيق الثانية: المعتوق من النار.

(٥) أطلق تحلية الجيد على خضابه بالدم، أي: ضرْب رقبته بالسيف. والمعنى: لا أدري؛ أقُتلت يومَ قُتلت مسلمًا أم كافرًا. مستفاد من ابن عاشور، مرجع سابق.

(٦) السيوطي، قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة، تحقيق: خليل الميس، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٢٣، رقم: ١. الزبيدي، مرتضى الدين، أبو الفيض: محمد بن محمد الحسيني (ت١٢٠٥هـ)، لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٢٦١، رقم: ٦١.

(٧) الذهبي، الكبائر، تحقيق: مشهور حسن سلمان، الإمارات العربية المتحدة، مكتبة الفرقان، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ١٥٣. الهيتمي، أبو العباس: شهاب الدين، أحمد بن محمد الأنصاري (ت٩٧٤هـ)، الزواجر عن اقتراف الكبائر، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ٢ج، ١٦١/١.

المنصـورُ إلى ابن سليمان بإخلاء سبيلـه، بداعي أنَّه «لم يتكلَّم فيه إلاَّ ظَنِينٌ منهم»، «أهل سوق». فأمر المنصور بالكتاب إلى محمَّد بالكفِّ عنه إلى أن يأتيه رأيُه.

بعد أن أدرك عبد الكريم إصرار الوالي محمَّد بن سليمان وتصميمه على قتله، لما بات يشكِّل من خطرٍ على دين النَّاس والاستقرار في المجتمع؛ حاول أن يستغلَّ نفوذَ ابن أخته السِّياسيِّ، وكذا بما له من معارف عند الخليفة العباسيِّ. واستطاع في هذه الأثناء ابن أبي العوجاء أن يتواصل مع واحـد ممَّـن كان له حظوة عند الأسرة الحاكمة، وهو أبو الجبَّار الـذي كان منقطعًا إلى أبي جعفر المنصـور ومحمَّـد بن سليمان ثمَّ إلـى أبنائهما بعدَهما. فكلَّمه عبد الكريـم، وطلب إليه الشَّفاعة عنـد الأميـر، وعرض عليه المال، وقال لـه: «إنْ أخَّرني الأميرُ ثلاثةَ أيَّام فلـه مائة ألف، ولك أنت كذا وكذا».

وحصـل أنَّ الوالي انشغل عـن ابن أبي العوجاء فنسيه، فلمَّا باحثه بـه أبو الجبَّار كأنَّه ذكَّره أمـرَه، فعجَّل بإخراجه، وقـال له: «فإذا انصرفتُ مـن الجمعة فأذكرنيه». فلمَّـا انصرف أذكرَه، فدعا به، وأمر بضرب عنقه، ثمَّ صلبه. ذُكر ذلك في حوادث سنة ١٥٥هـ[١].

بل إنَّ الخليفة بنفسه سبق له أن تدخَّل لتوقيف الإعدام، وأرسل إلى محمَّد بن سليمان بكتاب جاء فيه: «إيَّاكَ أنْ تُحدث في أمر ابن أبي العوجاء شيئًا، فإنَّك إنْ فعلتَ فعلتُ بك وفعلت»، يتهدَّده. ولكـن «سبقَ السَّيفُ العذلَ». فلمَّا ورد على الوالي رسولُ أبي جعفر بكتابه، قال للرَّسول: «هذا رأس ابن أبي العوجاء، وهذا بدنه مصلوبًا بالكُناسة[٢]، فأخبِر أمير المؤمنين بما أعلمتُكَ».

الفرع الثَّاني: التُّهم الموجِبة للحدِّ والمثبَتة بالبيِّنة والإقرار:

أوَّلاً: استخفافه بكلام الله تعالى وتهكُّمه بالمصحف الشَّريف:

فقد رأى عدلاً كتب عليه صاحبُه آيةَ الكُرسيِّ. فقال له: لِمَ كتبتَ هذا؟ قال: لئلاَّ يُسرَق. فقال عبد الكريم: فقد رأينا مصحفًا سُرق[٣]!

ثانيًا: إنكاره فرضيَّةَ الصَّلاة وعدم إيمانه بها:

شُهِـد عليه أنَّـه صلَّى، فقيل له: أنت لا تؤمن بما جاء به محمـدٌ ﷺ، فلِمَ تصلِّي؟ فقال: هي عادة الجسد، وسنَّة البلد، وإرضاء الأهل والولد[٤]!

ثالثًا: إقراره على نفسه باختلاق الأحاديث:

أقـرَّ على مسمع الشُّهود فـورَ وصول نبأ قتله إليه، وأنَّ الوالي عـازم عليه ومصمِّم لا محالةَ،

(١) الطبري، التاريخ، ٨/٤٧-٤٨.

(٢) الكُناسة: ملقى ما يكسح ممَّا على وجه الأرض من القمام. وهي: محلتان معروفتان بالبصرة والكوفة، كانوا يطرحون فيهما كناستهم. الحموي، معجم البلدان، ٤/٤٨١. ابن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٤٩٥.

(٣) المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد، ١/١٣٧.

(٤) البلاذُري، جمل من أنساب الأشراف، ٤/٩٥-٩٦.

قــال: «أمَـا واللّه، لئن قتلتمونــي، لقد وضعتُ أربعــة آلاف حديث؛ أحرِّم فيها الحــلال، وأحلُّ فيها الحرام. واللّهِ، لقد فطَّرتكم في يوم من صومكم، وصوَّمتكم في يوم فطركم»[١].

الفرع الثَّالث: ما أثير حول مقتله:

بعــد أن وصــل نبأ مقتل ابــن أبي العوجاء إلى المنصور وجد في نفســه على واليه محمَّد بين سليمــان وأنكــر عليه إقدامَه على قتل عبد الكريم دون أن يراجعه ويستأمره في ذلك، حتى غضب، وقال: «أيُقتَل رجلٌ من العرب بغير علمي».

ثــمَّ ازداد الأمــرُ ســوءًا إذ شرع الأميــر معن بن زائدة –وهــو ابن أخت عبــد الكريم بن أبي العوجــاء– يراجــع المنصورَ في ما حصــل، ويشكو إليه فعــلَ محمَّد بن سليمــان، ويشغِّب عليه ما حصــل بقولــه: قتلَ رجلاً بريئًا ممَّا قرف به، إنَّما قتلَه لأنَّه قــال: أنا تلميذ الحسن. فقال: «تلميذ»، من قول الزَّنادقة[٢]. قلت: في هذا تمييع لحقيقة الأمر واستخفاف بخطورة القضيَّة، فكلمةُ تلميذ وإن «ليســت مــن كلام العرب»[٣]، فإنَّها غــدت مستعملةً كغيرها الكثير من الكلمــات[٤]، ولا يؤخذ المؤمــن بمثــل هذا في دينه. وإنَّ عبد الكريم لأنبه من أن يعرِّضــ نفسه لخطرٍ ناجم عن نحو هذه المغامــرة –غيــر ذات قضيَّة– لو صحَّت، وهو الذي عمل منذ نعومــة أظفاره علَى الطَّعن في الدِّين بالحيل والتَّمويه!

فلــم تَحمِلِ المنصورَ نفسُــه، وتغيَّظ على واليه، وأخذ قرارًا بعــزل محمَّد بن سليمان، وكتب فــي ذلــك الكتب، وبعث إلى مستشاره عيسى بن علي الذي سبــق أن أشار عليه بتولية ابن سليمان، يعاتبــه، ويلمــح إلى طلب القود من محمَّد هذا. وممَّا جاء فــي خطابه له: «أيقتُلُ محمَّدُ بن سليمان رجلاً بشهادة قومٍ رعاع، لا يُدرى من هم؟ لقد هممتُ أن أُقيدَه به».

فلمَّا أتاه عيسى، قال الخليفة: «هذا عملُك أنتَ! أشرْتَ بتولية هذا الغلام، فولَّيتُه غلامًا غِرًّا جاهــلاً لا علــم له بما يأتي. يقدم على رجل يقتله من غير أن يطَّلع رأيي فيه، ولا ينتظر أمري! وقد كتبت بعزله. وباللّهِ لأفعلنَّ به».

---

(١) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٢٥٥-٢٥٦. الذهبي، المغني في الضعفاء، تحقيق: د. نور الدين عتر، قطر، إحياء التراث الإسلامي، ٢ج، ٤٠٢/٢، رقم: ٣٧٨١. ابن الأثير، عز الدين، أبو الحسن: علي بن أبي الكرم محمد الجزري، (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ١٠ج، ١٨٥/٥-١٨٦.

(٢) البلاذُري، جمل من أنساب الأشراف، ٩٦/٤.

(٣) ابن فارس، أبو الحسين: أحمد بن فارس القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ٦ج، ٣٥٣/١، مادة: تلم.

(٤) فقيل: التلميذ خادم الأستاذ من أهل العلم أو الفن أو الحرفة، وطالب العلم. وخصَّه المتأخرون من أهل العصر بالطالب الصغير. وأطلقوا لقب الطالب عرفًا على التلميذ في مرحلتي التعليم الثانوية والعالية. ضيف، شوقي ورفاقه، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، ٢ج، ٨٧/١، مادة: التلميذ. و٥٦١/٢، مادة: الطالب. وينظر: الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ٤٠ج، ٣٨٠/٩، مادة: تلمذ.

فسكـت عنــه عيسى حتى سكن غضبه، ثمَّ أخذ يعتذر لمحمَّد بـن سليمان، وأنَّه إنَّما قتل ابن أبي العوجاء «على زندقة هو يُنسَب إليها». وبدأ يرطِّب الأجواءَ بمعهود لسانه حتى أقنع المنصور أن يعـدل عمَّا عزم عليه، وقال: «يا أمير المؤمنين، إنَّ محمَّدًا إنَّما قتل هذا الرَّجل على الزَّندقة، فإن كان قتلُـه صوابًـا فهو لك، وإن كان خطأً فهو على محمَّـد. واللّه، يا أمير المؤمنين، لئن عزلته على تفية[1] ما صنع؛ ليذهبنَّ بالثَّناء والذِّكر، ولترجعنَّ القالةُ من العامَّة عليك». وقد كان المنصور أمر بعـزل محمَّد وكُتبت الكتب، فدعا بها فمُزِّقت، وقال لعيسـى: «أغررتني من هذا الغلام»[2]. وأقرَّه على عمله حينًا ثمَّ عزلَه، وولَّى مكانه عمرو ابن زهير الضَّبِّيَّ[3].

فهـل ما كان يُظهره هؤلاء الولاة من الشِّدَّة في أخذهم على الزَّنادقة هو من دِينهم؟ أم أنَّهم يشايعون به ميولَ العامَّة ورغباتهم؟ وإذا كان ذلك هو دينَ العامَّة الحِرصَ على العقيدة الإسلاميَّة، فهل كان الخلفاءُ في شغل عنها بمآربَ أخرى؟

الفرع الرَّابع: رثاؤه:

يروى أنَّه لمَّا قُتل ابنُ أبي العوجاء لزندقته، رثاه ابنُ المقفَّع بقوله[4]:

رُزِئْنَا –أَبَا عَمْرو– وَلا حَيَّ مِثْلُهُ فَلِلَّهِ رَيْبُ الحَادِثَاتِ بِمَنْ وَقَعْ
فَإنْ تَكُ قَدْ فارَقْتَنَا وَتَرَكْتَنَا ذَوي خَلَّةٍ مَا فِي انْسِدَادٍ لَهَا طَمَعْ
فَقَدْ جَرَّ نَفْعًا فَقْدُنَا لَكَ أَنَّنَا أَمِنَّا عَلَى كُلِّ الرَّزَايَا مِنَ الجَزَعْ

يقصد إنْ كنتَ قد فارقتنا وتركتنا أصحابَ حاجة لا نطمعُ في سدِّها، فقد جلب إلينا فقدُك نفعًا إذ صرنا في مأمن من الحزن على أيَّة مصيبة بعدَك. قال العلاَّمة أبو العبَّاس أحمد بن يحيى الشَّهيـر بثعلـب (ت٢٩١هـ): «البيت الأخير يدلُّ على مذهبهم فـي أنَّ الخير ممزوج بالشَّرِّ، والشَّرَّ ممزوجٌ بالخير»[5].

---

(١) الافتياتُ: افتعالٌ من الفوت، وهو: السبق إلى الشيء دون ائتمار من يُؤتمَر. يقال: افتات عليه بأمر كذا، أي: فاته به. وفلان لا يُفتاتُ عليه، أي: لا يعملُ شيءٌ دون أمره. الجوهري، الصحاح، ١/٢٦٠، مادة: فوت.

(٢) البَلاذُري، جمل من أنساب الأشراف، ٩٦/٤. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٧/٨–٤٩.

(٣) ابن كثير، أبو الفداء: إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ١٤ج، ١٢١/١٠.

(٤) الأبيات على بحر الطويل. الطائي، أبو تمام: حبيب بن أوس (ت٢٣١هـ)، ديوان الحماسة، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، السعودية، جامعة الإمام، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٤١٦، رقم: ٢٨٥. يرثي فيها ابنُ المقفَّع عبدَ الكريم بن أبي العوجاء على ما صحَّحه الأخفش (ت١٧٧هـ). وقال ثعلب (ت٢٩١هـ): يرثي يحيى بن زياد الحارثي الشاعر الزنديق (ت١٦٠هـ). وقيل غير ذلك. وبالنَّظر إلى تواريخ الوفيات يتعذَّر حملُها على ابن المقفَّع فضلاً عمَّن ذُكر لتقدُّم وفاة ابن المقفَّع عليهم والله تعالى أعلم. ينظر: المرتضى، الأمالي، ١٣٥/١. ابن خَلِّكان، وفيات الأعيان، ٤٦٩/٣.

(٥) المرتضى، الأمالي، ١٣٥/١.

المبحث الرَّابع:

تساؤلاتٌ فلسفيَّةٌ

تأتي حياةُ عبد الكريم بن أبي العوجاء أنموذجًا للزَّندقة، نقيس عليه سِيرَ غيره ممَّن كان في عصره، ويُرينا أوجه نشاطهم واتِّجاهاته؛ من اهتمام بتعريب كتب الزَّندقة ونشرها بين المسلمين، إلى نشر الانحلال الخُلقيِّ والمجون، إلى الوضع في الحديث النَّبويِّ الشَّريف والتَّنقُّل بين حواضر المسلمين الكبرى للدِّعاية إلى الزَّندقة. وهنا يستوقفنا سؤلان في مطلبين:

المطلب الأوَّل: هل يعمل المسلمون بأحاديثَ موضوعة يظنُّونها صحيحةً؟

المطلب الثَّاني: هل في تتبُّع الزَّنادقة ولجمِهم انتهاكٌ لحريَّة التَّعبير؟

المطلب الأوَّل: هل يعمل المسلمون بأحاديثَ موضوعةٍ يظنُّونها صحيحةً؟

نـرى أنَّ عبد الكريم هو جزء من مؤامرة الزَّنادقة على هذا الدِّين، وقد اتَّبع في سبيل تنفير المسلميـن مـن عقيدتهم والطَّعن عليهم في دينهـم منهجًا قائمًا على ثنائيَّـة مزدوجة في كلٍّ من ساعةِ اليُسرة وساعةِ العسرة:

فحـالَ تمتُّعـه بحرِّيَّة التَّنقُّـل والدَّعوة، مشى علـى آليَّتيـن: الدِّعاية إلـى الزَّندقة، واختلاق الأكاذيب والوضع في الحديث.

وحالَ أخذه وإيقانه بالهلاك لا محالة، يلتفت إلى تشكيك النَّاس بما في أيديهم من الرِّوايات، حين أقرَّ على نفسه واعترف بالوضع بأرقام مهولة، ليبقى المسلمُ بعدَها حائرًا متخبِّطًا.

ويبـدو لي أنَّ هذه طريقةً كانـت متَّبعةً لدى الزَّنادقة، ففي عهد هـارون الرَّشيد (ت١٩٣هـ) استدعـى زنديقًـا، وأمر بضرب عنقه. فقال لـه الزِّنديقُ: لِمَ تضرب عنقي؟ قال لـه: «أريحُ العبادَ منـك». قـال: فأين أنـتَ من ألف حديـث وضعتُها على رسـول الله ﷺ كلِّها، ما فيهـا حرفٌ نطقَ بـه؟! قـال: «فأين أنت، يـا عدوَّ اللهِ، مِن أبي إسحـاق الفزاريِّ وعبد الله بـن المبارك، ينخلانها، فيخرجانها حرفًا حرفًا؟»[1].

ومن نافلة القول أن أشير في هذا المورد إلى أنَّ جهد حُفَّاظ الحديث ونُقَّاده كان معروفًا لدى الخلفـاء، وكانـوا يطمئنُّون إلى حُسن بلائهم وصنيعهم وجودة نقدهـم وتتبُّعهم، على حسب تعبير الإمـام أبـي عبد الله عمرو بن قيـس الكوفي المُلائيِّ في قوله: «ينبغـي لصاحب الحديث أن يكون مثـلَ الصَّيرفيِّ الـذي ينتقد الدَّراهم، فإنَّ الدَّراهـم فيها الزَّائفُ والبَهْـرَج، وكذلك الحديث»[2]. وقـال الأوزاعـيُّ: «إنْ كنَّـا لَنسمع الحديـث، فنعرضه علـى أصحابنا كما نعرض الدِّرهم الزَّائف

(١) ابن عساكر، أبو القاسم: علي بن الحسن (ت٥٧١هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ٨٠ج، ١٢٧/٧.

(٢) ابن أبي حاتم، أبو محمد: عبد الرحمن بن محمد الرازي (ت٣٢٧هـ)، الجرح والتعديل، الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٢٧١هـ/١٩٥٢م، ٩ج، ١٨/٢.

علـى الصَّيارفـة؛ فما عرفوا أخذنا، وما أنكروا تركنا»[1]. قـال أبو زكريا يحيى بن معين البغداديُّ (ت٢٣٣هـ): «لـولا الجهابذة لكثرت السَّتُّوقـةُ[2] والزُّيوفُ في رواية الشَّريعـة. فمتى أحببْتَ فهلمَّ مـا سمعتَ حتـى أعزِلَ لك منه نقدَ بيتِ المال. أمَا تحفظ قول شُريـح: إنَّ للأثر جهابذةً كجهابذة الوَرِق؟!»[3].

إنَّ منهجَ الزَّنادقة المعلَن عنه هنا، يرمي إلى تشكيك المسلمين بما في أيديهم من الأحاديث النَّبويَّـة ابتغـاءَ تركِهـا وإهمالها والحـذر منها. وهذا ما حصـل فعلاً حين وفد سائـلٌ على الإمام الفقيـه عبد الله بن المبـارك المروزيِّ (ت١٨١هـ) يشكوه هذه الأحاديـث المصنوعة! فقال ابن المبـارك بلسان الواثق المملوءِ قلبُه حِكمةً: «يعيشُ لها الجهابذة»[4]. وبنحوه قيل ليحيى بن معين إمـامِ الجـرح والتَّعديل، فكان جوابه: «إنَّ للعلم شبابًا ينتقـدون العِلم»[5]. وقال أبو زكريا يحيى بن يمـانَ العجلـيُّ الكوفـيُّ (ت١٨٩هـ): «إنَّ لهذا الحديث رجـالاً خلقهم الله عزَّ وجـلَّ منذ يوم خلق السَّمـاوات والأرض»[6]. وقال أبو عبـد الله الحاكم النَّيسابوريُّ (ت٤٠٥هـ): «فلولا الإسنادُ، وطلب هـذه الطَّائفة له، وكثرةُ مواظبتهم على حفظه؛ لدَرَس منـارُ الإسلام، ولتمكَّن أهلُ الإلحاد والبِدع فيه بوضع الأحاديث وقلب الإسناد، فإنَّ الأخبار إذا تعرَّت عن وجود الأسانيد فيها كانت بُتْرًا»[7].

ونؤمـن أنَّ الله تعالى قـد تكفَّل بحفظ دينه، ودينُ الله موحًى به فـي الكتاب والسُّنَّة، اللذين شملهمـا قولُه الشَّريـف: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[8]. والله تعالى هيَّأ الأسباب التي حُفظـت بهـا السُّنَّة من الكذب والتَّحريف. و«كلُّ ما حكم به رسولُ الله ﷺ فهو ممَّا أنزل الله، وهو ذِكـرٌ مـن الله أنزله على رسوله r، وقد تكفَّل سبحانه بحفظه. فلـو جاز على حُكمه الكذبُ والغلط والسَّهو من الرُّواة، ولم يَقُمْ دليلٌ على غلطه وسهو ناقله؛ لسقط حكمُ ضمانِ الله وكفالته لحفظه، وهـذا مـن أعظم الباطل. ونحـن لا ندَّعي عصمةَ الرُّواة، بل نقول: إنَّ الـرَّاويَ إذا كذب أو غلِط أو سها، فلا بدَّ أن يقوم دليل على ذلك، ولا بدَّ أن يكون في الأُمَّة من يعرف كذبه وغلطه، ليتمَّ حِفظُه

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣٥/١٨٥-١٨٦. الخطيب البغدادي، الكفاية، ص٤٣١.

(٢) السَّتُّوقة: الدراهم الرديئة المغشوشة. المُطَرِّزي، برهان الدين، أبو الفتح: ناصر بن عبد السيد الخوارزمي (ت٦١٠هـ)، المغرب في ترتيب المعرب، تحقيق: محمود فاخوري- عبد الحميد مختار، حلب، مكتبة أسامة بن زيد، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ٢ج، ١/٣٨٢. الجرجاني، التعريفات، ص ١١٧.

(٣) البيهقي، أبو بكر: أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ، ٧ج، ١/٣١.

(٤) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ١/٣، و٢/١٨. الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٣٧.

(٥) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٣٦.

(٦) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ١/٢٢٢، و٢/١٨-١٩.

(٧) الحاكم، أبو عبد الله: محمد بن عبد الله النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، معرفة علوم الحديث، تحقيق: السيد معظم حسين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص ٦.

(٨) سورة الحِجْر، آية: ٩.

لحُججه وأدلَّته، ولا تَلتبسَ بما ليس منها، فإنَّه من حُكم الجاهليَّة»[1].

وبنــاءً عليــه، فما من حديــث تحتاجه الأمَّةُ في دينهــا إلاَّ نُقل إلينا مقبولاً مَعــزُوًّا، لم يلتبس على الأمَّة بأسرها البتَّةَ. قال الإمام ابن حزم (ت٤٥٦هـ): «وقد علمنا أنَّه لا يمكن أن يخفى الحقُّ فــي الدِّين على جميــع المسلمين، بل لا بدَّ أن تقع طائفة من العلماء علــى صحَّة حُكمه بيقين»، ثمَّ يستــدل على «أنَّ الدِّينَ مضمونٌ بيانُه ورَفْعُ الإشكال عنه بقول الله تعالى: ﴿تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾[2]، وبقولــه تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾[3]»[4]. وقيَّض الحقُّ لهذه المَهمَّة رجالاً نذروا حياتهم لله، كشفــوا كذب الكاذبين وغلط الرُّواة المخطئين، حتى عُرف المقبول من المردود وبان الباطل والمكــذوب. وبحمــد الله، فلم يخلُ زمانٌ قطُّ من حرَّاس الدِّين والسُّنَّة، قال أبو الفرج ابنُ الجوزيِّ (ت٥٩٧هــ): «ولمَّا لــم يُمكِن أحــدًا أن يُدخل في القرآن شيئًــا ليس منه، أخذ أقــوامٌ يزيدون في حديــث رســول الله ﷺ وينقصــون، ويبدلون، ويضعون عليه ما لم يقــل. فأنشأ الله عزَّ وجلَّ علماءَ يذبُّــون عن النَّقل، ويوضِّحــون الصَّحيحَ، ويفضحون القبيح، وما يُخلــي الله عزَّ وجلَّ منهم عصرًا من العصور»[5].

المطلب الثَّاني: هل في تتبُّع الزَّنادقة ولجمهم انتهاكٌ لحرِّيَّة التَّعبير؟

رُبَّ سائلٍ قد أخذته الرَّأفةُ أو استهوته زيوفُ الزَّندقة أن يتساءل: أليس صحيحًا أنَّ ابنَ أبي العوجاء، ومعه آخرون، كانوا يعبِّرون عن آرائهم فأعملت الدولةُ فيهم سيفَ الشَّريعة دون رحمة أو هــوادة؟! والجــواب عن ذلك أن نعرف أنَّ ما قام به عبــدُ الكريم بن أبي العوجاء ليس مجرَّد تعبير عــن رأي أو موقــف، بل هو ترويجٌ لفكــر سلبيٍّ يشكِّل خطــرًا داهمًا على الدِّيــن بمفهومه الكلاميِّ واللاَّهوتــيِّ في آنٍ معًا، وتقويضــ أركان النِّظام الأخلاقيِّ. دِعامتُه الرَّكيــزة هي الزَّندقة المغالية التــي تشطح إلى حدِّ الاستهزاء بالتَّعاليم السَّماويَّة، وتنطــح برموزها ومقوِّماته المادِّيَّة كالمسجد والكعبــة، والمعنويَّــة كالصَّلاة والحجِّ، في سابقة لــم تُعرف إلاَّ من المشركيــن والوثنيين الأوائل. ثــم هو يتجنَّى بزندقته هذه على مجتمعه والأمَّة بأسرهــا، فخرج عن لزوم إسداء النَّصيحة وأداء الأمانــة لهما والرِّعايــة لحُرماتهما، من خلال إفساد الأحداث وإشاعــة المنكرات، وتعمُّده الكذبَ علــى رسول الله ﷺ، متحلِّلاً من القيم والأخــلاق، قد نفض يديه من أيِّ وازعٍ أو رادعٍ يردعه، فلا شيء مُقدَّس في حياته.

ولا نقــول: إنَّ الشَّرع لم يكن متسامحًا معــه، وإنَّ الوالي تعامل معه بدكتاتوريَّة وقمع وتعصُّبٍ

(١) ابن الموصلي، شمس الدين، محمد بن محمد البعلي (ت٧٧٤هـ)، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق: سيد إبراهيم، القاهرة، دار الحديث، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٥٨١-٥٨٢.

(٢) سورة النحل، جزء من آية: ٨٩.

(٣) سورة النحل، جزء من آية: ٤٤.

(٤) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ٨ج، ١٣٧/٨.

(٥) ابن الجوزي، الموضوعات، ٣١/١.

تُجاهَــهُ! فالاعتــراف بالآخــر كان سائــدًا في ذلك الزَّمــان بقرينة نشــوء الحــركات العلمية ذات التَّعدُّديَّة الفكريَّة (الفرق الإسلامية)، ووجود حضارات شتَّى (يهوديَّة ومسيَّحيَّة). إذًا، إنَّ العيون لــم تتَّجــه نحوَه ولا أُلقيَ القبضُ عليه إلاَّ بعد أن أحدث بلبلة في المجتمــع، نجم عنها التَّخوُّفُ من زعزعــة الكيــان العام الذي يُــؤذِن بخطر امتداد أيدي العبــث والتَّحريف إلى الدِّيــن، ساعةَ خرج فيهــا ابنُ أبــي العوجاء عن سلطــان ذاته إلى إحداث ضرر فــي غيــره. وإلاَّ فالتَّسامح اللامحدود يدمِّــر التَّسامــح وينقلب عليه، ويتحوَّل إلى لامبالاة بالدِّين والقِيــم والرَّعيَّة، وهذا مناقض لوظيفة الحاكم ومسؤوليَّته، والدَّولةُ مجتمعٌ من البشر يتشكَّل بهدف توفير الحقوق المدنيَّة والحفاظ عليها وتنميتهــا، وواجب الحاكم تطبيــقُ القوانين لتوفير الضَّمانات التي تسمح لجميع النَّاس بالتَّمتُّع بما لهــم مــن حقوق، وتأدية ما عليهم من واجبات. وإذا ما حاول أحــد أن يغامر وينتهك هذه القوانين فــإنَّ مثــل هذا المغامر يجب أن يمنعه الخوف من العقاب المتمثِّــل في حرمانه من حقوقه المشار إليهــا، مــن أن تسوِّل له نفسُه فضلاً عــن أن يقع في مغبَّة مخالفة القانــون[1]. أمَّا إذا تجاسر ولم ينزجــر ولم يرتدع، فليس في اليد إلاَّ المصير إلى إنزال أشدِّ العقوبة في حقِّه، ليكون عبرة لغيره، ومَــن أمــن العقوبة أساء الأدب. في هذا السِّياق يقــول John Locke: «الدِّين الحقُّ لم يتأسَّس إلاَّ مــن أجل تنظيم حياة البشر استنادًا إلى قواعد الفضيلة والتَّقوى»[2]. ويقرِّر أنَّه «لا يمكن التَّسامح علــى الإطلاق، مع الذين ينكرون وجود الله. فالوعدُ والعهد والقسم، من حيث هي روابط المجتمع البشــريِّ، ليــس لها قيمةٌ بالنِّسبة الــى الملحد، فإنكارُ الله حتى لــو كان بالفكر فقط، يفكِّك جميعَ الأشياء»[3].

هــذا، وإنَّ الوالــي ما لجأ مباشرة إلــى إنزال أقصى العقوبة فيه، بل تــدرَّج معه انطلاقًا من حرمانه من حقوقه المدنيَّة فأودعه السِّجنَ، إفساحًا له في المجال كي يتوب ويؤوب. لكنَّه عزف إلى الرِّشــوة دون الأوبة والإنابــة، وأصرَّ على ما هو عليه من جرم وجناية، في معنى التَّحدِّي والمعاندة والمناكفة. كما لا بدَّ من التنبيه إلى أنَّ العقوبة ما نزلت به لإجباره على اعتناق الدِّين أو أيِّ عقيدة إيمانيَّــة، بــل لأنَّه بات يشــكِّل مصدر قلِق وإزعاج وخــروج عن الانتظام العــام، وخيانة لحق العقد الاجتماعــيِّ، ولــم يرعوِ أو ينكفئ، والله تعالى «يزع بالسُّلطان مــا لا يزع بالقرآن»[4]، وهذا المعنى منتــزَع من مثل قوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾[5]، فــالله «ليَمنعُ بالسُّلطان عن

(١) لوك، جون (ت١٧٠٤م)، رسالة في التسامح، تعريب: منى أبو سنة، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ١٩٩٧م، ص ٢٣، ٢٤.

(٢) لوك، رسالة في التسامح، ص ١٩.

(٣) لوك، رسالة في التسامح، ص ٥٧.

(٤) ابن شبة، أبو زيد: عمر بن زيد البصري (ت٢٦٢هـ)، تاريخ المدينة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، جدة، ط١، ١٣٩٩هـ، ٣ج، ٩٨٨/٣. ابن عبد البر، أبو عمر: يوسف بن عبد الله (ت٤٦٣هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي- محمد عبد الكبير البكري، المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ، ٢٤ج، ١١٨/١.

(٥) سورة الإسراء، بعض آية: ٨٠.

ارتـكاب الفواحش والآثام، ما لا يمتنعُ كثيرٌ من النَّاس بالقرآن وما فيه من الوعيد الأكيد والتَّهديد الشَّديـد»[1]. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2].

الخاتمة

بعد أن أتينا على ختام هذا البحث في تطوافة سريعة مع جدليَّة العَلاقة بين الزَّندقة والوضع فـي الحديـث النَّبويِّ الشَّريف عنـد عبد الكريم بن أبي العوجـاء، نحطُّ رِحالنا علـى أهمِّ النَّتائج والخلاصات التي توصَّلنا إليها، ثمَّ نعقبها ببعض التَّوصيات.

أوَّلاً: نتائج البحث:

تشويه الدِّين والعمل للكيد منه ومن أهله بمختلف الطُّرق والوسائل قديمٌ منذ القرون الأولى. التقى هذا المعول الهدَّام مع الإلحاد والزَّندقة اللَّذين وُجدا ووُجِد مَن يدعهما ويدعو إليهما وينشط في دعمهما، على قاعدة «عدوٌّ عدوِّي صديقي».

ثبتت الزَّندقة على عبد الكريم بن أبي العوجاء الذي وُجد في بيئة معادية للدِّين، وكان داعية إلـى ضلالـه، يعمل على اصطنـاع الأحاديث ونشرها بيـن النَّاس، ولديه من المُكنـة والمقدرة أن اختلق أربعة آلاف حديث في أحكام الدِّين ونشرَها بين النَّاس.

لقد أحكم أهلُ النَّقد هذا الفنَّ، وقعَّدوا له القواعد النَّاظمة لشمله والضَّابطة لأحكامه بما لا مجال فيه للتَّلاعب بسنَّة النَّبيِّ ﷺ، ولا يوجد حديث يتفلَّت من عقال النُّقَّاد.

إنَّ الإجهـازَ على الزِّنديق ضـرورةٌ لازمةٌ لانتظام سير المجتمع وضمـان الأمن فيه بمختلف مجالاتـه، ولا يتعارض مـع الحرِّيَّة الشَّخصيَّة أو حرِّيَّة التَّعبير لكـون الزِّنديق قد خرج عن سلطان ذاته إلى إحداث ضرر في غيره.

ثانيًا: توصيات البحث:

نوصي بمتابعة العمل في اختيار نماذج كان لهم أدوار سلبيَّة فاعلة في مجتمعاتهم عبر تاريخ الإنسانيَّـة، لفضحهـم والكشـف عن مؤامراتهم، في ما يكـون مدعاةً للمِّ شمـل الأمَّة على المنهج الإسلاميِّ الصَّافي وتنشئتهم عليه.

والحمد لله ربِّ العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

ابـن الأثير، عز الدين، أبـو الحسن: علي بن أبي الكرم محمد الجزري، (ت٦٣٠هـ)، الكامل

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ٨ج، ١١١/٥.

(٢) سورة الحديد، آية: ٢٥.

في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ١٠ج.

أداموف، ألكسندر، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، تعريب: هاشم صالح التكريتي، بغداد، دار ميسون، ٢ج.

الأصفهاني، أبو الفرج: علي بن الحسين الأموي (ت٣٥٦هـ)، الأغاني، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط١، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م، ٢٥ج.

الأعظمي، علي ظريف، مختصر تاريخ البصرة، تحقيق: عزت رفعت، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية.

بدوي، عبد الرحمن، من تاريخ الإلحاد في الإسلام، بيروت، المؤسسة العربية، ط٢، ١٩٨٠م.

بشار بن برد (ت١٦٧هـ)، الديوان- مقدمة الشارح، شرحه: محمد الطاهر ابن عاشور، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، ٤ج.

البغدادي، أبو منصور: عبد القاهر بن طاهر (ت٤٢٩هـ)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٧م.

البقاعي، برهان الدين، إبراهيم بن عمر (تهـ)، النكت الوفية بما في شرح الألفية، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ٢ج.

البَلاذُري، أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ):

جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار- ورياض زركلي، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ١٣ج.

فتوح البلدان، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ط١، ١٩٨٨م.

البيروني، أبو الريحان: محمد بن أحمد الخوارزمي (ت٤٤٠هـ)، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، بيروت، عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٣هـ.

البيهقي، أبو بكر: أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ، ٧ج.

التوحيدي، أبو حيان: علي بن محمد (ت٤٠٠هـ):

الإمتاع والمؤانسة، صيدا، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٤هـ.

البصائر والذخائر، تحقيق: د. وداد القاضي، بيروت، دار صادر، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ١٠ج.

الثعالبي، أبو منصور: عبد الملك بن محمد (ت٤٢٩هـ)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، القاهرة، دار المعارف.

الجاحظ، أبو عثمان: عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ):

البيان والتبيين، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ، ٣ج.

الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، ١٣٨٤-١٣٨٥هـ/١٩٦٥-١٩٦٦م، ٨ج.

رسائل الجاحظ (حجج النبوة)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ٤ج.

الجرجاني، الشريف علي بن محمد (ت٨١٦هـ)، التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

ابن جماعة، بدر الدين، أبو عبد الله: محمد بن إبراهيم الكناني الحموي الشافعي (ت٧٣٣هـ)، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي، مصر، دار السلام، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

ابن الجوزي، جمال الدين، أبو الفرج: عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ):

تلبيس إبليس، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، باكستان، إدارة العلوم الأثرية، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ٢ج.

الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ط١، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، ٣ج.

الجوهري، أبو نصر: إسماعيل بن حماد الفارابي (ت٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ٦ج.

ابن أبي حاتم، أبو محمد: عبد الرحمن بن محمد الرازي (ت٣٢٧هـ)، الجرح والتعديل، الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٢٧١هـ/١٩٥٢م، ٩ج.

الحاكم، أبو عبد الله: محمد بن عبد الله النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، معرفة علوم الحديث، تحقيق: السيد معظم حسين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

ابن حجر، شهاب الدين، أبو الفضل: أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ):

لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٢م، ١٠ج.

النكت على كتاب ابن الصلاح، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، المدينة المنورة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ٢ج، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

ابن حزم، أبو محمد: علي بن أحمد الظاهري (ت٤٥٦هـ):

الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ٨ج.

جمهرة أنساب العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

الفصل في الملل والأهواء والنحل، القاهرة، مكتبة الخانجي، ٥ج.

الحموي، شهاب الدين، أبو عبد الله: ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ط٢، ١٩٩٥م، ٧ج.

الخوارزمي، أبو عبد الله: محمد بن أحمد الكاتب البلخي (ت٣٨٧هـ)، مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢.

الخطيب البغدادي، أبو بكر: أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ):

تاريخ بغداد وذيوله، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ، ٢٤ج.

الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أبي عبد الله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، المدينة المنورة، المكتبة العلمية.

ابن خَلِّكان، شمس الدين، أبو العباس: أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس بيروت، دار صادر، ط١، ١٩٩٤م، ٧ج.

الديلمي، محمد بن الحسن (ت٧١١هـ)، بيان مذهب الباطنية وبطلانه، عني به: ر. شدوطمان، لاهور، إدارة ترجمان السنة.

الدينوري، أبو محمد: عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ):

عيون الأخبار، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ، ٤ج.

المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٩٢م.

الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله: محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ):

أحاديث مختارة من موضوعات الجورقاني وابن الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، المدينة المنورة، مكتبة الدار، ط١، ١٤٠٤ هـ.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ٥٢ج.

سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ورفاقه، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ٢٥ج٨.

الكبائر، تحقيق: مشهور حسن سلمان، الإمارات العربية المتحدة، مكتبة الفرقان، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

المغني في الضعفاء، تحقيق: د. نور الدين عتر، قطر، إحياء التراث الإسلامي، ٢ج.

ميـزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجـاوي، بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م، ٤ج.

الـرازي، فخر الدين، أبـو عبد الله: محمد بن عمـر الشافعي (ت٦٠٦هــ)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق: علي سامي النشار، بيروت، دار الكتب العلمية.

الراغـب الأصفهانـي، أبو القاسـم: الحسين بـن محمد (ت٥٠٢هــ)، محاضـرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، بيروت، شركة دار الأرقم، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢ج.

الزَّبيدي، مرتضى الدين، أبو الفيض: محمد بن محمد الحسيني (ت١٢٠٥هـ):

تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ٤٠ج.

لقـط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

الزمخشـري، جـار الله، أبو القاسم: محمـود بن عمرو (ت٥٨٣هـ)، ربيـع الأبرار ونصوص الأخيار، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط١، ١٤١٢هـ، ٥ج.

سبـط ابـن الجـوزي، شمس الديـن، أبو المظفـر: يوسف بـن قِزْأُوغلي (ت٦٥٤هــ)، مرآة الزمـان في تواريخ الأعيـان، تحقيق: محمد بـركات ورفاقه، دمشق، دار الرسالـة العالمية، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ٢٣ج.

السخـاوي، شمس الدين، أبو الخير: محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ)، فتح المغيث بشرح ألفيـة الحديث للعراقي، تحقيق: علـي حسين علي، مصر، مكتبة السنـة، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٤ج.

السمعانـي، أبو سعد: عبد الكريم بن محمد (ت٥٦٢هـ)، الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيـى المعلمي اليماني وغيـره، الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانيـة، ط١، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، ١٣ج.

السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ):

تاريـخ الخلفـاء، تحقيـق: اللجنة العلميـة بمركـز دار المنهاج، جـدة، دار المنهـاج، ط٢، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

قطـف الأزهـار المتناثـرة في الأخبـار المتواتـرة، تحقيق: خليـل الميس، بيـروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

اللآلــئ المصنوعة في الأحاديـث الموضوعة، تحقيق: صلاح عويضـة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ٢ج.

ابـن شبة، أبو زيد: عمر بن زيد البصري (ت٢٦٢هــ)، تاريخ المدينة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، جدة، ط١، ١٣٩٩هـ، ٣ج.

الشهرستاني، أبو الفتح: محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ)، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، ٣ج.

الصـدوق، ابـن بابويه، أبـو جعفر: محمد بـن علي القمـي، (ت٣٨١هـ)، الأمالـي، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

ضيف، شوقي ورفاقه، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، ٢ج.

الطائـي، أبو تمام: حبيـب بن أوس (ت٢٣١هـ)، ديوان الحماسـة، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، السعودية، جامعة الإمام، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

الطبرسي، أبو منصور: أحمـد بن علي (ت٦٢٠هـ)، الاحتجاج، منشورات الشريف الرضي، ط١، ١٣٨٠هـ، ٢ج.

الطبري، أبو جعفر: محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، بيروت، دار التراث، ط٢، ١٣٨٧هـ، ١١ج.

العباسي، عبـد القادر باش أعيان (ت١٣٦٥هـ)، البصرة في أدوارها التاريخية، بغداد، دار البصري، ط١، ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

ابن عبد البر، أبو عمر: يوسف بن عبد الله (ت٤٦٣هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيـد، تحقيق: مصطفـى بن أحمد العلوي- محمد عبد الكبير البكري، المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ، ٢٤ج.

ابـن عبد المنعم، أبو عبد الله: محمد بن عبد الله الحميـري (ت٩٠٠هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، ط٢، ١٩٨٠م.

ابـن عدي، أبو أحمد: عبد الله بن عدي الجرجاني (ت٣٦٥هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل عبد الموجود- علي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ٩ج.

العراقـي، زيـن الدين، أبـو الفضل: عبد الرحيم بـن الحسين (ت٨٠٦هـ)، شـرح التبصرة والتذكـرة، تحقيق: عبد اللطيف الهميـم- ماهر ياسين الفحل، بيـروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٢ج.

ابن عساكر، أبو القاسم: علي بن الحسن (ت٥٧١هـ)، تاريخ دمشق، تحيقق: عمرو بن غرامة العمروي، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ٨٠ج.

العمـري، أكرم بن ضيـاء، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، المدينـة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط٥، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

ابـن فارس، أبو الحسيـن: أحمد بن فارسـ القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ٦ج.

الفَتَّنِـي، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي (ت٩٨٦هـ)، تذكرة الموضوعات، مصر، إدارة الطباعة المنيرية، الطبعة، ط١، ١٣٤٣هـ.

ابـن الفقيه، أبو عبـد الله: أحمد بن محمد الهمداني (ت٣٦٥هـ)، البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

الكتبـي، صلاح الدين، محمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ)، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط١، ١٩٧٤م، ٤ج.

ابـن كثير، أبو الفداء: إسماعيـل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، البدايـة والنهاية، تحقيق: علي شيري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ١٤ج.

كحالـة، عمـر بن رضـا الدمشقي (ت١٤٠٨هـ)، معجم قبائـل العرب القديمـة والحديثة، بيروت، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ٥ج.

الكلينـي، أبو جعفر: محمد بن يعقوب الرازي (ت٣٢٩هـ)، الكافي- الأصول، تحقيق: قسم إحياء التراث، دار الحديث، ٨ج.

الكنانـي، ابن عراق، نـور الدين، علي بن محمد (ت٩٦٣هـ)، تنزيـه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف- عبد الله محمد الصديق الغماري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٩٩هـ، ٢ج.

اللكنـوي، أبـو الحسنـات: محمـد عبد الحـي ابن محمـد عبد الحليـم الأنصـاري الهندي (ت١٣٠٤هـ)، الآثـار المرفوعة في الأخبار الموضوعـة، تحقيق: محمد السعيـد بسيوني زغلول، بغداد، مكتبة الشرق الجديد.

لوك، جون (ت١٧٠٤م)، رسالة في التسامح، تعريب: منى أبو سنة، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ١٩٩٧م.

المرتضـى، علي بـن الحسين (ت٤٣٦هـ)، أمالي المرتضـى: غرر الفوائـد ودرر القلائد، تحقيـق: محمد أبو الفضـل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتـب العربية، ط١، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، ٢ج.

المسعودي، أبو الحسن: علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، صيدا، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ٤ج.

المُطَـرِّزي، برهان الدين، أبو الفتـح: ناصر بن عبد السيد الخوارزمي (ت٦١٠هـ)، المغرب فـي ترتيب المعرب، تحقيـق: محمود فاخوري- عبد الحميد مختار، حلـب، مكتبة أسامة بن زيد،

ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ٢ج.

المعـري، أبـو العلاء: أحمد بـن عبد الله التنوخـي (ت٤٤٩هـ)، رسالة الغفـران، تصحيح: إبراهيم اليازجي، مصر، مطبعة أمين هندية، ط١، ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م.

المقدسـي، المطهر بن طاهر (ت بعد ٣٥٥هـ)، البـدء والتاريخ، تحقيق: المستشرق كليمان هوار، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، ٦ج.

المعلمـي، عبد الرحمن بن يحيى اليماني (ت١٣٨٦هــ)، التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ٢ج.

ابن الموصلي، شمس الدين، محمد بن محمد البعلي (ت٧٧٤هـ)، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق: سيد إبراهيم، القاهرة، دار الحديث، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

الميدانـي، أبو الفضـل: أحمد بن محمـد النيسابوري (ت٥١٨هـ)، مجمـع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة، ٢ج.

النديم، أبو الفرج: محمد بن إسحاق الورَّاق البغدادي (ت٤٣٨هـ)، الفهرست، تحقيق: رضا تجدد.

ابن نقطة، معين الدين، أبو بكر: محمد بن عبد الغني الحنبلي البغدادي (ت٦٢٩هـ)، إكمال الإكمـال، تحقيق: د. عبـد القيوم عبد رب النبي، مكة المكرمة، جامعـة أم القرى، ط١، ١٤١٠هـ، ٥ج.

أبو نواسـ، الحسن بن هانئ الحَكميُّ (ت١٩٨هـ)، الديـوان، تحقيق: إيفالد فاغنر، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، ٢٠٠١م.

النوبختـي، أبـو محمد: الحسن بـن موسى، فرق الشيعـة، بيروت، منشـورات الرضا، ط١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

الهيتمـي، أبو العباس: شهاب الدين، أحمد بن محمـد الأنصاري (ت٩٧٤هـ)، الزواجر عن اقتراف الكبائر، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ٢ج.

اليعقوبي، ابن وضاح، أحمد بن إسحاق (ت٢٩٢هـ)، البلدان، اعتنى به: محمد أمين ضناوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ.

The Islamic Academic Quest Journal Publication Guidelines

In the course of providing an opportunity to scholars and searchers to benefit from academic quests and searches, the journal's management is delighted to publish the submitted researches provided that:

1. The research is specialized in a scholarly issue, or an Islamic calamity – a current case accident.
2. The research should be characterized by its academic elements, originality, and seriousness, with authentication of: sources, Hadiths, and verses of Quran.
3. The research should be new and not previously published; it also should not be an extract of a thesis.
4. Works should not exceed 48 pages nor fall behind 16.
5. Paper size should be of an A4, with font size = 16, and a font style of (Traditional Arabic).
6. The work marked by the previously mentioned characteristics should be sent on a CD-Rom to the journal's address.
7. The writer will enclose an English translated abstract of one to two pages.
8. An introduction of the author should be provided alongside his detailed personal address.
9. Works are evaluated by arbiters before publication. The author will be notified about the result of this evaluation.

Please note that:

- It is not necessary that the journal will adopt and publish every work it receives.
- Typescripts of rejected researches will not be returned to their authors.
- Views expressed in the journal represent those of the writers.





An Islamic Academic Arbitral Journal concerned in the Islamic quests and studies

Correspondences	Bank transfers
Lebanon-Tripoli-POB 208 Tripoli Telefax: 009616471788 E mail: albahs_alalmi@hotmail.com Website: boukharysrc.com	*AlBaraka Bank-Lebanon-Tripoli Account no 13903 *Western Union-Lebanon Tripoli



ISSN:2708-1796
ISSN: 2708-180X

International Imam El Boukhary Academy
The Central Office for Islamic Academic Quest Journal

The Islamic Academic Quest Journal

Specialized Academic Islamic Journal concerned in the Islamic quests and studies
Licensed by decree of the Ministry of Information 2004/364

Fifteenth **years** **1441H / 2020** **Issue No.: 33**

(Temporarlly Issued Every Six Months)


أكاديمية الإمام البخاري الدولية
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾
INTERNATIONAL IMAM EL BOUKHARY ACADEMY